القوى الروحية الكامنة
في الماء والخبز والخمر

ودورها في عملية التمدن الإنساني
والتطور الحضاري في بلاد الرافدين

الكتاب: القوى الروحية الكامنة
في الماء والخبز والخمر
الكاتب: حكمت بشير الأسود

الطبعة الأولى: 2017
جميع الحقوق محفوظة

الناشر: دار الزمان
للطباعة والنشر والتوزيع
فايبر وواتس آب:
00964 772 4223169
موبايل: 00964 750 3598630
E-mail: zeman005@hotmial.com
Website: www.darzaman.net

په رتووکخانه یا نوودەم
Mob: 00964 750 3598630
00964 770 4572613
Viber – whatsapp:
00964 772 4223169
E. mail: zeman005@yahoo.com
Facebook: Pertûkxana nûdem

الإخراج الداخلي: دار الزمان
الغلاف: م. جمال الأبطح

Copy Right © Dar Zaman Publishing
لا يسمح بطباعة هذا الكتاب أو تصويره أو نسخه
إلا بإذن خاص ومسبق من الناشر
All right reserved. No part of this publication may be reproduced or transmitted.
without permission in writing from the publisher

حكمت بشير الأسود

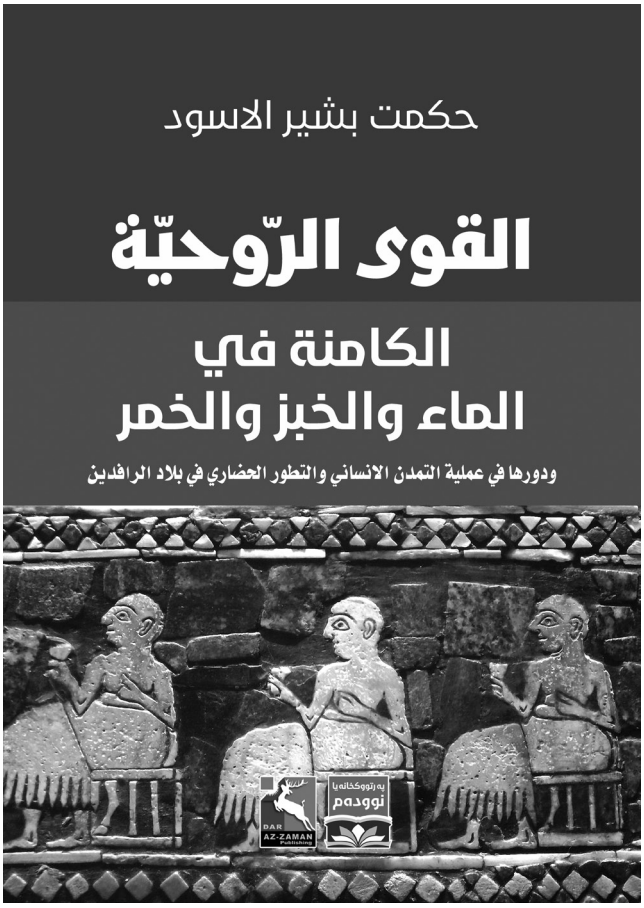

القوى الروحية الكامنة في الماء والخبز والخمر

ودورها في عملية التمدن الإنساني
والتطور الحضاري في بلاد الرافدين

المقدمة

سكن الانسان في بلاد الرافدين منذ عصور موغلة في القدم وشق طريقه الى الحضارة خلال مسيرته الطويلة التي ادت به الى معرفة الزراعة وتدجين الحيوان في حدود الالف التاسع ق.م الذي يعد انقلابا خطيرا في حياة الانسان لما نتج عنه من تحولات اقتصادية واجتماعية بالنسبة الى المجتمعات البشرية القديمة اذ انه ادى الى ضمان شبه اكيد لمصدر الغذاء عن طريق انتاجه بدلا من التنقل في سبيل جمعه (علي، فاضل 1989 ص17).

وبعد ان استقر الانسان في ارض بلاد الرافدين واخذ يواصل حياته ويطورها نحو آفاق المستقبل في كافة المجالات فاندفع في التقدم نحو مضمار التمدن حيث اعقب هذا الاستقرار فكر ديني ومعتقدات قادته الى ابتكار الالهة، وقد نشأ عنده الفكر الديني عندما استخلص الامور المقدسة من الطبيعة وحول القوى الغيبية التي كانت تؤثر على حياته الى (آلهة) قام بصنع تماثيل لها ووضعها في اماكن مقدسة (معابد) وعمل على تقديم فروض الطاعة اليها عبر الصلاة والتضرع وتقديم القرابين وادامة الطقوس، وبهذا فقد عمل على اقامة مؤسسة دينية متكاملة ومنسجمة في تكوينها ووظائفها، وكان تأثير هذه المعتقدات الدينية كبيرا اذ كانت تجعل الانسان متوازن الفكر والعاطفة في البيئة التي يعيش فيها مما دفعه للانسجام معها فنظم لها طقوسا واستنبط رموزا دينية كرد فعل ايجابي للصراع الذي كان يدور بينه وبين الظواهر الطبيعية التي كان يعيشها . وكان للرموز اهمية وقدسية بالغة في حضارة بلاد الرافدين لانها ارتبطت مع الالهة والاشخاص والطبيعة والعبادات فترسخت في نفوس العراقيين القدماء وتغلغلت في تفاصيل حياتهم اليومية آنذاك لان الرموز في عالم الالهيات تشير الى الجانب الروحي والديني في حياة الانسان لانها تعكس الكثير من الاوجه والافكار والتفسيرات والتغيرات الدينية حين قاد الانسان العالم الخيالي نحو العالم المقدس ونحو معنى الوجود، وها هو انسان بلاد الرافدين يقود المجتمع والطبيعة نحو المدنية والحضارة مستفيدا من ارض النهرين المعطاء فنراه يتلقف هذا العطاء بكل قوته

وهو يتشبث بالارض مدافعا عنها مرتويا من مياه انهارها وفي نفس الوقت يغرقها بفكره، وقد كان الماء حيويا في الخليقة والحياة العضوية على هذه الارض (الحياة نشات من المياه)، كما كان حيويا في ولادة الحضارة لان اول الحضارات نشأت على ضفاف الانهار، والماء عنصر اساسي وحقيقي في الممارسات الدينية والثقافية المختلفة حيث استخدم الماء وطبقت رموزه في الديانة بصورة واسعة ومتكررة لان روحيته وصفاته العلاجية تشاهد في الطقوس والشعائر وان تمثيلاته عديدة ومتباينة.

ان حاجات الانسان الاساسية هي الملجأ والغذاء واللباس وهي المقومات الاساسية لقيام الحضارة ولاستمراريتها، وعرف الغذاء في النصوص المسمارية السومرية بصيغة NINDA ومرادفه باللغة الاكدية (أكلو aklu) (CAD , p. 238) والذي اعتبر حاجة لايمكن للفرد الاستغناء عنه في حياته اليومية باعتباره المنتج الحقيقي للطاقة التي تستخدم في تغذية الانسان وعلى اساسه بنيت الحضارات، وقد ادرك الانسان حقيقة خالدة منذ عصور قديمة في ان بقاءه مرهون في الطبيعة بشيئين هما الغذاء والتكاثر، فبدون الغذاء لايستطيع الانسان ان يعيش وبدون التكاثر سيؤول مصيره الى الفناء (علي، فاضل 1973 ص7)، وكان الغذاء والشراب الشائع في بلاد الرافدين هو الخبز والبيرة، وكما يقول المثل الرافديني (اعطي الغذاء للاكل واعطي النبيذ للشرب)، ووفقا لملحمة جلجامش كانت البيرة واحدة من نعم الحضارة وعطية من عطيات الالهة التي جعلت منها احدى الطقوس التي كانت تسكب امامها في الاراقة اليومية على تماثيل الالهة، كما كانت البيرة ترمز الى الرخاء والتماسك الاجتماعي، واعتبر الخبز القاعدة الاساسية للغذاء الانساني الذي مثل تاريخ البشرية لانه شاهد خاص لتاريخ الجنس البشري وحضارته اذ يعد انجازا حضاريا مهما في حياة الانسان من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وذلك للدور الذي لعبه في نشاطات الانسان المختلفة كونه يمثل الرمز الروحي الذي رافق الاحتفالات والطقوس الدينية، وان اول خطوات التحضر الانساني هي (أكل الخبز).

انعقدت هذه الدراسة على ستة مباحث لها علاقة بحياة الانسان واستمرارية حياته وتمدنه الانساني الذي يؤدي الى التطور الحضاري في بلاد الرافدين:

المبحث الاول: قداسة الماء ورموزه: باعتبار الماء احد المقومات الاساسية للحياة واحد العوامل المساعدة على التمدن والتطور في كافة مجالات الحياة الاقتصادية والعمرانية والاجتماعية لان الماء مصدر الحياة ومنبع الخير والبركة لذلك فقد خصوه بنوع من التقديس والتعظيم.

المبحث الثاني: رمزية الخبز ودلالاته: استطاع انسان بلاد الرافدين ان يفجر اول ثورة اقتصادية – زراعية في الالف التاسع ق.م وليكون بذلك الموطن الاول لزراعة القمح والشعير حيث اعتبرت الحبوب مصدر استهلاك الالهة والبشر والحيوانات واحد اسباب نشوء الحضارة وديمومتها.

المبحث الثالث:القدرة الالهية في منح الخلود واحياء الموتى من خلال طعام وماء الحياة: شغلت مشاكل الحياة انسان حضارة بلاد الرافدين القديمة مثلما اقلقته مسالة الموت، فبدء بالبحث عن نوع من الوجود الدائم عن طريق مادة مجسدة تدعى طعام الحياة وماء الحياة وهي العلامة الفارقة لمتناوليها بين الالهة والبشر والتي تجسدت فيها القوة الالهية.

المبحث الرابع: دلالات الخمر ورموزه: عرفت حضارة بلاد الرافدين صناعة المشروبات الروحية منذ الالف الثالث ق.م وبانواعها المختلفة (الجعة والخمور)، وعدت هذه المشروبات السمة المميزة لسكان تلك الحضارة رجالا ونساء ومن جميع الطبقات الاجتماعية والتي خضعت الى آلهة مسؤولة عن تحضيرها وقوانين نظمت شربها والتعامل مع بائعيها.

المبحث الخامس: تقاليد الطعام والشراب في بلاد الرافدين: يعتبر الطعام والشراب القاعدة الاكثر احتياجا لكل المخلوقات البشرية، وقد زودتنا النصوص المسمارية بمعلومات وافية عن طبيعة النظام الغذائي لسكان بلاد الرافدين ووجبات الطعام ومحتوياتها المقدمة الى الالهة والملوك ومختلف الطبقات الاجتماعية ومعلومات عن آداب المائدة والطقوس التي ترافق عملية تناول الطعام.

المبحث السادس: الولائم الاحتفالية والضيافة الالهية والملوكية: قدمت لنا النصوص المسمارية والالواح الحجرية مشاهد متكاملة عن الولائم في حضارة بلاد

الرافدين من الالف الرابع ق.م وحتى العصر الاشوري الحديث والتي تنوعت بين المآدب الالهية والملوكية وعامة الناس فضلا عن الولائم الجنائزية وولائم الزواج.

الماء: قداسة ورموز

كانت المياه وماتزال تشكل العنصر الفاعل والمهم لديمومة الحياة واستمرار وجودها وهي نعمة من نعم الله وسر من اسرار الطبيعة التي تعتبر المصدر الرئيسي للمياه والمتمثلة بالانهار (نارم narum) (CDA,p.242) والآبار (بورتوburtu) (CDA,p.49) والعيون والينابيع والكهاريز (القنوات الباطنية) والمياه الجوفية فضلا عن الامطار التي تغذي كل هذه المصادر، وللمياه اهميتها ودورها الفاعل في مجمل نواحي الحياة في كل زمان ومكان لانه لايوجد بديل عن هذه المادة لاجل استمرارية الحياة، فالمياه ضرورية في الامور الزراعية والري والنقل والصناعة وفي الاستخدامات المنزلية والحياتية مثل الطهي والنظافة والاغتسال والاستحمام وغسل الملابس وتنظيف الجسم فضلا عن غسل اروقة البيوت واماكن العبادة، كما شكل الماء وسيلة سحرية للشفاء من الامراض.

يعتبر الماء(A.MES / mu) (CDA , p.213) المادة الاولى للخلق ومصدر الخليقة وجوهرها والعنصر الاساسي للحياة وديمومتها وبه تكمن اسرار الحياة، والماء اصل الاشياء لان النبات يتغذى من الماء وان الحيوانات المائية اكثر من البرية وان تكوين السحاب هو العلة في الحياة لانه يؤدي الى المطر من السماء مكان تواجد الالهة في الفكر العراقي القديم، فاصل الاشياء اذن هو الماء. وقد ارتبط نشوء حضارة بلاد الرافدين بوجود نهرين خالدين دجلة والفرات وروافدهما واليهما نسب العراق في واحد من اكثر اسمائه التاريخية التصاقا به وانسجاما معه (بلاد الرافدين/بلاد ما بين النهرين)، كما ان نظام الري المتعلق بهذين النهرين وحل المشاكل الناجمة عنه كان من ابرز العوامل المؤثرة في نشوء تلك الحضارة حيث نشطت الحضارة بظهور نظام الري وزيادة التجمعات البشرية في القرى الزراعية المتكونة وتحولها الى مدن ذات انظمة متطورة في الوسط والجنوب (باقر 1973 ص32).

كان للمياه والحياة المائية اهمية كبيرة في بلاد الرافدين منذ اقدم العصور، وقد اظهر الملوك العراقيون القدماء اهتمامهم بالمصادر المائية المتمثلة بالبرك والقنوات وتظهر المنحوتات الفنية من العهود الاشورية مدى اهتمامهم بتصوير الحياة المائية بتفاصيل دقيقة واضحة (كونتينو ص87)، وقد وفرت المياه للعراقيين القدماء العديد من احتياجاتهم، فبالاضافة الى كونها من وسائط النقل المهمة في

تقريب المسافات (الهاشمي، رضا 1985 ص219) فقد كانت تعد المصدر الرئيسي لطعامهم وذلك بما تقدمه الاسماك المتنوعة وبعض الحيوانات المائية كما ورد ذكر ذلك في الكتابات المسمارية والمعاجم والوثائق الادارية والكتابات الفكرية (عبد اللطيف، سجى ص13).

وقد انتقلت قدسية الماء واهميته في تجديد الحياة والتطهير والعبادة الى المعتقدات الدينية التي خلفت معتقدات بلاد الرافدين فحلت حكمته في رموز متعددة منها انه رمز الخصب والشفاء من الامراض والنقاوة والتطهير والعماد والرشم والتنقية، وكذلك في عمليات الوضوء والاغتسال (الجنابة) وغسل الموتى قبل الدفن والتطهير، كما ارتبطت الصلوات بشعائر طقوسية يومية تقليدية لازمتها دوما يقوم بها المتعبد (رجل عادي او كاهن) ومن هذه الطقوس هو الوضوء وغسل الايدي الذي كا يصاحب اي مرسوم ديني. فكان للمياه قوة خلاقة وارادة الهية لانتاج حياة جديدة وكائنات جديدة واشياء جديدة، فالماء هو عنصر الخلق في الفكر سواء اكان مصدر العقل والحركة ام مصدر الاشياء الجديدة، وعلى هذا الاساس فقد قدس العراقيون القدامى الماء والانهار، وان هذه القدسية لها علاقة بطقوس السكب والتطهير وارتباطها بالاله انكي / ايا احد ابرز آلهة التثليث في حضارة بلاد الرافدين(Frankfort , et.al 1949,p.146-147). كما كانت المياه تشكل احد العناصر الرئيسة المستخدمة في قراءة الطالع كما يتوضح ذلك من النص (اذا سكبت الزيت على الماء) وهذا الاسلوب يمثل احدى الممارسات الكهنوتية التي ابتدعها كهنة (بارو Baru) وهو العراف او البصار وكان يهدف من وراء هذه الاساليب الاتصال بالالهة لمعرفة مشيئتها تجاه البلاد والناس وتقرير مصائرهم (علي، فاضل 1985 ص195)، والاساس في ذلك هو ان يقوم الكاهن العراف بسكب قليل من الزيت في اناء يحتوي على ماء ثم يراقب حركة الزيت من ناحيتين، الاولى شكل الزيت وهو يطفو على سطح الماء والثاني اتجاه حركته يمينا او يسارا، وكانت نصوص الفأل الخاصة بالاحلام تفسر على ان المياه فأل حسن ومطهرة لذنوب حاملها (فون زودن ص172).

المياه اصل الوجود:

كانت المياه في نظر سكان بلاد الرافدين تمثل اصل الوجود والكون والخليقة وسر بقاء الحياة واستمرارها، فوجود المياه سبق وجود الكون ونشأته وانها العنصر الاول

والاساسي لبداية الخلق واصل الوجود وعنه تولدت العناصر الاخرى من الارض والسماء (الخطيب، عبد الرحمن 2010 ص166). ويعرض النتاج الفكري لحضارة بلاد الرافدين القديمة نشوء الحياة من العدم الى الحضارة في ثلاثة تحولات كونية، وقد مثل كل واحد من تلك التحولات الثلاثة نقطة انطلاق لمرحلة جديدة في مسار الحياة:

1- كان التحول الكوني الاول الخروج من العماء بخلق الكون، وهذه مرحلة التكوين من العدم حسب ما جاء بقصص الخليقة.

2- التحول الثاني بدء الحياة بالمستوى الكوني وهي مرحلة تجسد الالهة تمهيدا للتحول الثالث.

3- ومع التحول الاخير تدب الحياة على الارض لتبتديء خلجاتها بخلق الانسان وسائر الكائنات الحية، وهنا تكون مرحلة تضافر القوى والكدح الانساني لضمان استمرار الحياة وديمومة الخصب والتوالد (حنون 2005 ص15).

تبتديء قصة الخليقة البابلية (اينما عليش = حينما في العلى) منذ البدء حين لم يكن هناك كون ولا آلهة انما كتلة هائلة من المياه ابتدأت منها الحياة، وفي تلك الكتلة وجدت كل المياه ممتزجة فهي لم تكن مجسدة بقوة واحدة وانما بثلاث قوى او طواغيت او على حد التعبير البابلي (آلهة عتيقة) هي (آبسو وممو وتيامة)، فآبسو عنصر الماء العذب وتيامة عنصر الماء المالح اما ممو فتميل آراء المختصين الى اعتباره شيئا يرتبط بكتلة المياه الممتزجة ويتصل بها فهو السديم الذي يلفها (حنون 2002 ص22)، ونتيجة لامتزاج تلك المياه ولدت ثلاثة انواع من الالهة، فالنوع الاول كان تجسيدا للعماء الازلي الذي سبق الحياة (آبسو وممو وتيامة) والنوع الثاني سمي بالالهة الحية تمييزا عن آلهة العماء الاولى، اما النوع الثالث فهو بدأ مع آنو وكان على راسها ايا ومن ثم مردوخ ويمكن تسميتها بالالهة النشيطة اذ كان ما تتمتع به يفوق مجرد وجود نفس الحياة (حنون 2002 ص38-39).

لقد كانت افكار السومريين عن الخلق والتكوين افكارا ناضجة اثبتت مقدرة فائقة على الملاحظة الذكية والربط واستخلاص النتائج المنطقية، وان دراسة النصوص الاسطورية المتفرقة تعطينا التسلسل التالي لعملية خلق الكون:

1- في البدء كان البحر الاول الذي جسد بالاله (نمو) وهي المياه الاولى التي انبثق عنها كل شيء.

2- ان هذا البحر الاول انجب الجيل الكوني المؤلف من (آن) اله السماء المذكر و(كي) الهة الارض المؤنثة وكانوا ملتصقين مع بعضهما، ومن اتحاد هذين الالهين ولد الاله انليل اله الهواء الذي كان بينهما في مساحة ضيقة لاتسمح له بالحركة.

3- فصل الاله انليل اله الهواء السماء عن الارض ومضى يرتفع بينهما.

4- ولكن انليل كان يعيش في ظلام دامس فانجب ابنه نانا اله القمر فيبدد الظلام في السماء وينير الارض.

5- وانجب نانا اله القمر بعد ذلك اوتو اله الشمس الذي بزه في الضياء.

6- قام انليل مع بقية الالهة بخلق مظاهر الحياة الاخرى (السواح 1985 ص26-27).

الماء عنوان التحضر الانساني

ان عملية خلق الانسان شارك فيها اربعة آلهة وهي آلهة الخلق الرئيسية (آنو، انليل، انكي وننخرساك)، وهناك نصوص تحكي عن البشر الاوائل بصيغة تقرب من مفهومنا للانسان القديم الذي عاش في العصور السحيقة، حيث لم يصل هذا الانسان الى درجة التمدن الانساني لانه لم يكن يعرف كيف ياكل الخبز ويشرب الماء ويرتدي الملابس التي تعتبر من مقومات التطور الحضاري:

البشر الاوائل لم يعرفوا اكل الخبز بعد

ولم يعرفوا ارتداء الملابس بعد

وكانوا يسيرون على ايديهم وارجلهم

وكانوا كالخراف يعلفون الحشيش

ومن القنوات يشربون الماء (رشيد، فوزي 1985 ص168)

وان الذنوب التي كانت تسبب المرض في نظر المعتقدات الاخلاقية والدينية لسكان بلاد الرافدين القدماء كثيرة ومتنوعة، ومنها ما له علاقة بمفاهيم الاخلاق والتصرف بالمجتمع الذي ينم عن التصرف الحضاري وغير الحضاري ومن هذه المفاهيم (السرقة، القتل، البصق في ماء النهر الذي يرتوي منه الناس، تناول الطعام من ماعون وسخ وعدم احترام دور العبادة وسرقتها)، ويبدو واضحا ان القصد الضمني من اعتبار تلك الافعال ذنوبا تستحق العقاب هو الوقاية الصحية

العامة اضافة الى كون تلك الافعال لاتتفق مع تصرفات الانسان السوي والفكرة بحد ذاتها خطوة حضارية (السامرائي، كمال 1984 ص52-53). ولقد تضمن السلوك الديني بعض الالتزامات او النواهي التي تشمل جميع الاصعدة وتبدو واضحة في الحياة اليومية من جميع نواحيها وتكون ملزمة للانسان:

- ما كان ينبغي اداء القسم دون غسل اليد التي ترفع لادائه
- لا الشرب في كأس من طين غير مفخور
- لا اقتلاع غصن صغير في السهب او تحطيم قصبة في المقصبة
- لا التبول او التقيؤ في سيل الماء

واذا بدت هذه النواهي اعتباطية وخالية من معنى في نظرنا فانها كانت منطقية في نظر مستخدميها وفي رؤيتهم الخاصة للعالم وللقيم، فان اداء القسم بيد مغسولة يشير الى النقاء والطهارة وقول الحق، كما كان لسيل الماء عندهم طابع فائق الطبيعة فما كان ينبغي تدنيسه، انها التزامات الحق العام وتتعلق من زاوية اخرى بالاقرار الاجتماعي بحيث لاينبغي الحاق الاذى بالاخرين او بمصالحهم (بوتيرو 1990 ص276-278).

الحيوية الكامنة في الظواهر الطبيعية:

كانت الديانة العراقية القديمة تقوم على مبدأ (الحيوية Animism) وهو المبدأ القائل بوجود قوة خفية وحية في مختلف الظواهر الطبيعية والكونية حيث تتوضح هذه المرحلة في تطور الفكر الديني في حضارة بلاد الرافدين بتقديس الماء (الانهار) والنار والشمس والقمر والكواكب والريح والارض والنبات والاشجار والاحجار والجبال والعواصف والمطر.... وبمرور الزمن جسدت هذه القوى بشكل آلهة لها صفات وخصائص مميزة وواجبات معينة فصارت السماء الها (آنو) والشمس الها (شمش)، وهكذا بقية الظواهر الكونية الاخرى (رو ص13-131 والطعان ص361)، كما اعتبر البحر بكل انهاره وجداوله شيء متحرك وهي حية بروح (ايا) واولاده، وبهذا تكون الحيوية بمعناها العام الاعتقاد بالارواح التي تكمن في قوى الطبيعة وتقطن في الظواهر الطبيعية لتبدو مخلوقات خارقة ذات وجود مادي وهي التي تكون الالهة (رشيد، فوزي 1988 ص148-149).

آلهة المياه:

ضم مجمع آلهة بلاد الرافدين مظاهر مؤلهة للطبيعة بكل مظاهرها ووظائفها، وقد زودتنا النصوص المسمارية اثباتا باسماء الالهة ووظائفهم وعلاقة بعضها ببعض ونظموها في مجاميع، وقد ظهرت هذه الالهة تحت مسميات عديدة وكل اله له وظيفته الخاصة ومدينته المسؤول عنها، وقد قسم بعض الباحثين آلهة بلاد الرافدين الى آلهة رئيسية وآلهة محلية وآلهة فردية (الاله الحامي)، كما ميز آخرون الالهة حسب طبيعة المنطقة الجغرافية مثل آلهة الاهوار وآلهة الحقول وآلهة البساتين فضلا عن آلهة المياه:

الاله انكي / ايا:

يأتي في مقدمة الالهة المسؤولة عن المياه، ويعني اسم انكي بالسومرية (سيد الارض) اما كلمة ايا الاكدية فتعني (بيت الماء) وكان موضع عبادته في اريدو ويسمى معبده (اي – آبسو) اي بيت الغمر والمياه وكان له دور ايجابي في تلبية متطلبات الحياة من المياه فهو اله المياه وهي تسمية تعكس مسؤوليته عن الحياة وارتباطه الوثيق بها فضلا عن التعريف بمملكته التي غمرتها المياه من جميع الجهات (اوبنهايم ص،244 ، Blavk and Green, p.75) وقد جاء في احد التراتيل الدينية التي توصف هذا الاله ما نصه:

يا من شيدت اسسك في مياه العمق

انت كدجلة والفرات يخشى جلالك

انت مكان مقدس منعم بالحلي في مياه العمق

الاله انكي ملك مياه العمق (الطائي، نبيل ص140–142)

ومن ابرز صفاته المرتبطة باختصاصه ان كان الها للانهار والبحار والمحيطات وعرف عنه بانه مفجر العيون والينابيع وانه منبع الخير والبركة ووصف بانه المفرح والمرعب للبحر والانهار (الامين 1952 ص 222). وكثيرا ما كان الملوك الاشوريون يلجأون اليه اذا ما تعرضت بلادهم الى الجفاف والقحط ويطلبون منه الاستسقاء والغيث، وقد اطلق الملك الاشوري سرجون / شروكين الثاني على احد ابواب قصره في العاصمة دور شروكين (خورسباد) اسم الاله ايا ودعاه باب ايا الذي

تسيل منه الينابيع (Luckenbill ,II,1968,p.43). وان وظيفة الاله انكي هي الاشراف على نظام الارواء والمياه، وعندما انضج الفكر الديني اكثر اتضحت اهمية المياه في حياة الموجودات فازدادت مكانة واهمية هذا الاله وارتفع شانه وتعددت وظائفه في مقدمتها وظيفة الخصب كما جاء في اسطورة انكي ونظام الكون (عندما يظهر الاب انكي في الارض التي بذرت فيها البذور فانها تنتج بذور كثيرة النمو) (كريمر 1973 ص169). وكان للاله ايا عائلة واعوان كثيرون ولهم واجبات معينة تتعلق جميعها فيما يجلب الخير للبشر، فمن مجموعة اعوانه الاله (عيد Id)(CDA,p.125) اي الاله الذي ينوب عنه في المحافضة على المياه العذبة وتوزيعها، وكذلك ابنته الالهة (نينا Nina) الهة الينابيع والانهار والامطار ولعلها هي نفسها الالهة المتجلية من بين الغيوم وهي نفسها التي تظهر واقفة تحمل بيدها ينبوع الحياة الفوار (الامين، محمود ص226).

الاله ادد:

وهو من ضمن آلهة المياه وكان يمثل في نظر سكان بلاد الرافدين اله المطر والصواعق والعواصف الرعدية والبرق والفيضانات وهو الذي يسير الغيوم والرياح والزوابع وكان يحمل لقب سيد المياه الجوفية وهو سيد كل الظواهر الطبيعية وبما انه يمثل مظاهر الانواء الجوية لذا نجده ماسكا بيده حزمة البرق الذي مثل رمزه الرئيسي (الشاكر ص143–152).

الالهة نانشة:

وهي ابنة الاله انكي كانت ارتبطت مع المياه خاصة مع الانهار والقنوات، اذ عدت راعية للمياه الجارية وان مقرها كان يتمركز في القنوات والمجاري المائية فضلا عن وصفها الهة الحكمة والعلم وقد صنفت بصورة خاصة مع الكهانة وتفسير الاحلام ومع الطيور والاسماك، واعتبرت سيدة الاناء المقدس للمياه المطهرة (Black and Green , p.135).

الاله نابو:

اله الكتابة والحكمة والقلم وقد اشار اليه الاشوريين بانه مفجر الينابيع ومانح الخصب والنمو (الماجدي – انجيل بابل ص279).

الاله شمش:

اله الشمس والضياء، نسبوا اليه تحكمه بهطول الامطار التي تعد المصدر الرئيسي للارواء في بلاد آشور (ساكس 1979 ص389–390).

الاله ننيب (ننورتا):

كان الاله ننورتا معروفا منذ العصر السومري القديم وكان مركز عبادته نيبور، وربما اسمه (سيد الارض) مشتقا من اله النبات القديم URAS ويرى آخرون ان اسمه يعني (سيد المحراث) الذي مثل في الفن الاشوري، وفي العصر البابلي القديم تضاءلت شعبيته على اثر بزوغ الاله مردوخ، وقد كرس الملوك الاشوريون عبادة الاله ننورتا كاله معني بالحروب الذي سوف يساعدهم ضد اعدائهم وقد بني له معبدا في العاصمة الاشورية كلخو (نمرود).

كان ننورتا في الاصل اله المزروعات والمطر ولقد لعب دور اله الفلاحة في القصيدة السومرية الزراعية المعروفة باسم (تقويم الفلاح) حيث اعطى هذا الاله تعليماته ونصائحه المفصلة حول حراثة الارض وزراعة الغلة وتحضير الحقل اي ان تعليماته شملت كل ما يقوم به الفلاح خلال السنة الزراعية الكاملة. وان المظهر المزدوج للاله ننورتا (المحارب والفلاح) امتزجا في قصيدة سومرية توصف كيف استطاع هذا الاله بعد انتصاره على الشيطان (آساك) ان يعمل جدار من الحجر وسد عملاق لكي تصب به مياه الجداول والبحيرات في دجلة والفرات ليجعلهما مفيدان للري لتسهيل عملية الزراعة، ونتيجة لهذا العمل امتلات الحقول بالمنتجات الزراعية وتمتع الملوك والالهة بها، واخيرا بارك الاله ننورتا ذلك الجدار الحجري الذي اقامه والذي سماه (الجبل)(Black and Green,1998,p.142-145).

آلهة البحار:

ومن بين الالهة الاخرى التي اختصت بكل انواع المياه يرد اسم الاله (نندارا Nindara) وهو جابي البحر وزوج الالهة نانشة، والاله (سيرار sirara)اله البحر وتحديدا الخليج العربي (Black and Green , p. 135)، والاله (انبيللو Enbilulu) الذي يتطابق مع الاله (انديمدو Endimdu) اله السدود والقنوات (Black and Green,p.76)،وهو الاله العارف بشؤون الانهار ويمثل الاله المسؤول عن نهري

دجلة والفرات وهو احد ابناء الاله انليل في العالم السفلي، والاله (دموزي آبسو Dumu-zi-absu) الابن البار لمياه الاعماق او الابن المرتفع من مياه الاعماق والذي يمثل المياه العذبة التي تسقي النباتات والحيوانات وهو اله مدينة (كينيرشا) في منطقة لكش (الماجدي، خزعل – متون سومر ص152–153).

الاله النهر (النهر المؤله):

كانت الحياة في بلاد الرافدين متناسقة مع حركة الانهر والتي استندت عليها الحضارة، وعلى هذا الاساس فقد نظر العراقيون القدامى الى الانهار(narum) (CDA,p.242) نظرة قدسية منذ عصورهم الاولى، وقد وصلت هذه القداسة الى حد عبادة النهر اذ تقدمته العلامة الدالة على التقديس بكونه الها وهي علامة (DINGIR ilu /)، كما وصلنا اسماء تفيد بهذا المعنى مثل (النهر ربي، النهر خالقي) و اراد نهري اي (عبد النهر)، واسم آخر يدخل في تركيبه نهر دجلة (الاحمد 1981 ص142).

لقد قدس سكان بلاد الرافدين المياه واختاروا من يمثلها من الالهة لتولي مسؤولية توفيرها وتنظيمها وتوزيعها، ومن الطبيعي ان تكون انهار بلاد الرافدين وخصوصا نهري دجلة والفرات في مقدمة المصادر المائية التي خصهما سكان بلاد الرافدين بالتقديس والتعظيم وعدوهما من جملة الالهة المشتقة من قوى الطبيعة وذلك لدورهما الكبير في بناء الحضارة ونشوءها واستمراريتها(باقر، 1955 – ج1 ص41)، وقد جاء في اللوح الخامس من قصة الخليقة البابلية ما نصه:

جمع مردوخ لعاب تيامة
خلق منها الغيوم وجملها بالمطر والزمهرير
دفع الرياح وانزل المطر
رتب راسها وجمع (فوقه جبلا)
فتحت فيه ينابيع وجرى منها الماء الحي
في عينيها فتح الفرات ودجلة
وثقب فيها تدفقات الماء لتجري الينابيع (لابات 1988 ص57)

وجاءنا من ادب التراتيل ومراسيم الصلوات في حضارة بلاد الرافدين ما يعرف ب (خطاب الى النهر) حيث تكون الابيات الثمانية او التسعة الاولى منها

استهلالا حواريا لطقس مائي كانت مراسيمه تقام عند النهر، ومن دون شك فان النهر المقصود هو نهر الفرات الذي هو لبابل ما كانه النيل لمصر، لقد كان الفرات حقيقة الامر خالق الاشياء كلها ونهر الهياكل المقدسة ذلك ان بلاد بابل كانت تستمد خصوبتها بل وحياتها بشكل رئيس من امواهه وذلك ان المعابد كانت تتزود من فيض مياهه الدافق:

1- يا ايها النهر، انت خالق الاشياء جمعاء
2- حينما حفرك الالهة العظام
3- اقاموا على ضفافك اشياء صالحة
4- في طياتك اقام ايا ملك الاعماق مستقرا له
5- امدوك الالهة العظام بفيض لايحد من المياه
6- نار وغضب، عظمة ورهبة
7- امدك بها مردوخ
8- انت الذي تفصل في قضايا الناس
9- يا انت، ايها النهر العظيم، انت ايها النهر المعلى، انت ايا نهر الهياكل المقدسة
10 – مياهك تجلب المسرة، فتقبلني بنعمى
11 – خذ ما في يدي الى شطآنك
12 – اجعله يغرق عند شاطئك، اجعله يطيب في اعماقك (هايدل 2001 ص97-98).

ونظرا لقدسية الانهار واهميتها ومن اجل ضمان تدفق المياه فقد اعتقد سكان بلاد الرافدين باهمية تقديم القرابين والنذور من الحيوانات فضلا عن قرابين مادية اخرى تعبيرا عن شكرهم وعرفانهم لهذين النهرين (الامين ص32)، وكان من ضمن القرابين والنذور المقدمة للنهرين واستنادا الى المصادر المسمارية هي الذهب والفضة والاحجار الكريمة وغيرها من الاشياء المادية الثمينة، وقد قام الملك سين – آخي – اريبا (سنحاريب) اثناء حملته على بلاد عيلام وهو في وسط البحر بتقديم قربان على شكل سمكة ذهبية وزورقا القى بهما في البحر الى اله المياه انكي / ايا تعبيرا عن شكره بسلامة وصوله، وقد جاء في النص (رميت في البحر سمكة ذهبية وزورقا) (Van Buren ,1948,p.103-120)، وان اهمية ماء

النهر واضحة عندما ننظر الى القوانين المدونة اذ كان النهر يمثل عدالة الاله في المفهوم الديني لحضارة بلاد الرافدين (رشيد،فوزي 1979 ص187).

الاختبار النهري المقدس: المحاكمة بالنهر او المحنة River Ordeal:

ورد في القوانين العراقية القديمة وبعض النصوص المسمارية ومن ضمنها الرسائل المتبادلة بين بعض الملوك والحكام، ما يشير بشكلٍ واضح إلى أن الامتحان بواسطة النهر المقدس أو ما يعرف بـ (المحنة) كان من الوسائل التي لجأت إليها المحاكم القديمة لإقامة الدليل على الشخص المتهم في حالة غياب أدلة الإثبات الأخرى المتعلقة بالقضية أو استنفاذها دون التوصل إلى قرار حكم فيها، وبناءً على ذلك فإن المتهم كان يخضع في مثل هذه الحالة إلى محنة الامتحان في النهر المقدس(الخطيب ص152).

ويعتبر الاختبار النهري المقدس(الخرشان hursannu)(CAD,p.122) احد طرائق الاثبات الدينية التي اعتمدتها القوانين العراقية القديمة وكذلك القضاة القدماء وهي (الاقرار والكتابة والشهادة واليمين)، ويتضمن الاختبار النهري ذهاب الشخص المتهم الى النهر (المقدس) ويقفز فيه وتكون نتيجة الاختبار بحسب ما سيحدث لذلك الشخص وهو داخل الماء، فاذا نجا المتهم فان ذلك دليل براءة واذا كان مذنبا بدأ بالغرق اي ان الالهة قد قضت امرها فيه اي ان الوسيط الالهي الذي استشهد به في الاختبار النهري يشير الى براءة المتهم او ثبوت التهمة عليه حسب معتقدات القوم آنذاك، وان سيادة الاختبار النهري في بلاد الرافدين ربما كان نتيجة الاهمية الدينية للنهر واله النهر، ويشير احد الباحثين الى ان الالهة ايرشكيكال الهة العالم السفلي كانت لديها السلطة على النهر المقدس وهذا يعني انها كانت تشارك في اصدار القرار بشأن مصير من يخضع للاختبار (سليمان، عامر 1999 ص122، ومصطفى، هبة 2011 ص13 و ص104-105). ويرد في احد القطع الادبية الدينية التي قد تكون جاءت على لسان احد المتهمين بانه القاضي الحاكم بين الناس ما نصه:

ايها النهر

يا خالق كل شيء

حينما حفرتك الالهة العظام

اقاموا على شطئانك

وفي طيات غرتك

بنى ايا ملك الغمر مقامه وانعموا عليك بفيض من الحياة لا نظير له

فيا ايها النهر العظيم

ايها النهر المجيد

يا نهر المعابد المقدس

مياهك تفرج الغمة فتقبلني برأفة (شيت، ازهار 2006 ص22)

القوانين التي تستخدم المياه لمعاقبة الجناة:

كانت مياه النهرين العظيمين دجلة والفرات (الذي يجري فيهما الاختبار النهري) مقدسة عند قدماء العراقيين لاعتقادهم انها تطهر المجتمع العراقي القديم من الجرائم الاجتماعية، وتبدو اهمية ماء النهر واضحة عندما ننظر الى القوانين المدونة، اذ كان النهر يمثل عدالة الاله في المفهوم الديني لحضارة بلاد الرافدين، وقد تكلمت عدد من القوانين العراقية القديمة عما يعرف بالاختبار النهري او المحنة ordeal اذ كان المجرم يغطس في النهر الالهي وهذا الاخير يقرر الحكم بالبراءة او الذنب وفي النهاية الحياة او الموت، كما استخدم لتقرير المرأة الخائنة (رشيد، فوزي 1979 ص141-146)، كما جاء في احد الامثال العراقية القديمة (ان نهر دجلة يحمل آثام وجرائم الاشخاص) (Lambart , 1960,p.252).

يرد مفهوم العدالة في المحاكمة بالنهر كما يرد (يمين الالهة) في شريعة حمورابي كوسيلة لتسوية الدعاوى بالعدالة التي تبدو الهية من خلال الانهار، فاذا القي الانسان في النهر فان اله النهر يؤكد ان المجرم يغرق والبريء يخرج سالما (الان ساخذ هذين الرجلين الى اله النهر، وان متهميهما محجوزان هنا في السجن، لياخذهما احد خدمك الموثوق بهم الى اله النهر واذا خرجا سالمين فاني ساحرق متهميهما بالنار، واذا مات الرجلان فاني سوف اعطي بيتهما ومتعلقاتهما الى متهميهما). وان اله النهر لم يعط نتيجة واضحة دائما، فثمة نص صعب يسجل نزاعا على ملكية مدينة حدودية تقرر فيه ان يحال رجل وثلاث نساء الى المحاكمة بالنهر، بقي الثلاثة الاوائل على قيد الحياة ولكن المرأة الثالثة غرقت. وكان من المحتمل وجود امور اخرى غير السباحة، غير اننا لانعرف بالضبط ماذا يحدث

سوى ان مسافة معينة كانت تحدد لكل شخص على وفق ما جاء في تلك الرسالة (دالي،2008 ص196-197).

ونقرأ في قوانين الملك اورنمو مؤسس سلالة اور الثالثة عن اختبار الماء مانصه (يأخذ المتهم اليه للتأكد من براءته)، كما شرعت مواد قانونية عديدة في قانون حمورابي تناولت عقوبة الرمي في الماء، وقد خص هذه لمن ارتكب جريمة الزنا المشهور رجلا كان ام امرأة (المادة 129) او الى من امتهن بيع الخمر او الجعة من النساء ومارست الغش في معاملتها (المادة 108)، وقد تناولت عقوبة القذف في الماء بحق المراة التي يقع زوجها في الاسر ولم تحافظ على عفتها اثناء مدة غيابه وارتكبت جريمة الزنا (المادة 133) ومعاقبة الزوجة التي تشهر بزوجها وتحط من شانه امام الناس (المادة 155)، وكذلك الاعتداء الجنسي من قبل رجل على زوجة ابنه (المادة 155). وجاء في المادة (132) من قانون حمورابي ما نصه (اذا اشر بالاصبع على زوجة رجل بسبب رجل ثان ولكنها لم تضبط وهي تضاجع الرجل فعليها ان تلقي نفسها في النهر لاثبات براءتها لاجل زوجها)، كما جاء في المادة (17) من القانون الاشوري الوسيط ما نصه (اذا قال رجل لرجل آخر ان زوجتك زانية ولم يكن لديه شهود حول صحة قوله فعليهما ان يذهبا للنهر للحكم الالهي) (رشيد فوزي 1979).

وأساس الفكرة في هذا الامتحان تستند إلى قيام الشخص المتهم بإلقاء نفسه في النهر، فإذا أمسك به النهر وأغرقه كان ذلك دليلاً على إدانته بالذنب الذي اقترفه وقد نال الجزاء الذي يستحق، وإن لم يُصب بأذى فإن النهر المقدس يكون قد بَرَّأه من التهمة الموجهة إليه، وفي حالة رفض المتهم القبول أصلاً بفكرة الامتحان فإن أصبع الاتهام يُوجه إليه ويعد مذنباً في نظر المحكمة وعامة الناس(فون زودن ص161)، وعادةً ما يكون سبب الرفض في مثل هذه الحالات هو الخوف من الآلهة، خاصةً إذا كان إدعاء الشخص المتهم باطلاً وغير صحيح، كما يشير إلى ذلك النص الآتي: (ولأن فلان بن فلان وشهوده خافوا أن يسألوا الآلهة خسروا الدعوى وأدينو بالدفع) (كييرا ص206).

القسم بالماء:

يعد القسم واحدا من الاجراءات المهمة المتبعة في التقاضي ووسيلة اساسية من وسائل ادلة الاثبات، وكان المعبد مكانا لاداء القسم وخاصة ان مثل هذا المكان

له تاثير في النفس البشرية وما ينتابها من عوامل الخوف من الالهة والعجز امامها مما يدفع المرء الذي يطالب منه اداء القسم الى قول الحقيقة وتجنب الكذب (الطالبي، احلام 1999 ص114-115).

كان طقس القسم او (يمين الالهة) يستعمل عادة لمعاهدات الصداقة والتحالف بين دولتين او بلدين ولانواع اخرى كثيرة من الاتفاقات والنزاعات الكبيرة والصغيرة، واذا رفض متنازعان اداء اليمين او انهما لايمكن الوثوق بانهما يتبعان الاجراء الصحيح فان موظفين معروفين للمناسبة (موشا زكيروم musazakirum) اي موظفي اداء الايمان (CDA, p. 221) يرسلون لتنفيذ اداء اليمين، وكان الطقس يستعمل الى حد ما للكشف عن الكذب او اثبات البراءة (جعلوهم يقسمون يمين الالهة وخرجوا سالمين) (دالي 2008 ص196)،وكان يجب اداء القسم بعد غسل اليد التي ترفع لادائه لان اداء القسم بيد مغسولة يشير الى النقاء والطهارة وقول الحق (بوتيرو 1990 ص276).

في ملحمة الخليقة البابلية (حينما في العلى) وعندما ينتهي الصراع، وبعد الاحتفال بتشييد بابل يجتمع الالهة الكبار الى وليمة في البيت الجديد، وبعد ان شربوا واكلوا قاموا بتوزيع الاعمال والوظائف السماوية والارضية، ويجعلوا اقدار مردوخ اعلى من ذي قبل، ثم انهم يؤدون قسما بالماء والزيت على الاحتفاظ بالحياة (عندها خروا ساجدين امام الاله مردوخ وربطوا انفسهم بالقسم بواسطة لمس حناجرهم بالماء والزيت)، وفي ذلك الاجتماع يعلن انشار (اسرلوخي) وهو اسما آخرا لمردوخ، ويدعو الالهة جميعا الى اظهار الطاعة كلما ذكر اسمه والى الاصغاء لكلمته وتعظيمها في العلى والدنى، ويدعو انشار الى اعلان الاسماء الخمسين لمردوخ وهي الاسماء التي تعبر عن قدراته التي ثبتها له الالهة كما جاء في اللوح السادس الاسطر 95-122 (حنون 2006 ص32 و Jacobsen,1976,p. 182):

اجتمع الالهة العظام

وجعلوا اقدار مردوخ عالية وثبتوها

رددوا لانفسهم لعنة

واقسموا بالماء والسمن ان يتمسكوا بالحياة

منحوه ممارسة ملوكية الالهة

مثبتون هم لقيادة آلهة السماوات والارض

انشار، عظم (اسارلوخي) واعلنه اسما له وقال

علينا ان نظهر الطاعة لذكر اسمه

ليصغي الالهة له، للفظ فمه

لتكن كلمته معظمة في العلى والدنى

ليسموا الابن الآخذ بثأرنا

لتكن سيادته متفوقة لامنافس لها

وبالنسبة لنا فبقدر ما هناك اسماء ننطقها

فتنه هو الهنا حقا

فلنعلن اسماءه الخمسين (حنون 2006 ص188-189)

وفي نص مسماري يعود الى الملك اسرحدون، يقول هذا الملك خلال الحرب الاهلية مع اخيه عام 681 ق.م ما نصه (الشعب الاشوري الذي بالماء والزيت وبالالهة العظيمة اقسم اليمين للولاء والاخلاص ليحيي مملكتي) (Parpola,1997,p. LXKII).

ومن العادات والطقوس الخاصة بعقد المعاهدات والاتفاقات ووضعها موضع التنفيذ هو تقديم مائدة تحتوي على الطعام والشراب وايقاد النار وسكب الماء على الزيت ولمس كل طرف صدر الاخر، وهذا ما جاء في نص معاهدة الملك الاشوري اسرحدون مع (رمقايا) حاكم مدينة (اركزبانو) الميدية (كما وضعت الالهة، بحيث ان تقيموا معاهدة تقديم مائدة الطعام بشريكم من الكأس، وبايقاد النار، وبالماء والزيت يلمس الصدر، لاتربطوا بعضكم بالقسم، لكن يجب ان تذهبوا وتخبروا آشوربانيبال ولي العهد ابن اسرحدون ملك آشور) (اسماعيل، شعلان،1991 ص159).

الخطايا الدينية والاخلاقية المرتبطة بالمياه:

تعد الذنوب والخطايا من اهم اسباب المرض التي تجلب عقاب الالهة، وواحدة من هذه العقوبات هو اداء القسم الكاذب كما جاء في النص (احترم قسمك واحفظ نفسك، ان الذي يقسم زورا في محنة النهر... ميراثه، ولا تنجب زوجته ابدا)،

ويشير نص من سلسلة (شوربو) الى خطايا الانسان ذات الطبيعة الدينية ومنها ان كان قد اساء الى الالهة او اكل ما هو محرم للالهة او لم يحضر الطقس الخاص بتقديم القرابين بصورة دائمة وبمواظبة او اهمل الهه، وهناك ذنوب ذات طبيعة اخلاقية كأن مارس الكذب واثارة العداوة بين الاقارب والاصدقاء وغيرها، وكذلك بعض الفقرات التي لها علاقة بالمياه مثل (رفضه قرض قناة السقاية الذي طلب منه ليوم واحد، ورفضه اعارة اناء الماء الذي طلب منه)، فضلا عن الخطايا المقصودة والموجهة ضد الاله والانسان او ارتكبت سهوا مثل اكل شيء محرم او (رافق المسحورين واكل من صحنه او شرب من قدحه) او ربما قد فعل شيئا اثناء مشيه في الشارع (ان كان قد تخطى فوق الماء المقدس المسكوب او داس ماء قذرا او نظر مرتابا الى الماء المستعمل لغسل الايدي او لامس امراة بيدين غير نظيفتين او نظر مرتابا الى امراة ويداه غير مغسولتين او لامس احدا غير نظيف) فكل هذه تعتبر اثام (يحيى، اسامة 2015 ص26–32).

ماء الحياة العذب – شعار سومر:

وهو احد رموز الاله ايا اله المياه العذبة والشفاء والعلم والكتابة والحياة الخالدة الذي يجري الانهار وبيده مياه الينابيع، وهو الاله الوحيد الذي كله خير للبشرية، وقد مثل هذا الرمز شعار سومر الذي يعبر عن الحضارة الخالدة – حضارة بلاد الرافدين، وهو عبارة عن الاناء الفوار بماء الحياة العذب الذي يمسك به الاله ايا بكلتا يديه، فتارة من حلقه وتارة من اسفله وحلقه معا. وقد وجد هذا الشعار منقوشا على الاختام الاسطوانية بمشاهد دينية وغير دينية مختلفة وذلك بطريقة النحت البارز والنحت المجسم، وقد مثل الاناء الفوار الذي ينبع منه ماء الحياة العذب ويسيل من جانبي الاناء دلالة على شدة تدفق الماء وغزارته، وكثيرا ما يظهر الاله ايا نفسه مصورا على الاختام الاسطوانية قائما مقام الاناء بدافع الاعتقاد ان الاله ايا هو المنبع للماء العذب فينساب الماء العذب من يديه او من كتفه. وان الفرضية الشائعة في تفسير هذا الرمز تشير الى ان الاناء المتدفق بالماء هو اشارة رمزية الى ينبوع الماء العذب من الجبال الذي يتدفق من مجريين عظيمين يتكون كل منهما من ثلاثة فروع وينصبان في البحر المحيط الذي تقوم فوقه اليابسة، فالعين الفوارة المتدفقة بالماء العذب التي يحملها الاله ايا او احد

اتباعه من آلهة الماء هي منابع دجلة والفرات وان الفروع الثلاثة التي تكون كلا هذين المجريين المتشابهين من الاناء الفوار هي الروافد الرئيسية التي تصب في دجلة والفرات والمتكونة من الزابين ونهر العظيم او نهر ديالى ثم من نهر الخابور ونهر بالخ ونهر مراد صو في آسيا الصغرى التي تزيد بمياهها ماء النهرين العظيمين (الامين، محمود 1952 ص214 -222).

طقوس التطهير :

حضيت المياه بقدسية كبيرة ومنحت الصفة الدينية فعدت واحدة من وسائل التطهيرعند العراقيين القدامى الذي كان يجري بطرق عدة تصاحبها صلاة التوبة التي تربطه مع الطقوس الموظفة والشعائر الدينية وهذه الطرق هي:

1- عناصر النار (الحرق واحراق البخور)، والنار تمثل الاله نسكو اما الحرق فيشير الى الاله كيبل لعلاقته بالنار والعالم الاسفل معا.

2- استخدام الماء بواسطة الاغتسال وسكب السوائل (الماء والزيت) اللذان يمثلان الاله انكي /ايا (الماجدي – متون سومر ص315)، اذ كانت تنسب الى الاله ايا خاصية الماء وكان يلقبه قدماء العراقيين باله الماء (الامين، محمود ص228).

ويشكل الماء والنار عنصرين رئيسين لطرد العفاريت حيث ان طقس الاله ايا يدور حول استعمال الماء في شتى الاصناف، ففي هذا الطقس ياخذ الساحر ماء من دجلة او الفرات ويرشه على جسم المريض مع قراءة:

بماء طاهر نظيف

بماء صاف

سبع مرات رش وطهر ونظف

هلا ترحل الرابيصو الشريرة (الاحمد 1988 ص69-70)

3- تقديم الاضاحي وعمل الضوضاء من خلال قرع الطبول.

4- عمليات الدفن التي تشير الى الاله دموزي (الماجدي ص315)

طقوس التطهير بالماء:

تعكس مضامين النصوص المسمارية ما يشير الى ان المياه تعد من ابرز وسائل التطهير لدى العراقيين القدماء لانها كانت تهدف في نظرهم الى تطهير المجتمع

بصورة عامة من كل مظاهر الدناسة والقذارة التي لحقت به من جراء الاثام والمعاصي المرتكبة بحق الالهة (فون زودن 2003 ص216). وقد زادت اهميتها عندما اخذت صبغة دينية، فلكي تنجز خدمة الالهة بالاضاحي والتقدمات ولكي تشارك بالطقوس الدينية او تنفذ الطقوس الفعالة الخاصة بالسحر كان من الضروري للمشاركين ان يكونوا مطهرين (Black and Green,p 152)، كما اعتبر الماء ضروريا لاقامة الصلوات، اذ نقرأ بهذا الخصوص ما جاء في النص الاتي (صلاة العراف عندما يطهر فمه باداء طقوسها وهو ما يعرف بطقسل غسل الفم وكذلك غسل يديه وهو ما يعرف طقس اليدين وكذلك طقس الاستحمام او الغسل الكامل) (كونتينو ص272–273)، وكانت عملية التطهير بالماء هي الاساس حيث انها كانت ترضي الالهة فتعمل هذه الاخيرة على ارسال المطر الى الارض، كما ان عملية صب الخمور على الارض يمكن ان تلتذ السماء به ويمكن ان ينهي حالة الجفاف، وهو ترميز لسقوط المطر من السماء الى الارض (الماجدي 2001 ص255–259). ويشترط في استخدام المياه لاغراض التطهير وطقوس الغسل ان تكون نقية ونظيفة لتؤدي الغرض الذي من اجله استحدثت وهو التطهير، اذ اكدت التعليمات الدينية على استعمال (ماء نظيف) من النهر المقدس اي من دجلة والفرات لاغراض دينية، كما جاء في النص الاتي:

الماء الموصوف ماء نظيف

ماء نظيف، ماء للتطهير

من مصب الماء الصافي سكب الماء علي للتطهير (شمار ص211)

كما ويشترط على من يتكفل بجلبها من النهر او غيره من مصادر المياه الاخرى ان يكون نظيفا غير مدنس بخطيئة كما يوضح النص الاتي (الشباب الذين ليس لديهم علاقات جنسية مع النساء سوف يسحبون الماء من القناة) (الخطيب 2010 ص189)، وباختصار ان كل ما كان محضورا وعد خطيئة كان نجسا غير طاهر لانه يدنس الروح (فريشاور ص81).

وقد ورد في النصوص المسمارية من عهد الملك سرجون الاشوري ذكر لوجود مهنة الساقية (امراة تسقي المياه)والمرجح انها كانت تقوم ببيع الماء وايصاله الى المساكن (Stienkeller,1982,p.359).

كهنة التطهير:

كان الكهنة ينجزون الطقوس اليومية لكي يعطوا ضمانة للالهة بانهم سيكونون سعداء في بيوتهم الارضية، فكانوا ينشدون التراتيل والمديح ويقدمون الذبائح الحيوانية كما كانوا يحممون ويلبسون ويطعمون تماثيل الالهة في المعابد،وكان يتولى مهام ادارة الطقوس الخاصة بالتطهير والغسل صنف خاص من الكهنة ومن ذوي المناصب العليا ، ومنهم:

1- الماشماشو Masmassu: وهو الكاهن المتخصص بالاشراف على طقوس التطهير التي تجري في المعبد(مطهر المعبد) وهو معروف جيدا في الفعاليات الدينية لبلاد الرافدين وخاصة عيد اكيتو اذ كان دوره الرئيس في تنظيف معبد ايساكيلا (Bidmead,2002,p.119-120).

2- اشيبو Asipu: كاهن في المعبد(الكاهن الذي يقرا التعاويذ ويقوم بطرد الارواح الشريرة) يقوم بطقوس تتعلق بشفاء المرضى اذ لا يمكن للاشخاص العاديين القيام بتلك الطقوس لان كثير منها ترتبط بعلم الفلك والنجوم، وقد اختص بالتطهير وكان يطلق عليه(المطهر)، وكان الاشيبو يطهر البيت بالماء المقدس من خلال اناء خاص ويهيء لتحضير بيت الاغتسال، ويعتبر الاشيبو من الكهنة المعزمين الذين يلبسون اللباس المشابه لشكل السمكة عند ممارستهم العمل ليؤكدوا صلتهم بالاله انكي / ايا،كما كانوا يحملون بايديهم عصا سحرية هي سلاح ايا المقدس وكانوا يقومون بحركات وايماءات واعمل طقسية معينة وكانت ترافق ذلك ايضا رقصات وحركات واغاني جماعية (كونتينو ص482).

3- البارو: وهم الكهنة المتنبؤون الذين يقرأون الفأل وكانت مرتبتهم رفيعة اعلى من المعزمين، وكان هؤلاء العرافون يقرأون الفأل من خلال وسائل عديدة اهمها عرافة الاحشاء وبشكل خاص الكبد، وسكب الزيت على الماء Lecanomancy وقراءة ما يتركه من خطوط (الماجدي، متون سومر ص273).

4- رامك Ramka: وهو مختص بالتغسيل والتعميذ وهم المغسلون او المعمذون الذين يستعملون الماء لغسل الجسد كله.

5- كالو kalu: وقد ظهر هذا النوع من الكهنة في العصر الاشوري لخدمة المعبد وكان بمثابة مساعد الاشيبو في اجراء العديد من طقوس التطهير والتبخير

وسكب السوائل فضلا عن اقامة الطقوس والاحتفالات الدينية الاخرى (بوتيرو 1970 ص138).

الكاهن الذي يرتدي زيا بهيئة حراشف السمكة:

اظهرت لنا النصوص المسمارية والمنحوتات الفنية والنصب التذكارية والفنون الاشورية والاختام معلومات ومشاهد عن رجال بهيئة اسماك، وقد صورالرجل السمكة وهو يحمل بيده دلو (banduddu)(CDA,p.37) وتتبع ثلاثة جداول من فوق كتفيه لتصب في هذا الدلو، وغالبا ما يكون الرجال الذين يضعون على رؤوسهم جلود السمكة من الكهنة المعزمون (اشيبو)، ولعل السبب الذي دعى الكهنة بلبس ازياء بهياة (حراشف السمكة) لان من يغور في العمق يعرف الاسرار وان هذه الاسماك تغوص في العمق ايضا. وقد زخرفت واجهة القصور الاشورية بمنحوتات جدارية تمثل رجال بهيئة السمك المجنح كما هي الحال في مداخل قصر آشور ناصر بال الثاني في مدينة كلخو (النمرود) (النجاري 2005 ص81)، وجاءنا من عصر سنحاريب مشهد كاهن آشوري وهو يرتدي زيا دينيا بهيئة السمكة وحراشفها فوق البدلة ويحمل بيده اليسرى دلوا يستعمل للطقوس الدينية كما اضيفت الاجنحة لزي السمكة وزخرفت من الاعلى بزخارف المربعات الهندسية ومن الاسفل بزخرفة المستطيل وتبدو اللحية متدرجة وتم تلوين السمكة بلون اسود لاضفاء جنالية على المشهد (Black and Green , p. 101).

تطهير الالهة:

كانت الالهة تخضع الى عملية التطهير استنادا الى مبدأ التشبيه الذي تتميز به الالهة، ففي ملحمة الطوفان (اتراخاسيس) تقع مهمة التطهير على عاتق الاله انكي عندما تقوم الالهة الام (بيليت – ايلي) بخلق الكائن البشري، حيث جاء في النص:

ليس لي ان اقوم بذلك

فان المهمة تقع على عاتق انكي

فهو الذي يطهر كل شيء

فليعطني الطين لكي ابدأ بالعمل

فتح ايا فاه

وقال للالهة العظام

في اليوم الاول والسابع والخامس عشر من الشهر

ساعد حماما للتطهير

فليذبح اله

وليغطس فيه الالهة الاخرون فيتطهروا (لابات 1988 ص22)

التطهير الملكي:

ان التطهير سواء اتخذ شكل الاغتسال او الوضوء كان يمثل مركزا واضحا في طقوس التكفير، والتطهير الملكي كان موضع اشارة في بعض النصوص التي ترجع الى السنة الثالثة من حكم العاهل (شو – سين) كما نجده في موضع اشارة في لوح آشوري حيث جاء فيه (ان اليوم الذي نزل فيه الملك توكلتي – ننورتا آشور في حوض المعبد من اجل ان يغتسل بالماء المقدس)، ولكن يبدو ان الاغتسال لم يكن يشترط فيه ان يتم في حوض المعبد فقد كان يحصل ان يستحم في النهر، وهذا ما تشير اليه الرسائل التي تعود الى عهد السرجونين.(الرابع والعشرون يذهب الملك الى النهر وينجز هناك طقوسه) ولا شك ان الاغتسال كان يصحبه استبدال الملابس ولبس الملابس النظيفة كما كانت تعقبه بعض الاحيان طقوس اضافية كالصوم والامتناع عن الاقتراب من اية امراة (الطعان ص533). والمعروف عن سرجون الاكدي لما وصل بجنوده الى ساحل الخليج العربي امر بغسل اسلحتهم به كطقس طهوري (الاحمد 1975 ص66)، وقد اعتاد الملوك الاشوريون على غسل اسلحتهم في مياه البحر كطقس ديني يشير الى انتصارهم، اذ يذكر الملك الاشوري آشورناصر بال الثاني ما نصه (عندما اجتزت جبال لبنان ووصلت الى البحر الكبير لبلاد امورو، وغسلت اسلحتي في البحر العميق واستلمت الجزية)، كما ان عادة رش الماء (ماء الورد) من الاناء الذي لمسته اصابع تمثال الاله على الملك ورجال حاشيته تدخل في نفس العقيدة بكون الماء مباركا (oppenhiem,1969,p.289).

طقوس تطهير الارض:

كان هذا الطقس ينجز بحضور الملك والكهنة الخاصين بالتطهير حيث يتم تطهير الارض التي سيقام عليها المعبد ورشها بالماء المقدس لازالة كل مظاهر التدنيس

والنجاسة عليها (شمار ص213)، واذا كان المعبد سيقام على انقاض معبد قديم فان الضرورة كانت تقتضي الكشف عن الاسس القديمة للمعبد وتطهيرها طقوسيا من قبل الملك قبل الشروع بالبناء الجديد (ساكس 1999 ص420–421).

طقوس تطهير المعبد:

كان الاعتقاد السائد في بلاد الرافدين ان كل شيء يلامس الالهة من خلال الطقوس يجب ان يكون نظيفا ومطهرا، وفي معظم الاحيان كانت تجري طقوس للتطهير بالماء قبل ممارسة الشعائر الدينية في المعبد من خلال القيام بتنظيف المعبد بالكنس ورش الماء وترسيب الغبار وحرق البخور وتلطيف الجو بالروائح العطرة، كما كان الاشخاص المشاركون بالطقوس يتطهرون بالماء ومنهم العراف والملك والمنشد، فكان على العراف الاستحمام وغسل الفم واليدين وتنظيف الجسم اي تطهير الشخص فضلا عن غسل تماثيل الالهة ايضا بالماء، كما تتضمن طقوس التطهير غسل البيت لجميع غرفه وجميع محتوياته (Black and Green , p. 153، ساكس 1979 ص353).

وقد جاءنا من طقوس عيد اكيتو انه خلال الايام الاربعة الاولى من الاحتفال كان على الكاهن المختص بالتطهير (مشماشو) ان يقوم بالاغتسال في النهر وفي اليوم الخامس يقوم برش الماء المطهر في الاركان الاربعة للمعابد التي ترمز الى الاتجاهات الاربعة وعلى جدرانه وتدق الطبول التي تعمل على طرد الشر بواسطة الضوضاء وتحرق البخور وتقرأ التراتيل الدينية والرقى بهذه المناسبة (رو ص532 و Bidmead, p. 72-74). كما كان يتوجب على الملك ايضا المشاركة الفعلية في طقوس التطهير الخاصة بافتتاح المعابد بعد اكتمال بنائها، وفي كل تلك المشاركات كان على القائمين باجراء تلك الطقوس من الملوك والكهنة القيام بتطهير انفسهم اولا قبل البدء باجراءات تطهير المعبد للحيلولة دون تعرضهم للتدنيس (Linssen , 2004 , p. 153).

ويشير احد النصوص الطقسية في عهد الملك الاشوري آشوربانيبال والتي كانت تتكرر سنويا في السادس من شهر shabatu والعاشر من شهر addaru حيث يدخل الملك الى المعبد ويقوم بغسل الأرض امام الاله آشور ويدعى (يوم الغسل او الوضوء) (Cohen,1993,p.339).

تطهير المدينة:

قد يتطلب الامر احيانا من الملك غسل مدينة باكملها لتطهيرها من الذنوب والخطايا استنادا الى ما جاء في اسطورة انكي ونظام الكون، فقد وصف مدينة اور بانها المدينة المطهرة بالماء حيث جاء في النص (ايتها المدينة التي تملك كل ما هو لائق، المطهرة بالماء، يا اور يامن هي مزار، عسى ان ترتفعي الى عنان السماء) (كريمر 1973 ص243).

تطهير العبيد:

لايعرف بالضبط كيف يتم تطهير جبين العبيد، واعتقد البعض ان شكل ما من التطهير بالماء، واستندوا في ذلك على اهمية دور الماء وقدسيته في حياة العراقيين القدماء. وجاء على لسان المعذب في التاليف المعروف (لامجدن رب الحكمة) ما نصه (بجانب النهر حيث يقرر حكم الناس حلقت مقدمة راسي وعلامة عبوديتي ازيلت) اي طهره بالماء، وجاء كذلك (طهر عبد هذا الرجل بالماء الصافي المقدس من آبسو)، كما جاء في بعض النصوص المسمارية ما يفيد الى العتق بواسطة مسح الراس بالزيت (الرويح ص132).

طقس تطهير الحيوانات:

كانت معظم الحيوانات المقدمة كأضاحي خلال المناسبات الدينية ومنها الثيران تخضع لطقس التطهير وذلك برشها بالماء قبل نحرها وبمرافقة تراتيل معينة ، ثم بعد ذلك تغسل قطع لحم الحيوان الاضحية وتنظف بالمياه لتطهيرها وازالة اسباب التلوث عنها قبل استعمالها او القيام بحفظها،ففي طقوس عرافة الاحشاء وفي طقوس القرابين كان يتم رش الماء على الاغنام ترافقها تراتيل وصلوات معينة، وفي طقوس (كالو kalu) كان يتم رش الماء على (الثور الكبير)، وفي كل هذه الحالات كان الماء الطاهر هو العنصر الذي تتم بواسطته ممارسة الطقوس الدينية من قبل الكهنة المؤهلين في المعبد والتعامل مع هبات القرابين (Linssssen ,2004 , p. 150).

طقوس الاغتسال بالماء:

لعب الماء دورا مهما في العديد من الطقوس الدينية، فاستعمال الماء لغرض ديني يجلب التكامل ويوحي الى المقدرة والزهو، وقد استعمل الماء في طقوس راس السنة

البابلية (اكيتو) بصورة رئيسية كمنظف ومطهر، فقد كان الكاهن يغسل نفسه بالماء يوميا ويرش المعبد بالماء خلال عملية طرد الارواح الشريرة، كما كان الملك والكهنة ينجزون احتفال غسل الايادي خلال اغلب الطقوس، كما استخدم العراقيون القدماء الماء لغسل الشر ومحموه ولابتلاع سببه وازالته (باقر، 1986 ص280).

وقد ورد في النصوص الطقسية عدة انواع من فعاليات الاغتسال التي تشير الى فعاليات التطهير وتم جمعها في مجموعة رقم متسلسلة مثل سلسلة (بيت رمكي Bit-rimki /rimku) اي بيت الحمام او الاستحمام (CDA,p.304) وسلسلة (بيت ميسي Bit-messi) اي بيت الانهاء او الاختتام لاعمال الغسل والنظافة (CDA,p. 208) وتتضمن تلك الرقم تعليمات تؤكد على ضرورة الحفاظ على سرية الطقوس وتنفيذها بدقة لضمان تحقيق الهدف منها، وهو تطهير حاملي القذارة اللذين نالت منهم العفاريت، وتنقسم طقوس بيت رمكي الى قسمين مفصولين بوضوح، الاول تحضيري يتعلق باعداد كل ما هو ضروري للطقس والثاني هو خاص بالمصالحة الحقيقية للشخص المريض (فون زودن ص35).

بيت طقس الاستحمام (بيت ريمكي bit rimiki):

وتعرف بتسمية احتفالات الاستحمام في بيت الاستحمام من خلال مياه الاستحمام (المسبح المقدس)، وهو مكرس الى ما هو معروف بدورة شمش الى (بيت ريمكي)والتي هي عبارة عن سبعة مجموعات من الصلوات كل مجموعة تحتوي على ثلاثة فقرات، صلاة ثنائية اللغة ki-utu-kam تتلى من قبل كاهن المشماشو، وبالاكدية صلاة (شو الا su-illa) اي صلاة رفع اليد معنونة الى شمش تتلى من قبل الملك، وفعاليات طقسية ترافق هذه الصلوات، كل هذه المجموعات ترتبط مع (البيت) او محطة اعظم او بناء موقت يدعى bit rimiki اي بيت طقس الاستحمام (Reiner,1958,p. 204-207).

المسبح المقدس:

كان جزءا مهما من المبنى الملكي المكتشف في مدينة تربيص الواقعة شمال غربي العاصمة الاشورية نينوى والذي كان يمثل قصر ولاية العهد (بيت ريدوني)، واصطلح على تسميته المسبح المقدس او (بيت ريمكي Bit rimki) ويعني بيت

الحمام او الاغتسال، حيث كان يضم قاعات واحواض معدة لحفظ المياه وصالحة للاستحمام والسباحة، وفيه كما يظن كانت تجري طقوس الغسل والتطهير الخاصة بالملك، حيث كان يتم اولا التحضير والاعداد من قبل الكهنة المختصين لكل ما هو ضروري ومتعلق باجراء الطقس، وبعد ذلك تبدأ المرحلة الثانية الخاصة باجراء الحمام الطقسي للملك والذي كان يبلغ بها مسبقا بالموعد المقرر(سليمان، عامر 1991 ص537-538)، ويتضح ذلك من نص رسالة بعث بها احد القائمين على اجراء هذا الطقس الى الملك وذكر فيها (بخصوص الطقس بشأن الملك سيدي فانني اتوقع ان الملك سيجري الحمام الطقسي في شهر ايار، لقد بدأنا العمل عليه)، وقد اعتقد سكان بلاد الرافدين ان من اكثر الاسباب التي كانت تدعو لاجراء مثل هذا الطقس كانت تتعلق بالسحر وطرد الارواح الشريرة عن شخص الملك، كما كان على الملك الاشوري ايضا القيام برعاية ممارسة طقس التطهير في معبد الاله آشور وكان يتوجب عليه ان يكون مغتسلا وطاهرا قبل البدء باجراءات ذلك الطقس الخاص بالتطهير (الخطيب، عبد الرحمن ص195).

موضع الاغتسال:

ورد في قصة الطوفان التي يرويها اوتو – نبشتم الخالد وهو يخاطب جلجامش (والان من سيجمع الالهة من اجلك في مجلسهم لكي تنال الحياة التي تبغي)،تعال (امتحنك) لاتنم ستة ايام وسبعة امسيات (ولكن جلجامش يفشل في الامتحان)، فقال مخاطبا اوتو-نبشتم، ماذا عساي ان افعل والى اين اوجه وجهي، ثم قال اوتو – نبشتم مخاطبا (اور – شنابي) الملاح:

خذه يا (اور – شنابي)، وقده الى موضع الاغتسال

ليغسل في الماء اوساخه حتى يصبح نظيفا كالثلج

فاخذه (اور – شنابي) الى موضع الاغتسال

وغسل اوساخه في الماء حتى بدا نظيفا كالثلج

ويرى بعض الباحثين ان هذا كان محاولة اولى يقوم بها اوتو – نبشتم ليجعل جلجامش دائم الشباب باغتساله بالماء في موضع الاغتسال (باقر 1980 ص162-164).

طقوس الغسل والاستحمام في يوم الزفاف:

تشير بعض النصوص المسمارية الى بعض التقاليد الاجتماعية الهامة التي كانت تسبق الزواج وبالتحديد في يوم الزفاف وكانت ام العروس تشارك بها وهي (طقوس الاستحمام) حيث تغسل العروس نفسها وتتطيب بالعطور وتتزين بالثياب الجميلة استعدادا لاستقبال العريس، وغالبا ما كانو ينظفون اجسامهم بالماء والصابون مع اجراء عمليات المسح بالزيت لتنعيم البشرة (عقراوي 1978 ص72)، ويهدف هذا الاستحمام الى غرضين، الاول استعادة طقوس الطهارة والثاني استرداد عذرية الالهة، ويرد في نص ادبي يعود الى الملك شولكي ويشير الى عملية الاغتسال والاستحمام قبل الممارسة الجنسية (عندما ساستحم من اجل الملك، عندم يكون جسمي موشحا بافتتان) (ساكس 1979 ص437).

الوضوء والاغتسال:

كان الوضوء وغسل الايدي طقسا لازما وواجبا ليس للقيام بالصلاة فحسب بل لممارسة اي رتبة دينية مع ترديد الكثير من التراتيل الدينية التي كانوا يتلونها في المعابد او الصلوات التي يرفعونها بصورة منفردة او بصحبة الكاهن (الاحمد 1988 ص46-47)، والوضوء هو شعيرة دينية يومية مارسها الانسان والكاهن للتقرب من الاله انكي الذي هو اله الماء والحكمة وخالق الانسان وان مس مياهه لجسد الانسان ويديه كان يعني بمثابة اعادة خلق مطهر لهذا الجسد في العقيدة السومرية (الماجدي، متون سومر ص311)، ويبدو ان عملية الوضوء كانت تشمل الاجزاء الظاهرة من الجسد الانساني. وكانت معظم المعابد في بلاد الرافدين تحتوي على ساحات تضم آبار او ينابيع للماء او على الاقل احواض كبيرة للماء والتي كانت ضرورية للوضوء وتهيئة الاضاحي، وتحتفظ جميع المعابد بالمياه في اوعية حجرية او معدنية (Wyatt,2001,p.162-180)، وكان الكهنة المطهرون ومنهم المنظفون (الرامقو) الذين يعملون في بيت الوضوء او بيت الاستحمام (بيت رمقي Bit rimki) وهو اشبه بحوض تعميد ربما حوى مياه دجلة والفرات (الاحمد 1988 ص44).

طقس غسل اليدين Misqate / Mesu:

وهو طقس كان يجري كما يبدو بعد الانتهاء من حفلة تناول الطعام، ويعد طقس غسل الايادي احد اشكال التطهير ذات المغزى الخاص التي كانت تقام ضمن

احتفالات راس السنة الجديدة (اكيتو) ويقصد بغسل اليد تنظيف جسد الكاهن الذي يؤدي الطقس اذ كان كهنة (شيشكالو) ينهضون كل صباح في ساعات مخصصة وينكبون على تنظيف انفسهم بماء النهر الذي يجلب عادة من دجلة والفرات في عملية تطهير طقسي لكي يحلون من كل نجاسة قبل ان يواجهوا الاله مما يجعل الكاهن طاهرا ويسمح له ان يتابع مع بقية الطقس وهو ما عبر عنه في الطقوس المسمارية me qati nasu لرفع حوض الماء لاجل غسل الايادي، وكانت معروفة في عيد راس السنة في الوركاء في شهري Nisannu / Tasritu حيث يصف نص طقسي في الوركاء العيد الخاص بالالهة عشتار كما يقوم الملك بغسل يديه قبل زيارته صومعة الاله مردوخ (Linssen, p. 151).

وعرفت الاحواض المستعملة في غسل الايادي ب kall u اي سلطانية (CDA ,p. 143) وعليه يجب على الكاهن ان يرفع حوض الماء لاجل غسل الايادي لاله او اكثر من اله بعد ذلك يتابع الكاهن بغسل يديه ويستمر بعد ذلك برش الملك والاشخاص الاخرين بالماء، ويبدو ان حوض الماء الخاص بغسل الايادي يتحول امام الملك، ويعزز هذا دليل ياتي من كلام متاخر اذ ينصح الكاهن الاعلى الملك في احتفال فتح البوابة وبعد الانتهاء من حفلة تناول الطعام واستنادا الى العبارة المكررة على باب قاعة المراسيم ونصائح الكاهن تدعو الى غسل اليدين (اغسل يديك) (Linssen,p. 151-152). وفي طقس آخر يقوم كهنة (شانكا sanga) الخاصون بالاله آشور بوضع اناء على فم الملك ويرشون الماء باليد عليه، ولعل غسل يدي الملك في مناسبة عيد اكيتو له علاقة ببرائته الاخيرة من الذنب(Bidmead , p. 77-78).

وكان الكهنة يحملون الماء في آنية سكب الماء المقدس ويتقدمون به نحو الالهة، ويلاحظ على الكهنة ان احدي اليدين تحمل آنية السكب بينما صورت اليد الثانية حرة طليقة تتوجه نحو الاله مباشرة وكانها تنتظر الامساك بيد الاله لسكب الماء عليها وتطهيرها بعد الانتهاء من تناول وجبة الطعام، ويكون الاله ممثلا بتمثاله (رمزيا) (بارو ص180). وقد جاء في احد النصوص المسمارية الخاصة بكاهن (ايرب بيتي eribbiti) الذي كان يمارس وظيفة ادارية هي الاشراف الاداري على الكهنة في المعبد ما نصه (سيذهب الملك والايريب بيتي الى المعبد ويقدم (الايرب بيتي) حوض الماء الخاص بغسل الايدي الى عشتار) (ساكس 1979 ص400).

وكانت عملية الغسل بالماء قبل البدء باي مرسوم ديني معروفة في العراق القديم حيث احتوى كل معبد على صهريج ماء لهذا الغرض والذي كان متصلا بقنوات مياه جارية، ومن المحتمل ان اجراء هذا الطقس كان يتم في قاعة مخصصة لذلك حيث ان وجود عبارات مكررة على باب قاعة المراسيم تدعو الى غسل اليدين مثل (اغسل يديك) (الاحمد 1975 ص185).

طقس غسل الفم mis pi:

كان هذا الطقس يجري على اساس ان التماثيل الجديدة للاله تمنح الحياة بهذا الطقس،وكان طقس غسل الفم ينجز بعد ان توضع جرتان مملوءتان بالماء المقدس في مكان التمثال وقطعتان من القماش حمراء وبيضاء الى جانبه، ثم تقدم الاضاحي الى ذلك الاله ويرافقها غسل فمه بواسطة اعشاب كالاثل وسبعة اعواد من الارز وقطعة قماش وملح وصمغ الارز ودهون واحجار كريمة وزبد ودبس ويتم ترديد بعض العبارات الطقسية الخاصة بذلك (الماجدي، متون سومر ص318)، وان فعالية الاغتسال تنجز ربما امام تمثال الاله، اذ يتم غسل فم تماثيل الالهة بشكل رمزي في اماكن قريبة من النهر وفي اوقات معينة من ساعات الليل والفجر (عندما تغسل فم الاله في يوم مفضل في الفجر على ضفاف النهر)،حيث يوضع التمثال على حصيرة من القصب ووجهه نحو الشرق تحت مظلة، وكانت عملية غسل الفم تتكرر لاكثر من اربعة عشر مرة في الليل على التمثال وعلى ضوء المشاعل، وكان يستخدم في عملية الغسل مياه عرفت باسم (مياه التعويذة anam-subime sp ti) (الخطيب ص192).

وقد مورس هذا الطقس على الحيوانات ومنها الثيران قبل الشروع بذبحها وسلخ جلودها، وكانت عملية غسل فم الثور تتم بواسطة انبوب خشبي وخلال ذلك كانت تقرأ بعض التراتيل الدينية ثم بعد ذلك يتم ذبحه (رشيد، صبحي 1988 ص204). وقد كان الكهنة العرافين(بارو) الذين يقومون بعملية فحص كبد الضحية واحشائها المقدمة للاله يؤدون صلاة Ikribu حيث تبدأ هذه الصلاة بمقدمة يخبر الكاهن العراف baru فيها الاله الذي خصه بعناية التنبؤ بانه قد اكمل وانجز كافة الترتيبات والطقوس اللازمة لعملية التنبؤ ولاسيما تطهيره بالماء وذلك بغسل يديه وفمه بالماء ليكون كل ما ينطق به وما يحمله ويضعه طاهرا، حيث ورد نص صلاة موجه الى الالهين شمش وادد:

شمش، اضع على فمي خشب ارز نقي

اربطه لك مع خصلة من شعري

قد غسلت فمي ويدي

مسحت فمي ب... خشب ارز

انا الان طاهر ويجوز لي ان اقترب الى مجلس الالهة (الطائي، نبيل 2012 ص123)

غسل الارجل:

زودتنا التنقيبات الاثرية التي جرت في عدد من البيوت السكنية في بلاد الرافدين بمعلومات وافية عن محتويات البيت السكني الذي كان يدخل اليه من خلال الباب الذي يؤدي الى المجاز حيث كانت توضع آنية الماء بجوار حفرة في الارض تستخدم على ما يبدو لغسل الارجل قبل الدخول الى البيت (Wooley, 1928, p. 158).

طقس رش رذاذ الماء:

وهو من الطقوس التقليدية للملك البابلي عندما كان يتهيأ لحضور مهرجان السنة الجديدة اثناء الاعتدال الخريفي، وكان الملك يحمل الصولجان (خاتو hattu) او العصا (شبيرو sibirru) وذلك لاستعمالها في طقوس (بيت رش رذاذ الماء bit sala me)، وتبدأ المراسيم مع شروق الشمس حيث يمر الملك وهو مرتديا ملابسه الضخمة لغرض تقليده مناصب اخرى جديدة، وامام ابنية القصب في المنطقة السهلية يتطهر الملك برش الماء على نفسه، ومن بين الشارات التي تعطى له وقت الاحتفال (التاج المقرن والقوس والصولجان والعصا sibirru)، وبعد هذا التقليد يعود الملك الى قصره وعندها ياتي دور اداء بعض الطقوس التي تزيل منه كل انواع التلوث ويقرأ التعزيم (انا ارفع العصا) ، ومن ثم يتلو صلاة قصيرة الى اله البيرة بصفته (الذي يريح الاله والانسان) (الصالحي، صلاح 2015 ص59).

كما ذكرت عادة رش الماء من الاناء (الذي لمسته) اصابع تمثال الاله على الملك ورجال الدين من خلال وجبات طعام معينة، فبعد الانتهاء من وجبة الطعام الرئيسة التي تقدم الى تمثال الاله تنظف المائدة وترفع من الغرفة ويقدم ماء موضوع في اناء الى تمثال الاله لتنظيف الاصابع، ويعتبر هذا الماء مباركا ويمكن ان

تكون بركته منعمة (اوبنهايم ص236–237) لانه (ماء طقوس) يرش على متناولي الطعام من اناء وضع فيه تمثال الاله (الاحمد 1988 ص55).

يوم الاغتسال (يوم النظافة وتطهير الجسد):

اعتاد الناس في بلاد الرافدين على غسل اجسامهم في مناسبات الاحتفال، وكان للطهارة عندهم مفهوم روحي اكثر منه صحي حيث شدد العراقيون القدماء في الغسل من الجنابة بعد كل اضطجاع وفرضوا على الرجل وزوجته ان يتبخرا بالبخور اولا ثم يغتسلون بالماء عند بزوغ الشمس ولايحل لهما ان يلمسا شيئا قبل الاغتسال (الدملوجي 2003 ص187)، ويرد في نص ادبي يعود الى الملك (شولكي) ما يشير الى عملية الاغتسال او الاستحمام قبل الممارسة الجنسية:

عندما ساستحم من اجل الملك

وعندما من اجل الراعي دموزي سوف استحم

عندما يكون جسمي موشحا بافتتان (ساكس 1979 ص427)

ويصف لنا نص ادبي المراحل التي تعمل المرأة على مراعاتها وهي تتهيأ للقاء الحبيب من طقوس الغسل والاستحمام والتنظيف واظهار مواطن الجمال عندها:

لقد غسلت، غسلت بالصابون

غسلت نفسي في الاناء المقدس

غسلت بالحوض الابيض (كريمر 1979 ص70–71)

وتشير النصوص المسمارية بان الاغتسال كان من طقوس الزواج، اذ يجب على العروس ان تغتسل بالماء والصابون في يوم الزفاف وكانت ام العريس تشارك في طقوس الاستحمام حيث تغتسل العروس وتطيب جسدها وتتزين بالملابس الجميلة استعداد لاستقبال العريس الذي كان يقوم في يوم الزفاف بمراسيم سكب الزيت على عروسه امام عدد من الشهود وبذلك يصبح الزواج رسميا (Driver and Miles 1935,p. 66-67) ونصت المادة (42) من القوانين الاشورية (اذا سكب رجل الزيت على راس امراة حرة في يوم الاغتسال او جلب هدايا العرس في ذلك اليوم لايمكن استرجاع الهدايا من بعد ذلك) (Ibid , p. 181).

وكان الحلاق يقوم بقص الشعر عند اداء الطقوس وهو المسؤول عن تقليم الاظافر كما كان يقوم بجمع الفضلات في اوعية خاصة بعد قص الشعر وتقليم الاظافر وكان يتم باجراء طقوسية يصاحبها الاغتسال، ولذلك كانت الفضلات توضع في وعاء خاص وتترك في مقاطعة الاعداء كما كان الموس او المقص الذي استعمله الحلاق في مثل هذه الحالات يحفظ بعيدا او يرمى في الجبال وان هذه الطقوس كانت تقترن باعمال سحرية خاصة ايضا (الهاشمي، رضا 2001-2002 ص197-198). ومن تعاليم كهنة الفرس، ان نظافة الجسد شرط اول لاغنى عنه بطهارة الروح ففرضوا الاغتسال (الوضوء) قبل المباشرة بكل عمل من اعمال الحياة اليومية، كما كان لايليق بالمرء ان يتناول طعامه وشرابه على قارعة الطريق ولايليق ايضا ان يبصق او يتمخط او يقلم اظافره او يقص شعره امام الناس بل الاسوأ من هذا كله ان يقضي حاجاته الطبيعية امامهم (فريشاور ص81).

طقوس النظافة:

كانت النظافة بالنسبة للاشوريين قريبة جدا من الورع، وهناك حالات كثيرة كان فيها الاغتسال لاغراض طقوسية ماعدا الحاجة للمحافظة على الصحة والراحة الشخصية، وكانت هذه الحالة تنطبق بخاصة على الملك، وكانت قاعة عرش سنحاريب تؤدي الى حمام وهي من خصائص القصور العامة (سالم، ايمان 206 ص88-89).

وجاء في النص البابلي لعملية خلق الانسان، ذا كان على الاله ايا ان ينجز طقوسا معينة تتضمن الاغتسال والغطس بالماء قبل ان يبدأ عملية ذبح الاله كما جاء في النص:

فتح ايا فاه، وقال للالهة العظام

في اليوم الاول والرابع عشر والخامس عشر من الشهر

ساعد حماما للتطهير

فليذبح اله

وليغطس فيه الالهة الاخرون فيتطهروا

نعم اجاب في المجلس

انوناكي الذين يشرفون على المصائر

اعد ايا حماما للتطهير

وذبح الالهة اذ ذاك في مجلسهم (لابات 1988 ص21-23)

وان من اقدم مظاهر العناية الصحية العامة هو وجود المرافق الصحية في البيوت العراقية القديمة وكذلك مجاري المياه القذرة ومنذ الالف الثالث ق.م، وقد نظمت المرافق الصحية على مصطبة فوق حفرة البالوعة وفي بعض الحالات وجدت مع مقعد من القير للراحة، وكانت هذه المرافق متصلة بنظام لتصريف المياه من انابيب فخارية تؤدي الى البالوعة، وكان لكل مرحاض ابريق من الفخار يساعد على ابعاد الفضلات (Nemet – Nejat 2002,p. 122)، وقد وجد في البيوت الاشورية الخاصة المرافق الصحية المزودة بمجاري تصريف المياه الثقيلة (ساكس 1999 ص277) كما عثر في بعضها على اواني فخارية لحفظ المياه النظيفة وفي احداها وجدت مغرفة صغيرة تشير الى استخدام المياه للتشطيف (بارو 1980 ص273).

غسل وتحميم تمثال الاله:

ترافق عملية صنع تماثيل الالهة بعض الطقوس التي كانت تقام اثناء الليل بسرية تامة للحفاظ على قدسية العمل حيث تعمل هذه الطقوس على تحويل التمثال من عدم الحياة والجمود الى قبول الوجود الالهي، ويقوم الكهنة بتقديم القرابين وصب السوائل وتلاوة الرقى وبعد ذلك ينصب التمثال على قاعدته في محرابه في الغرفة المقدسة cella (Smith,1925,p.505)، وكان الفرد العراقي القديم يتعامل بواقعية مع تماثيل الالهة او رموزها من خلال تقديم الفعاليات القربانية التي تتمثل بتقديم الطعام والشراب الى تماثيل الالهة التي تشمل كل ما يتناوله البشر من أكل وشراب (موسى، مريم 1996 ص246-249)، وكان للماء دور مهم في طقوس حياة آلهة الخصب واعيادها، ففي اعياد تموز في بابل كان صنم الاله تموز يحمم بالماء النقي ويمسحونه بالزيت (فريزر، جيمس 1982 ص74).

سكب الماء المقدس:

وردت كلمة السكب في معاجم اللغة الاكدية بصيغة sapaku (CAD,p.260) وهي مشابهة تقريبا من حيث اللفظ والمعنى لما يقابلها باللغة العربية (صب او

سكب)، ولم يكن الماء العنصر الوحيد المستعمل في طقس السكب المقدس اذ استعملت مختلف السوائل مثل الجعة والنبيذ والزيت ودم الحيوان المضحى به، وقد تنوعت مشاهد السكب المقدس واختلفت تفاصيله كما اختلفت طرائق السكب واماكنها لدى سكان بلاد الرافدين وفقا للغايات التي كان يقام لاجلها ذلك الطقس، فتارة كان يقام امام الالهة واخرى ضمن طقوس تطهير المعبد واحيانا كان السكب على دكة المذبح او على الارض او في اناء او على الحيوان، وهناك مشهد آشوري مشهور يمثل الملك آشوربانيبال وهو يصب السائل(الماء المقدس) على الاسود التي قتلها اثناء مطاردته لها، فيما يعزف آخرون الموسيقى على آلاتهم الوترية معزوفات ترافق الطقوس (ساكس 1979 ص408).

ويعتبر السكب المقدس من الطقوس والشعائر الدينية المهمة لاجل التكفير عن الذنوب والاثام بحق الالهة والسعي من خلال ذلك الطقس لكسب رضاها كما يهدف طقس سكب السائل الى الوفرة والخير والبركة واحيانا اخرى لكشف الطالع (سكب الماء على الزيت وبالعكس)، وكان من الواجب اجرائها خلال السنة وضمن مواعيد محددة تبدأ من الشهر الاول من السنة البابلية وتحديدا في اليوم الثامن من شهر نيسان على شرف الالهة عموما وفي السادس عشر من شهر آب على شرف الانوناكي،وكان هذا الطقس يقام من قبل الكهنة الا ان ذلك لم يمنع ممارسته من قبل الاخرين ومنهم الملوك والحكام، وتقدم السكائب ايضا من قبل الملك في اليوم الثامن والتاسع من شهر تشرين الاول وكذلك اليوم الاول من شهر تشرين الثاني وفي اليوم الاول من شهر كانون الاول كان يتم سكب الماء على قطيع الماشية وخلفها، وفي اليوم السادس عشر من شهر كانون الاول كان طقس السكب يقام في العيد على شرف الالهة ايرشكيكال وفي اليوم العشرين من شهر كانون الثاني كان يتوجب على القائم بعملية السكب ان يقوم باهداء السكب الى الانوناكي (الراوي، شيبان 2001ص64-65).

اناء سكب الماء المقدس:

وهو اناء خاص بالالهة (نن خاخورسيلدا Ninhahursilda) ملكة الرقى وهي ملكة الماء المقدس التي تظهر في الرقى وهي الالهة (بيليت اكوبي – Melet agubbe) التي ترافق آلهة خاصة بالماء المقدس (d: A-gub-ba) ولاحقا من خلال

وظيفتها وميزاتها التي تعود الى عبادة الماء في اريدو، وشعارها جرة الماء المقدس (duk) لآلهة النهر (d: Id) (Langdon , 1919 , p. 336).

وكان من وظائف الاله امورو) واحدى اسمائه مارتو) تعويذة التطهير من الشر والذنوب، فهو يحمل الاداة المميزة للتعويذة وهي العصا المقدسة (جملو gamlu) مع وعاء (بندودو banduddu) الذي احتوى على الماء المقدس (امورو ومارتو الذي يحمل عصا جملو ووعاء بندودو لغرض التطهير والتعويذة في السماء والارض) وقد وردت المعلومة نفسها في اسطورة صورت على ختم من العصر البابلي القديم (الصالحي، صلاح 2015 ص56).

وسمي اناء السكب (شابو Sappu) الذي كان يملا بالماء ويتلو صاحب النذر او من ينوب عنه من الكهنة ((اسكب اليهم (الالهة) ماء أمانوس النقي، اتل عليه واسكبه على راس الكبش (قائلا) شمش اله، ادد اله النبوة، انا اسكب اليكم شمش وادد سادة القرار في توسلاتي ارفع يدي اعمل من اجل توكي نذري)) (الراوي، شيبان ص64)، وقد وجدت اشكال واحجام مختلفة من زهريات سكب السوائل (الاراقة) كما عثر على نماذج منها في القبور (مورتكارت 1975 ص141)، وكان اناء سكب الماء او الزيت المقدس يشبه الكاس الذي تخرج منه سعفة وتتدلى على جانبيه ثمرتان (الماجدي، متون سومر ص153).

الماء المبرد (المقدس):

كانت طقوس الماء المقدس في البداية حكرا على الملوك والحكام والامراء فقط دون عامة الناس لان توفير الماء المبرد (المقدس) كان باستطاعة هؤلاء فقط مع امكانية خزنه في معابدهم،لان الماء المثلج كان من ابرز القرابين التي تقدم الى الالهة عند زيارة الحكام والملوك لها لأن حرارة الصيف في القسم الجنوبي من العراق تجعل من الماء البارد(الذي كان نادرا) افضل قربان يقدم للاله في الطقس الحارحيث ان طعمه افضل من الماء الاعتيادي لانه خال من الاملاح، ونجد ذلك واضحا في نص يعود الى زمن الملك السومري كوديا (2144–2124 ق0م) ثاني حكام سلالة لكش الثانية يرد فيه (الامير / الحاكم كوديا كان يقدم الخبز والماء البارد في كل جولاته وزياراته لمدن مملكته ولجميع المعابد في تلك المدن، أي عندما كان يزور الآلهة في معابدها)، وقد روي عن الامير كوديا بانه راى في منامه الاله

ننكرسو الذي امره ببناء معبد الخمسين (E.NINNU) العائد للاله ن فقصد كوديا مدينة (نينا، حاليا تل سرغل) في منطقة (تلو) حيث موطن الالهة نانشة لتفسير الحلم، وعند وصوله الى المزار صلى هناك للاله ننكرسو وبعد ذلك اقام احتفالا بعيد (أش أش Essesy /ES.ES)(CAD,p. 37) (وهو عيد شهري يعني اسمه القربان او الضحية الخاص باله القمر (سين) الذي كان يمثل بداية كل شهر)، فدخل كوديا الى هيكل الالهة (كاتوم دك) وقدم الخبز والماء البارد وصلى لها (بوتيرو 1970 ص40). وقد استمرت طقوس تقديم الماء البارد الى الالهة في سلالة اور الثالثة، وأفضل مثال مشهد مصور على أعلى المسلة التي اقامها الملك اورنمو، يبين المشهد ان الملك اورنمو كان يقدم الماء البارد عند زيارته لمعبد الاله ننار الاله الرئيس لمدينة اور وللالهة ننكال زوجة الاله ننار، اما بالنسبة إلى تقديم الماء المثلج الذي كان يصبه اورنمو فلا دلالة على أنه مثلج سوى الكتابات، واستخدام الماء المثلج بسب ندرته في القسم الجنوبي من العراق الذي لا يستطيع توفيره سوى الملوك الأمر الذي يعطي منه أهمية لتقديمه قرباناً للالهة. يتبين أيضاً من المشهد ان ثوب الاله يختلف عن ثوب الملك. (رشيد، فوزي 1990 ص55).

وتوجد معلومات اكيدة حول المخازن المبردة او البيت المبرد (bit halpi) في مدينة اور اثناء عهد الملك شولكي (2000 ق.م)، وربما هذه كانت حفر الثلج (ice pit) المبطنة بالاخشاب، وان المعلومات المتوفرة عن هذا الموضوع تؤكد ان الملوك كانوا يجلبون الثلج في فصل الشتاء من المناطق الشمالية الشرقية ويخزنونه في مخازن خاصة حتى موسم الحر ليصنعوا منه المشروبات المثلجة، وهذا ما اكدته التنقيبات التي اجريت في مدينة اور اذ كشفت عن بناء يسمى (أي- نون- ماخ) والذي يعني باللغة السومرية (البيت الاميري العالي) وقد اعتقد ان هذا البناء يمثل مستودعا لخزن واردات المعابد، ويماثل هذا البناء في تصميمه بناء آخر عثر عليه في القصر الجنوبي للملك نبوخذنصر الثاني (604-562 ق0م) في مدينة بابل والذي هو ثلاجة القصر الجنوبي للملك نبوخذنصر الثاني 0 وبناءاً على ذلك فإن سطح البناء المسمى (أي- نون- ماخ)كان مغطى بطبقة سميكة من التراب ومزروع فيها الاشجار والنباتات التي تحمي السطح من حرارة الشمس، فضلا عن ذلك فإن سقوف الغرف التي يتألف منها البناء كانت مقببة كي تستطيع ان تتحمل ثقل التراب والاشجار المزروعة فيها ولهذا السبب ذاته تميزت غرف هذا البناء بالطول

وليس بالعرض كي يسهل بناء القبو من جهة ويكون متينا من الجهة الاخرى كي يتحمل الثقل الذي كان فوقه (Childs , 1967,p.56-57). ويبدو ان وظيفة «حامل الكاس» التي كانت احدى وظائف القصر الجنوبي للملك نبوخذنصر الثاني ما هي الا وظيفة الشخص الذي كان مسؤولا عن بيت الاقبية ثلاجة القصر الجنوبي (رشيد، 1991 ص56–57)0

سكب الماء المقدس على الشجرة:

ارتبطت المعابد في الشرق الادنى القديم مع شجرة الحياة، وهي شجرة سطورية ارتبطت مع مياه الحياة والتي هي مصدر الخصب المدهش، وتظهر الرسوم الخاصة بشجرة الحياة في داخل المعبد او بالقرب منه حيث تصل جذورها الى العمق الى مياه الحياة والتي يمكن مشاهدتها في بلاد الرافدين، وهناك ختم اسطواني من عهد الملك كوديا يصف شجرة (kishkanu) وهي شجرة تنمو في اريدو وتستعمل كخشب او دواء (CDA,p.162) وان جذورها تصل الى مياه (الابسو apsu) وترتفع قمتها فوق سطح الارض (Wyatt,2001,p.160).

ان العناصر الفنية التي برزت في العصر الاشوري الحديث تمثل مشاهد منحوتة بزخرفة الشجرة ويصور حولها جنيا وهو يلمس الشجرة بكوز الصنوبر الذي يعد من الزخارف الفنية الرئيسة المنفذة على الالواح الجدارية، ويمسك في يده الاخرى اناء صغيرا، ويعتقد بعض الباحثين انه يقوم بعملية تلقيح الاشجار، ويرى البعض الاخر ان الجني في هذا المشهد يقوم بجمع السائل المقدس الذي يترشح من جذع الشجرة المقدسة واوراقها (اي شجرة كوز الصنوبر) لتحويل السائل الذي يحتويه ذلك الاناء الى ماء مقدس. وربما كان هذا الجني يقوم بعملية رش الملك بالماء المقدس لتطهيره وحمايته من تاثيرات القوى الشريرة فضلا عن ان هذه العملية كانت تمثل نوعا من عمليات الاخصاب (التلقيح) التي يقوم بها الجني برعاية الالهة وبركتها (البجاري 2005 ص33)، ومن مشاهد النحت البارز ذات العلاقة مشهد يصور جنيا مجنحا عثر عليه في مدينة دور شروكين (خورسباد) يظهر فيه مجموعة من الثيران، وهذا الجني يمسك ثمرة الصنوبر باحدى يديه واناء (دلو) في يده الاخرى للتطهير (بارو ص86).

ان وعاء الماء المقدس (اغابو) يرمز الى ملكة التعاويذ اي شجرة الطرفاء عند سكب الماء المقدس للحصول على المطر من اله الخصوبة، فان استعمال اناء الشراب (اغابو) مع وضع قطعة من شجرة الطرفاء او جذع النخيل في الاناء النحاسي الذي سيسكب فيه الماء المقدس، مثل هذه الاعمال تتطلب حضور الالهة التي من اجلها تحدث هذه الفعاليات وهكذا تصبح صلاة المومن اكثر فعالية وجدوى (كونتينو ص298-299).

سكب الماء المقدس على الاسود بعد اصطيادها:

مارس الملوك الاشوريون الصيد كعملية رياضية ترفيهية تدريبية لاثبات قوتهم وجبروتهم بكونهم ملوكا ونوابا للالهة على الارض استمدوا قوتهم من الالهة مباشرة (كونتينو ص236)،وكان لعملية صيد الاسود بعدا دينيا عقائديا وامتدادا روحيا واضحا، اذ كان الصياد يعتبر بطلا،وكان من واجبات الملك المقدسة ان يصطاد الاسود ويقتل الحيوانات المفترسة الاخرى، ويدعي الملك الاشوري تجلات بليزر الاول 1115-1077 ق.م انه قتل اربعة ثيران وحشية (تنفيذا لامر الاله ننورتا الذي يحبني)، وتصف لنا النصوص المسمارية التي تعود الى فترة الملك آشوربانيبال 668-627 ق.م الذي يصف نفسه انه (الصياد القوي) قائلا (انا آشوربانيبال ملك الكون، ملك آشور، قد منحني الالهان آشور وانليل القوة على على الاسود الذي ذبحتها، وبالقوس المخيف لعشتار سيدة المعركة الذي صوبته نحوهم، جلبت الذبائح وسكبت الخمر فوقهم) (Luckenbill , p. 391-392). وهناك سلسلة مشاهد الصيد في منحوتات آشورية ترجع الى زمن الملك آشور ناصر بال الثاني 883-859 ق.م تمثله مسلحا بقوسه وسهامه ويركب عربة يطارد بها الاسود، وقد ابرز النحات الاشوري قوة الملك العضلية ومهارته البارعة في الرماية والحيوانات التي اخترقتها السهام (لويد 1980 ص344).

وللآشوريين طقوس خاصة عقائدية تعقب الانتهاء من ممارسة صيد الاسود الملوكية وبها يختتم منهاج الصيد الملكي وذلك بان تجمع اجساد الاسود المطاردة وتسجى في مكان معين له قدسية خاصة (عند قاعدة مذبح) حيث يقف الملك الصياد بكامل بزته العسكرية حاملا اسلحته بيد وباليد الاخرى اناء في ماء مقدس يبدأ بسكبه على جثث الاسود بحضور موظفي البلاط والموسيقيين، كما

نجده واقفا وهو يتناول مشروبات حفلة الصيد وذلك تعبيرا عن شكره للالهة التي منحته القوة والغلبة على اعداء شعبه من الحيوانات اتقاء من شر قد يلحق بالملك او شعبه من الروح الخفية التي تريد الانتقام للضحايا المطاردة، وبهذه الممارسة العقائدية ينهي العاهل الاشوري احتفال الصيد وهو محاط بجنده وحاشيته (بارو ص84، ولويد ص344).

سكب الماء المقدس امام آلهة الجبل:

ان الظروف التي ادت الى ظهور فكرة دينية جديدة تعتمد في طقوسها على قدسية العوامل الطبيعية والنظر الى الماء على اساس انه الحياة لانهم كانوا يتحسسون تاثير هذه العوامل على حياتهم ولكنهم لايعلمون كيف تكونت في الاصل فحولوها الى آلهة واعتبروها ازلية ايضا (رشيد، فوزي 1988 ص145-149). لقد حملت لفظة (جبل) عند سكان بلاد الرافدين معنى ومفهوم ديني دل على المكان الذي تتركز فيه قوة الارض الخفية (فرانكفورت 1965 ص70)، وارتبطت فكرة (الجبل المقدس) بفكرة المكان الاسطوري المثالي باعتباره مركزا للكون ظهرت عليه الالهة وبنت مقراتها، فاصبح الجبل مسكن الالهة ومكان اقامتها والموطن الطبيعي لنشاطها لانه كان يمثل رباط السماء والارض (الماجدي، الدين السومري ص49-50) كما عبدت الجبال واعتبرت مركز لعبادة آلهة باعتبارها قوة الهية، حيث ترينا مشاهد لطقوس سكب الماء المقدس امام آلهة الجبل (Leick , 1997 , p. 121).

اعتقد العراقيون القدامى ان الالهة ننخرساك (الهة الجبل والرضاعة والحليب) وان اسمها حرفيا يعني (سيدة الجبل) لذا فهي تمثل القوة الكامنة في الجبال، لذا كان لاسم هذه الالهة مغزى واهمية كبرى حيث عدها سكان بلاد الرافدين منبعا للحياة والخصوبة وانتاج الغذاء وعدت زوجة الاله انكي اله الحكمة والمياه على وفق ما جاء في اسطورة (انكي وننخراك).وقد وصلنا لوح من مدينة كيش يعود تاريخه الى عصر فجر السلالات الثالث (منتصف الالف الثالث ق.م) اختصر على مشهد واحد يمثل سكب الماء المقدس امام الالهة ننخرساك وهي جالسة على كرسيها مرتدية تاجها المقرن من متعبد حليق الشعر وعار من الملابس حاملا بيده ابريق يسكب منه الماء في آنية مزهرة، وهذا المشهد يقدم لنا

صورة واضحة حول ماهية هذا المشهد المنفذ والطقس المتبع فيه الذي يشير الى قدسية المياه واهميتها في الحياة الانسانية (الشاكر، فاتن 2002ص160-161).

قرابين الماء الى الالهة:

ان الماء الذي يعد اساس الحياة قد كان من اهم القرابين التي من الممكن ان تقدم للالهة حيث رافقت طقوس سكب الماء تقديم القرابين التي قدمها اوتونبشتم بطل الطوفان البابلي للالهة على قمة الجبل، فبعد ان حل الطوفان ورسة السفينة (منقذ الحياة) على جبل النجاة واطلق رجل الطوفان الحمامة ثم الغراب وعندما لم يرجع الغراب انزل رجل الطوفان ولاول مرة من كان على ظهر السفينة بعد اربعة عشر يوما من دخولهم السفينة فسكب الماء المقدس على قمة الجبل ونصب القدور ليعد الطعام ويقدم قربانا للالهة، وتذطر القصة ان الالهة عندما شمت رائحة الطعام الطيبة تجمعت حول مقدم القربان كالذباب، وكما جاء في النص:

وسكبت الماء المقدس على قمة الجبل

ونصبت سبعة وسبعة قدور

وكومت تحتها القصب والارز والاسل

فشم الالهة الرائحة

اجل، لقد شم الالهة الرائحة الطيبة (علي، فاضل 1975 ص98)

طقوس استنزال المطر(الاستسقاء):

ادت المياه دورا مهما في حياة سكان بلاد الرافدين القدماء ولاسيما في سنوات الجفاف عند قلة نزول الثلج وتساقط الامطار وخاصة في القسم الشمالي الذي تقل فيه عمليات الري والاستسقاء الصناعي ثم مدى اهميتها في استدامة الحضارة في بلاد الرافدين. ان قلة المياه او شحتها دفعت الناس الى ممارسات طقس الاستسقاء كي ينزل المطر، وكانت تتم هذه العملية بقيام اربع من النساء بالوقوف على شكل متقابل ثم يبدأن بتحريك اجسامهن وشعرهن الطويل على ان تبدأ عملية التحريك برمي الشعور باتجاه اليمين ومن ثم الى اليسار (رشيد، فوزي 1997)، وقد كشف عن هذا الطقس من خلال صحن من الفخار يعود الى فترة

سامراء (الالف الخامس ق.م) رسمت عليه اربع نسوة متقابلات تتطاير شعورهن في مختلف الاتجاهات وهن في مظهر عاري يودين رقصة طقوسية تؤدي الى سقوط المطر اثناء موسم الجفاف لما له من ارتباط ودلالة بالخصب والماء والزراعة، النسوة بشكل متصالب وبايدي مفتوحة وشعورهن متطايرة باتجاه حركي واحد وبشكل متعرج لها دلالة على الماء وكذلك يرتبط بشكل الصليب المعقوف، وتحيط باشكال النسوة ثمانية عقارب تدور بالقرب من حافة الصحن (بارو ص92).

وكان اهل المدن يؤدون صلاة الاستسقاء، ويصاحب اداءها مراسيم التعاويذ اذ كان يلبس احدهم راس الجان والعفاريت فيسكب عليه الماء وتقرأ التعاويذ لطرد تلك الارواح الشريرة التي كانت تحبس المطر وتمنع نزوله فتسبب الجفاف. وقد اعتقد سكان بلاد الرافدين القدماء ان المطر موجود في السماء مكان تواجد الالهة وان عمليات تطهير الارض بالماء ترضي الالهة فتعمل على ارسال الطر الى الارض، وكان الملوك الاشوريون يلجأون الى الاله ايا ويطلبون منه الاستسقاء والغيث، فقد استصرخ الملك سنحاريب الاله ايا بعد رجوعه من بلاد بابل وقضائه على ثورة بلاد البحر عندما راى حقول نينوى وبساتينها قد يبست لانقطاع المطر وجفاف العيون وخرج الناس يستصرخون الاله ايا فاوحى اليه ان يجمع الثمانية عشر نهرا ويجريها نحو سهول نينوى العطشى ويخزن مياهها الفائضة في سد عظيم لاتزال آثاره باقية الى هذا اليوم وتعرف باثار سد جروانه (الامين وفرنسيس 2007 ص36-37، وفاضل، فاتن 2013 ص189).

طقوس الماء الجنائزية:

كان طقس سكب الماء المقدس واحدا من الطقوس الجنائزية المهمة التي اداها سكان بلاد الرافدين قديما على قبور موتاهم اعتقادا منهم ان روح الميت كانت بحاجة الى الماء النقي للشرب في حالة ظمأها كما في النص (في العلى عسى ان يطيب اسمه وفي العالم السفلي ان تشرب روحه الماء النقي)، وكان يدعى يوم سكب الماء الجنائزية، يوم القرابين الجنائزية، يوم الكآبة، يوم الندب، ويتولى احد افراد اسرة المتوفي القيام باجراء هذا الطقس وان اي تهاون في اداء ذلك الطقس بحق

موتاهم او حرمان الميت من تجهيزه بالماء النقي كان يعرضهم حسب اعتقادهم الى مهاجمة اشباح الموتى والحاق الاذى بهم (حنون 1978 ص12).

ويعتبر سكب الماء لارواح الموتى (مي نقو) جزء مهم من الشعائر الخاصة بالموتى لارواء ضمأها وعد انجازها من الافعال التي اكتسبت اهمية بالغة في معتقدات سكان بلاد الرافدين، ويتم ايصال الماء الى ارواح الموتى من خلال صب الماء داخل القبر عبر قناة (اروتو arutu)(CDA,p.25) التي تعني (الظل) ولكن المعنى المحتمل لهذه الكلمة يشير الى الانبوب الفخاري الذي يمر الماء من خلاله الى القبر لايصال السائل الى الميت ، وقد عثر في عدد من الاضرحة الملكية في اور على منافذ خاصة لسكب الماء الى العالم الاسفل كما ذكر هذا الانبوب في ترتيلة للاله شمش جاء فيها (عسى الاله شمش ان لايدع انبوب ماء البارد يسقط للاسفل اي الى العالم الاسفل)(حنون 1978 ص12). وهناك طقس يسمى (طقس الدعاء) الذي يمارسه الفرد من اجل ارواح الموتى في العائلة لحمايتهم من خطر الشياطين والارواح الشريرة ، اذ يرد في النص:

انتم يا ارواح عائلتي

الكثيرين الراقدين في راحة العالم الاسفل

قدمت لكم قرابين الدفن

وسكبت الماء لكم

الشيء المؤذي في بدني وعروقي

احيلوه الى يد (نمتار) رسول العالم الاسفل

اقبضوا عليه (الشيء المؤذي) ودسوه في ارض اللاعودة

دعوني انا خادمكم، اعش، دعوني انعم

بسبب الطقوس السحرية، دعوني اكون طاهرا باسمكم

ساقدم ماء باردا لشرب شبحكم

هبوا لي حياة لكي الهج بذكركم (الراوي، شيبان 2001 ص201-202)

ويرد في ملحمة جلجامش – اللوح الثاني عشر الخاص باستحضار روح انكيدو لكي يخبر جلجامش عن الاحوال في العالم الاسفل فيجيبه انكيدو بان ما

سيخبره به سيبكيه، ويبدأ انكيدو في وصف العالم السفلي، وياخذ جلجامش بالاستفسار من انكيدو عن حالة الموتى بحسب عدد الابناء الذين خلفوهم:

- الذي خلف ابنا واحدا، رآه وقد غرز اسفين في جداره وهو يبكي عليه بحرقة
- الذي خلف اثنين يجلس على آجر ياكل الخبز
- الذي خلف ثلاثة ابناء يشرب الماء من قربة معلقة على مسند
- ثم يستمر في السوال الى ان يصل الذي خلف سبعة ابناء، فهذا يجلس مع الالهة الصغرى يحاط بما يجري من اخبار

ويسال جلجامش عن احوال بقية الاموات فيجيبه انكيدو بوصفه لهم:

- المجذوم: طعامه وشرابه معزولان، ياكل العشب المقتلع من الارض وينبش في الارض للحصول على الماء...
- الغريق في الفيضان: ينتفض مثل ثور والديدان تلتهمه
- من لم يكن يحترم كلمة ابويه: يشرب من ماء يقاس بالمعيار ولايروي غليله
- الذي مات قبل اوانه: يتمدد على سرير ويشرب ماء نظيفا (حنون 2006 ص65-67).

ويعكس مشهد مسلة العقبان او النسور العائد الى اي اناتم حاكم لكش انتصاره على جيش اوما، ويضم المشهد في اسفل الحقل الاخير طقسا جنائزيا لفعالية سكب الماء المقدس على روح جنوده من لكش الذين سقطوا في ارض المعركة ودفنوا فيها بشكل جماعي (مورتكارت ص147).

طقوس غسل الميت:

كان الشخص في العراق القديم (كما اليوم) يفضل ان يموت في سريره محاطا باحبائه وكان الشخص المحتضر ينقل الى سرير جنائزي خاص مع كرسي في الجهة اليسرى لان تكون (مقعد الروح) الذي يستلم اول تقدمات جنائزية على الكرسي. ومن اجل التحضير لعملية الدفن كان يعمل على غسل الجسد واطباق الفم مع ربطه ثم تمسح الجثة بالزيت والعطر ويلبس ملابس نظيفة وتترك معه

بعض الاغراض الشخصية العائدة له والتي توفرها العائلة مثل الاسلحة ومساحيق الزينة والجواهر ومواد اخرى، وكان جسد المتوفي يوضع في تابوت او ناؤوس او قبر، وكانت الجثث غالبا ما تلف بالاكفان وحصران القصب وحصران خوص النخيل (بوتس 2006 ص322).

ولدينا من العصر الاشوري المتاخر نص حول طقس الدفن الذي يتعلق باحد الموتى من العائلة الملكية، ومن الطقوس التي كانت تجري في تهيئة الميت للدفن انه كان يسجى فوق سرير وتقوم زوجة الابن بغسل قدميه ومن ثم تقبيلها وتوضع فوق السرير أواني عليها علامة النهر والمقصود هنا نهر العالم السفلي، كما يهيأ عدد من القصب واناء من الزيت الجيد وبعد ذلك يجري رفعه من فوق السرير عاليا ثلاث مرات ثم توقد المباخر بخشب الارز ومن ثم تطفأ بالشراب وتسكب سكائب من الزيت والعسل وتقدم التقدمات امام الالهة الكبيرة، واخرى امام جلجامش وثالثة امام الملاح المسؤول عن القارب الذي يحمل ارواح الموتى عبر نهر العالم السفلي، كما تقام الصلوات امام شمش قاضي العالم الاسفل، يرافق كل ذلك صرخات وعويل نساء القصر (الراوي، شيبان ص199).

ويرد في احد الرسائل الاشورية عن مراسيم دفن (شمش – شوم – اوكن) وزوجته من قبل أخيه آشور – بان – ابلي (آشوربانيبال) ما نصه (لقد بنينا القبر ورقد مع سيدة قصره بسلام، وأنشاد تراتيل laklitu والمراثي واحرقت القرابين (المقدمة للالهة) كما تمت مراسيم المسح بالزيت وأقيمت مراسيم الانتهاء في بيت الاستحمام وبيت التطهير وتلاوة التعاويذ وانشاد التراتيل الجنائزية (Frankfort, 1948,p. 244).

العلاج الطبي بواسطة الماء:

لعب الماء دورا خطيرا في معتقدات سكان العراق القديم من ناحية الطبابة الدينية ولاسيما في مراسيم التعاويذ والعزائم وقراءة الادعية وعمليات الرقي، وكان يطلق عليه ماء الحياة (مي بلاطي) الذي يحيي الموتى ويطهر المرضى من الجنائب وينجيهم من الامراض ويعتق الذين يصيبهم مس من الجنون والذين عرقلت صحتهم الارواح الخبيثة. فكان هذا الماء يصب على المرضى من نفس الاناء الذي يمثل الينبوع الفوار بالماء فينجيهم من الموت ويطرد عنهم السوء ويجدد

لهم الحياة، ولما كان الاله ايا هو الذي بيده ماء الحياة لذا فقد كان في معتقدات العراقيين القدامى رب الماء المقدس ورئيس آلهة التعاويذ والعزائم وكان اسمه يردد في الرقى باسم سيد الشفاء، وكان جميع الكهنة المختصين بعمليات التعاويذ يساعدونه وينوبون عنه في عمليات التعاويذ، وكان يوجزهم لكي يقوموا باسمه لوحدهم بمهمة الطبابة عن طريق التعاويذ (كما هي الحالة عندنا اليوم لدى المشيخات والطرق الدينية)، ولكون الماء في نظر العراقيين القدماء من اهم شروط الحياة ووسائل التطهير في العبادة والطبابة، فلا يكاد يخلو اي نص من نصوص التقاليد الخاصة بالاله ايا او ابنه مردوك من ذكر الماء (الامين، محمود ص227).

وياتي الطبيب في مقدمة المهن المذكورة في قانون حمورابي واسمه باللغة الاكدية (آسو Asum / Asu) وهي مقتبسة من السومرية (آسو / آزو A.ZU / IN.ZU) (CDA,p.26)، والكلمتان تعنيان (المعرفة عن طريق الماء للاولى وعن طريق الزيت للثانية) اي التعرف على اسباب المرض عن طريق الماء او الزيت (الاحمد 1974 ص191)، والفحوى الضمني هنا ان الاسو (الطبيب في اللغة العربية) كان اصلا يتكهن بالماء (ساكس 1979 ص530)، وذلك استنادا الى النصوص الطبية التي وصلت الينا مكتوبة باللغتين السومرية والاكدية والتي تخص الوصفات الطبية، فمن الملاحظ انه قد امتزجت الوصفات الطبية بالعلاج الكهنوتي الى حد كبير بحيث يصعب الفصل بينهما، وان اداء هذا العمل جاء لاجل معالجة معاناة الناس وشفاء امراضهم بايلوب ديني كهنوتي سحري يعتمد على الرقى والتعاويذ وفعلت باطار طبي علمي ممزوج بالخبرة المتوارثة عن التقليد القديم، وكان اغلب ذلك العلاج مربوطا بسحر الرقم سبعة (الاسود، حكمت 2007 ص157-162)، كما ان عناصر الطقوس السرية المستخدمة في الطب تتلخص باستعمال الوان رمزية معينة وطرد الشر بواسطة عقدة من الحبال او الخيوط ذا الالوان واستخدام الدوائر والارقام واظهار القوى الجاذبة والدافعة لعناصر معينة، والتطهير بالماء واضرام النيران واظهار اصطدام ورجوع القوى الخفية واخيرا الايهام بتبديل جلوس الاشخاص (الاحمد 1974 ص195-196).

كان الكهنة المعوذون يوحون باستعمال ماء الفرات لرشه على المريض لانه كان لديهم اكثر قدسية من ماء دجلة ولانه كان في نظرهم النهر المطهر الوحيد، على ان ماء دجلة كان في اعتقاد الاشوريين مفضلا على ماء الفرات وكانوا ينظرون اليه

نظرة تقديس وتعظيم. ولقد رددت التعاويذ البابلية قدسية ماء الفرات واوصت باستعماله في تطهير المرضى من الخبائث ووصف خواصه في الشفاء في كثير منها :

الماء الطاهر

ماء الفرات الذي يجري في ارض طاهرة

الذين يطهرون الماء وينقونه صافيا براقا

امام والدهم ايا

امام امهم دمكينا

فليكن مطهرا (المريض) وليكن صافيا براقا (الامين، محمود ص229–230)

وقد كان هناك عدد من طقوس التطهير التي تسبق عملية شفاء المرضى، وتبدأ هذه الطقوس بغسل جسم المريض واستحمامه وحلاقة شعره ثم يستخدم الاثل ثم يبخر، ومن الممكن ان يضحى بعنزة ويدق جرس نحاسي ليسمع رنينه وتقرع الطبول، ثم يقدم الطعام والعطور الى الالهة او النهر المؤله ليحمل معه بعيدا الامور القذرة، ويتم تحديد دائرة بواسطة كمية من الطحين الذي ينثر على الارض او حول سرير المريض اذ يقال ان قوة هذه الدائرة قد تؤثر على بعض تلك الشياطين فلا تقوى على الدخول اليه(Black and Green , p. 127).

الماء المعوذ (المقروء عليه):

كما جاء في بعض التعاويذ الخاصة بطبابة المرضى انه يمكن استعمال مياه الابار التي تستمد مائها من جوف الارض ومن نفس الماء الذي تجري به العيون انهارا ولكن يشترط فيه ان يكون نقيا ويرش به على المريض المصاب بحمى في اناء خاص لهذا الغرض وهو الاناء المسمى (شوخرراتو shukharratu)، ومن المحتمل ان يكون شكله يشبه الوعاء الفوار او آنية ذات فوهة عريضة كاملة التي كانت تستعمل لسكب الماء النقي المعوذ على المرضى الذين يفدون على اريدو من انحاء العراق القديم لانها كانت مركزا للرقى والتعاويذ ولان ماءها كان اطهر المياه حيث كان المرضى الذين يفدون على اريدو لاجل الشفاء يغرفون الماء الطاهر من مكان مصب النهرين في الخليج وذلك عند مدخلها الجنوبي الذي يقابل درج الزقورة الوسطي باوان فخارية بهيأة الاقداح والطوس فيملون بها الاكواز والجرار الصغيرة كتلك التي وجدت في معابد

اريدو وفي مقبرتها عند راس كل ميت او عند قدميه لوحدها او داخل طبق من الفخار بعد انم لآت بالماء الطاهر الشافي من مصب النهرين وعوذها الكاهن لطرد الجان والارواح الخبيثة من الجسد الذي خنقته وكبلت روحه املا بالعودة الى الحياة مرة اخرى، وقد ظلت اريدو مركزا رئيسا للطبابة والتعاويذ واستعمال الماء المعوذ الذي كان يجري في معابدها حتى بعد سقوط بابل عام 539 ق.م (الامين ص230).

وقد ورد اسم الاناء (شوخر راتو) في كثير من التعويذات الشعرية نذكر منها مايلي:

- تعويذة في سكب الماء النقي من الاناء شوخر راتو على المريض بالحمى الحارة التي تدعى عند البابليين (ام مو):

تجاه الحمى والحمى الباردة المضرة بالجسد

ماء من بئر لم تمسه يد

واملآه في اناء شوخر راتو واسكب الماء على ذلك الشخص

- تعويذة عبارة عن حوار بين الاله مردوك ووالده ايا حول معالجة مريض مصاب بالصداع اثر دخول الجان في جوفه باستعمال الطاس او قدح الفخار الذي كان يستعمله الكهنة المعوذون لغرف الماء وسكبه على المريض، حيث جاء في النص:

مردوك راى المريض

فدخل البيت وتقدم الى والده ايا

يا ابي، ما ادري ما ذنب هذا الشخص (المريض)

لا ادري ما الطريقة لشفائه

فاجاب ايا ابنه مردوك

يابني ما الذي لا تعرفه حتى ابينه لك

ان ما اعلافه تعرفه ايضا

هيا با بني يا مردوك

خذ طاسا

واملآه من مصب النهرين

واقرأ على هذا الماء تعويذتك المطهرة

وبتعويذتك المطهرة المقدسة طهر
الشخص ابن الهه ورش عليه بهذا الماء
وامسح به جبينه... واعصب راسه
ولياكل في ذلك اليوم حتى يشبع
وعند المساء ارفع عصابه من راسه
واطرحه في مكان فسيح
فعسى ان يخرج الجانمن راسه ويولي (الامين ص231-232)

التطبيب بالماء:

يبدو ان الكثير من الوصفات الطبية التي جاءتنا من حضارة بلاد الرافدين كانت تعتمد على الماء الذي كان يستعمل في طبابة كثير من الامراض، اذ ان الماء كان يبري المريض ويشفي السقام:

1- العلاج برش الماء سبع مرات:

كان رش الماء على الامريض من الطقوس الدينية القديمة التي يمارسها كهنة (الاشيبو) في العلاج، وقد بدات في اريدو وكانت تهدف للتقرب من الاله ايا اله المياه والاعماق من اجل معونته في ازالة الارواح من الجسم بهذا الماء (البدري 2000 ص63)، وان رش الماء على المريض (الذي يصاحبه تلاوة التعاويذ والادعية) كان له مكانة مهمة في نصوص التعاويذ والرقى وذلك بدافع الاعتقاد ان الماء رمز الحياة وانه مطهر الارواح الخبيثة، فالارواح الطيبة لاتقترب الى الجسم المغسول المطهر، كما لعبت المياه والينابيع دورا مهما في هذا المجال لاهميتها في استدامة الحضارة ودورها في الطبابة الدينية لاسيما التعاويذ والعزائم وقراءة الادعية وعمليات الرقي، انها حركات يطلق عليها (ماء الحياة) الذي يحيي الموتى ويطهر المرضى. ومن جملة هذه الامراض مرض اليرقان الذي ينشأ نتيجة دخول جان خبيث في الجسد فيعصى فيه ولايخرج منه، وقد كان يدعى هذا النوع من الجان (ابيصو) اي المتربص للجسم السليم، فكان هذا الجان يطرد بعملية التطهير بالماء وذلك برش الماء سبع مرات على وجه المريض وجسمه ثم يقرأ الكهنة تعويذة يستعيذ بها من الالهة الطيبة (عدوة الجان الخبيث

رابيصو)، وفي ادناه نموذجا من التعاويذ التي كانت مستعملة عند قدماء العراقيين لطرد رابيصو من جسم الانسان المريض باليرقان:

مردوك

يا ابن ايا

بالماء الصافي

سبع مرات ثم سبع مرات

رش المريض

طهر المريض

نق المريض

وابعد عنه رابيصو الخبيث (الامين ص228–229)

وورد في نص آخر له علاقة برش الماء سبع مرات على وجه المريض مع قراءة الادعية والتعاويذ وعمليات الرقي ثم يقرأ الكاهن المعزم التعويذة الاتية:

دعهم يسحبون ماء التطهير

دعهم يرشوه على المريض

دعهم ياخذوا هذه الاقداح من حجر (هولالو hulalu)

دعهم يسحبون الماء من المحيط من البحار الواسعة

ماء دجلة والفرات (Goelze, 1955, p. 15)

2- العلاج بواسطة التنظيف بالماء سبع مرات:

جاءنا نص ادبي طبي من العصر الاشوري يحوي على وصفة طبية يوضح فيها كبقية الشفاء من الكدمات والتورم جاء فيها (اذا اصابت الرجل ضربة على خده فالوصفة العلمية لذلك... ينظف فمه سبعا وسبع مرات بالماء المستخرج من بئر مردوخ وسوف يشفى) (البدري 1976 ص 11– 2).

3- العلاج بواسطة الغطس بالماء سبع مرات:

ورد في احد النصوص الطبية التي تعالج (لدغة العقرب) انه يبدأ الكاهن بتلاوة الرقى فوق الجزء المصاب، ثم ياخذ المريض في فمه سبع حبات من القمح الخالص

مع بعض الاعشاب الجبلية ويمضغ هذا كله ويذهب الى النهر ويغطس فيه سبع مرات، وفي المرة السابعة يبصق ما في فمه في الماء (موسكاتي 1970 ص78).

4- العلاج بالماء والنار لطرد العفاريت:

شكل الماء والنار عنصرين مهمين لطرد العفاريت، ففي طقس (أيا) ياخذ الساحر ماء من دجلة والفرات ويرشه على جسد المريض مصحوبا بقراءة تعاويذ خاصة (الاحمد 1988 ص68).

5- العلاج بمياه الابار:

استخدمت مياه الابار لمعالجة الحمة الباردة المضرة للجسد كما جاء في النص:

ماء من بئر لم تمسه يد

واملآه في اناء شوخرراتو (وتستمر التعويذة الى ان تقول:

واسكب الماء على هذا الشخص (الأمين 1952 ص23)

6- العلاج بالثلج:

استخدم الاشوريون الثلج ضمن اساليبهم العلاجية وذلك بربطه على موضع الألم، ومما جاء في احدى تلك الوصفات (اربط عليه الثلج لمدة خمسة عشر يوما ثم يشرب الثلج في النبيذ وسوف يشفى) (البدري 1976 ص6 – 23).

تراكيب الادوية والماء:

يشكل الماء جزء مهما في تراكيب الادوية المختلفة ولاسيما السائلة منها، وقد عكست العديد من النصوص المسمارية ذات العلاقة بالطب باهمية استخدام المياه في تحضير الوصفات العلاجية سواء الدوائية منها او المستخدمة للاغراض العلاجية، وكما هو مبين في النصوص الاتية:

- الماء المانح للصحة تمت تهيئته من قبل والدة المريض .
- يوضع الخليط في ماء ساخن ثم يوضع على مكان الاصابة.
- غسل المكان بالجعة والماء الساخن.
- شرب الادوية المنقوعة بالماء.

- تناول الماء مع الدواء

- يستحم الملك فورا فان الحمى ستغادر سيدي الملك (الخطيب، عبد الرحمن ص121 – 122).

رمزية الخبز ودلالاته في حضارة بلاد الرافدين

لقد اهتدى الانسان الى تدجين النبات والحيوان بعد ان عاش لمدة جاوزت المليوني سنة وهو يعتمد في غذائه على صيد الحيوانات البرية والاسماك وعلى جمع النباتات الطبيعية في مرحلة عرفت (مرحلة جمع القوت) واستغرقت العصر الحجري القديم، وقد انتقل الانسان عبر التدجين الى مرحلة اقتصادية جديدة في حياته قوامها (انتاج القوت) بوساطة الزراعة وتربية الحيوان في العصر الحجري الحديث وذلك في بداية الالف الثامن ق.م (الدباغ، تقي 1988 ص27). وتعد بلاد الرافدين واحدة من اقدم مناطق العالم التي جرت فيها المحاولات الاولى للزراعة والتدجين عندما استطاع الانسان الرافديني ان يفجر اول ثورة اقتصادية في تاريخ البشرية تلك هي الثورة الزراعية حيث جاءت الدلائل من مواقع عديدة مثل زاوي جمي وشانيدر وكريم شهر وملفعات، حيث امدتنا التنقيبات الاثرية في حوض سد الموصل بنتائج مهمة ومثيرة حول مواقع العصر الحجري الحديث – مرحلة ما قبل الفخار في موقع (نمريك) قرب فائدة – محافظة دهوك في شمال العراق وفي موقع (قرمزدرة) الواقع على مشارف تلعفر وملفعات القريب من الموصل، وتنتمي هذه المواقع الى حقبة تؤرخ الى الالف التاسع ق.م (سعيد، مؤيد 1998 ص62–64).

عرف الانسان القديم الحنطة والشعير قبل زراعتها وكانت من النوع البري فعمل على جمعها ابان فترة جمع القوت فكان ياكل هذه الحبوب ليقتات عليها، واغلب الظن ان الشرق الاوسط كان مركز اشعاع الحنطة والشعير البريين في حدود الالف الثامن ق.م وعليه يعد هذا الجزء من العالم منبع الاستقرار للجنس البشري، وتعد الحنطة والشعير اساس الحضارة في الشرق الادنى القديم، وقد اثبتت الدلائل والمخلفات الاثرية على ان العراق وبالاخص القسم الشمالي منه هو الموطن الاول لزراعة القمح والشعير والتي دجنت من اصول برية كانت تنمو في المنطقة حيث زرع اهل قرية (جرمو)القمح في الالف الثامن ق.م كما يعد شعير قرية جرمو اقدم شعير لحد الان، وقد اعتبرت الحبوب مصدر استهلاك الالهة والبشر والحيوانات واحد اسباب نشوء الحضارات الانسانية وانهيارها في العالم، كما وتعد هذه المرحلة بداية تكوين المجتمعات المستقرة في العالم (الدليمي 1996).

القوى الكامنة في القمح:

عندما اكتشف الانسان القمح البري وبدأ بالاستقرار النسبي قرب حقوله يتغذى ببعضها ويخزن البعض الاخر، صار لدورة الطبيعة اهمية اكبر بالنسبة لحياته، لقد دخل الخبز في نظامه الغذائي وغير من عاداته الاجتماعية ونمط تحركاته السكانية فاستقر في الارض مودعا حياة الصيد والالتقاط وجمع القوت وتمركزت كل حياته ونظمه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية حول دورة الطبيعة وتتابع الفصول الذي تعتمد عليه الدورة الزراعية، فالحبيبات الصغيرة الجافة التي يدفنها الزراع في باطن الارض تظهر في اول الربيع عشيبات خضراء تتحول مع فصل الصيف الى سنابل ناضجة لتختزل سر الطبيعة كلها وسر الحركة الالهية الكامنة وراءها، انها روح القمح التي تشكل دورة الحياة السنوية التي تجري على مسرح الحقل، وان روح القمح والحبوب تتطلب مساهمة من الانسان وتدخلا من خلال عمله المقدس وطقوسه وصلواته، فعند الحصاد يندب الحصادون روح القمح الميتة ثم يدفنون حبوب القمح اليابسة في التراب ويقضون فصل الشتاء في الطقوس والصلوات لمساعدتها في الصعود الى وجه الارض (السواح 2002 ص116-117). ان الدين الحقيقي هو الدين الملتصق دوما بحياة الشعب وهذا ما تظهره بوضوح اللقى الاثرية التي عثر عليها في مواقع بلاد الرافدين، فمنذ اقدم العصور عندما لم تكن المعابد الكبيرة قد شيدت بعد، عرف سكان بلاد الرافدين مخازن مقدسة كانت تخزن الحبوب فيها، وقد عدت المخازن مقدسة لان الخبز هو الحياة وسجدوا له، لقد كانوا يؤدون حول تلك المخازن طقوسا مهمة وكانت هذه مرتبطة قبل اي شيء آخر بالمحصول بالاقماح بموسم البذار وجمع المحصول، لقد عولوا على الالهة لضمان محصول وفير ولكن الالهة كانوا يطالبون تقدمات وصلوات (ميغوليفسكي ص23)، وللقمح (Qemu) (CDA,p.287) كالملح قوى خاصة يلجأ اليه المرء كأنه كائن حي، فاذا قدم انسان شيئا من الطحين لاسترضاء احد الالهة خاطب الطحين بقوله (سارسلك الى الهي الساخط، الهتي الساخطة، فقد امتلآ القلب من كليهما غضبا علي، اصلح بيني وبين الهي الساخط، الهتي الساخطة)، وهكذا فان كلا الملح والقمح ليس بالمادة الجماد التي نعرفها بل ان كليهما حي ذو ارادة وشخصية (جاكوبسون 1980 ص152)، ويتمتع (الطحين) بالقوة المثيرة حينما يتم تحديد دائرة بواسطة كمية من

الطحين الذي ينثر على الارض او حول سرير المريض اذ يقال ان قوة هذه الدائرة قد تؤثر على بعض تلك الشياطين فلا تقوى على دخولها (Black and Graan , p. 127).

آلهة الحبوب:

ان الفكرة المبكرة للالهة قد ربطتهم بالطبيعة ومع الاستثمار والاستغلال البشري من خلال الزراعة والري وجمع النباتات البرية والحيوانات واستغلالها في امور شتى لانتاج الغذاء وتلبية حاجات الانسان الاساسية في الملجأ والغذاء واللباس، وان الافتراض المعقول من وجهة نظر سكان بلاد الرافدين الى الاله بشكله الآدمي شارك الانسان هذه الحاجات وهذه هي المقدمات الاساسية لقيام الحضارة واستمرارها (ساكس 1999 ص293)، وان مادة الانسان وجسده وروحه تتكون من مادة وروح الالهة وهذا ما عبرت عنه اساطير خلق الانسان، ومن هذا المنطلق راى العراقي القديم ان في كل انسان روحا الهية والاها شخصيا يرافقه ويرعى شؤونه ويحميه كما جاء في احد النصوص المسمارية (ليس بمقدور الانسان بلا اله شخصي ان يكسب خبزه) (جاكوبسون 1980 ص241). وقد خصص العراقيون القدماء عددا من آلهتهم لشؤون الفلاحة والزراعة والعناصر المرتبطة معها، فقد كان الاله ننكرسو اله الزراعة والاله ننكشزيدا اله الشجرة والاله دامو اله النبات (Jacobsen , 1970 ,p. 24-32) والاله ننورتا اله الخضرة والنبات والمسؤول عن الخصب وقد وجدت ترتيلة الى هذا الاله نصها:

الحياة تعطي المني، الحياة تعطي الحبوب

النعجة تولد الحمل، النعجة تولد الاغنام الجيدة

الام العنزة تلد الجدي

في النهر حيث يتدفق الماء العذب

في الحقل حيث تنمو الحبوب الخصبة

البحر مملوء بالسمك

الغابة مملوءة بالغزلان والماعز البري

البساتين المروية بالماء مملوءة بالعسل والخمر

في القصر تنمو الحياة الطويلة (Kramer , 1969)

الالهة شالا:

الهة سومرية تم تشخيصها مؤخرا بانها الالهة (باؤو او بابا) والتي اشتهرت باسم سيدة سنبلة القمح (كونتينو ص96).

الالهة ننليل:

الهة الحبوب وهي الهة الشعير الناضج وابنتها (ايزينو Ezinu) هي الهة الشعير الاخضر ويرمز لها بحبة قمح (Jacobsen , 1970 , p. 32).

الالهة اشنان:

الهة الحبوب السومرية التي يعني اسمها (قمح او حنطة gemu/qemus) (CAD , p. 28) ويقال لها (دقيق اشنان الطاهرة)، وقد وصفت بصورة جيدة في (انكي وتنطيم الكون) :

هي التي راسها وجسدها رقش

وجهها غطي بالعسل

السيدة التي تسبب الجماع وقوة الارض وحياة شعب الرؤوس السود

اشنان هي الخبز الجيد، خبز الجميع

انكي وضعها مسؤولة عنهم

كما يقف ارتباطها الواضح مع محصول الغلة خلف حضورها كالهة اللعنة حين يطلب منها ان (تميت بلاد العدو من الجوع) (Leick , p.14)، وتظهر اشنان في اسطورة الماشية والغلة التي يدور موضوعها حول عملية خلق اله الماشية (لخار) والهة الغلة (اشنان) ليمدا الالهة بما تحتاجه من قوت لانهما كانا مصدران للغذاء:

لان اسم اشنان لم يكن قد خلق ولم يكن قد تجسد

ولم يكن ثمة شاة او حمل

لان الانوناكي لم يكونوا قد عرفوا اسم اشنان واسم لخار

وان غلة ثلاثين يوما لم تكن في الوجود

وان غلة اربعين يوما لم تكن في الوجود

والانوناكي لم يعرفوا شيئا عن اكل الخبز

ولم يعرفوا شيئا عن ارتداء الثياب

في تلك الايام في غرفة الخلق التابعة للالهة

في بيت دكوك خلق لخار واشنان (حنون 2005 ص45-46)

ويظهر انهما لم يوفقا فقررت الالهة العظام انزالهما الى الارض وبنزولهما عم الخير وامتلآت المخازن بالحبوب والغلال (كريمر 1957 ص201 – 203).

الالهة باؤو (بابا):

وهي الهة سومرية (الهة مدينة لكش) وابنة الاله آنو، اشتهرت باسم (سيدة سنبلة القمح) وقد يكون لها اثر في نمو القمح بحسب ما يدل عليه معنى الاسم (كونتينو ص96).

آدابا خباز اريدو:

كان آدابا يسكن مدينة اريدو التي كانت مخصصة لعبادة الاله ايا، وكان في نظر سكان بلاد الرافدين معلم الثقافة للحضارة البشرية ووصف بانه علم الانسان الحرف اليدوية (انه الحكيم الذي علم البشرية الحضارة)، وكان محبا للناس يساعدهم في اعمالهم ويساهم في توفير الطعام والشراب لسكان مدينته لانه كان مشهورا بصيد السمك الذي كان مهما لاقتصاد المعبد (وبدونه لا ترفع مائدة القرابين)، وقد بقيت مؤهلاته وقابلياته العظيمة سائدا مفعولها حتى خاتمة التاريخ، لكن الاله لم يمنحه الخلود.

وكانت مكانته ومركزه اكثر من ملك، وكان من ضمن واجبات آدابا البارزة انه كان خباز اريدو واصبح يدعى رئيس الخبازين (راب نوميتو)، وقد جاء بالنص:

لقد جعله ايا كاملا في القدرة على الفهم

ليكشف عن خطط البلاد

اجل، لقد اعطاه الحكمة، لكنه لم يعطه حياة ابدية

كان فطنا واسع الحكمة وواحدا من الانوناكي

كان مقدسا، طاهر اليدين، كاهنا يلتزم دائما باقامة الشعائر

وكان يصنع الخبز مع الخبازين

اجل، يصنع الخبز مع خبازي اريدو

ويحضر الطعام والماء لاريدو كل يوم

ويهيء مائدة القرابين بيديه الطاهرتين

وبدونه لا ترفع مائدة القرابين

كان ياخذ قاربه ويصطاد السمك من اجل اريدو (علي، فاضل 1997 ص240-241)

الخبز:

تعد صناعة الخبز انجازا حضاريا مهما في حياة الانسان من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وذلك للدور الذي لعبه في نشاطات الانسان المختلفة في الاحتفالات الدينية والشعبية بالاضافة الى توفر نسبة عالية من احتياجات الجسم اليومية من السعرات الحرارية والمعادن والفيتامينات ومواد اخرى، فهو يمثل قوام الحياة وحاجة لايمكن للفرد ان يستغني عنه في حياته اليومية باعتباره المنتج الحقيقي للطاقة التي تستخدم في تغذية الانسان وعلى اساسه بنيت الحضارات. وكان الخبز غذاء الناس في بلاد الرافدين الاحرار منهم والرقيق على حد سواء حيث كان يعتمد بالدرجة الاولى على الشعير الذي وفر الجعة لشرابهم الرئيسي وكذلك الطعام الرئيسي الذي كان يؤكل على شكل خبز مخمر، وكانت صناعة الخبز تستلزم معرفة كاملة باسلوب التخمير الذي افاد في صناعة المشروبات الكحولية (ساكس 1979 ص198 و باقر 1953 ص24 وساكس 1999 ص38)،ويعتبر الخبز العنصر الاساسي للغذاء في بلاد الرافدين،ويؤلف وجبة طعام رئيسية للتلاميذ الذين يدرسون في بيت الالواح (المدرسة) كما تسميها النصوص المسمارية حيث ذكر التلميذ ان والدته كانت تزوده برغيفين من الخبز قبل ذهابه الى المدرسة (Bauman, 1969,p.83)، وقد جاء في احد الامثال السومرية (الدقيق الجيد يناسب المراة والقصر) (كوفمان ص79).

ورد الخبز في النصوص المسمارية السومرية بمصطلح NINDA يقابله بالاكدية akalu (CDA,p. 9)، كما اوردت النصوص المسمارية وصفا دقيقا يتضمن

طرق صناعة الخبز وكذلك اشكاله وانواعه والذي كان مستخدما في بلاد الرافدين عبر مراحله الحضارية المختلفة،فقد ورد في احد النصوص ذكر حوالي (300) نوع من الخبز وميزة كل نوع بما يحتويه من مواد مطيبة كالحليب والزبدة والزيت والبيرة والبهارات والمواد السكرية والسمن كما كان يضاف للخبز النعناع والتين الى العجين قبل خبزه او يحشى بالجبن، ومن اشكاله يعرف النوع الكبير جدا والصغير ومنه ما كان يصنع على شكل قلب او اليد وحتى ما يصنع على شكل المرأة كما جاء وصف الخبز الطويل والخبز الصغير وكذلك الرغيف الدائري واخرى على شكل اقراص وخبز epu وهو رغيف مدور يستعمل في التقدمات الدينية كجزء من وجبات الالهة ، ومن انواعه خبز النخالة والخبز المجفف والخبز المخمر وغير المخمر(كونتينو 1979ص133-134،والجادر1986ص83 وليفي 1980 ص146 و Ellison,1982,p.146). وقد ورد في النصوص الاشورية مهنة (كاركادنيتو karkadinntu) التي تعني المراة التي تزاول مهنة الخبز وعمل الكيك وكذلك الطباخة التي تقوم بانتاج انواع من الاطباق الخاصة للملكة (Teppo,2005,p. 71).

خبز البيرة:

كانت عملية تجفيف الشعير النابت تتم تحت اشعة الشمس (التجفيف الطبيعي) او يشوى في التنور لكي يجف ثم يسحق باستخدام الهاون وينخل لفصل بقايا الرويشة او الاغلفة ثم يحفظ في حاويات او اكياس لحين الاستخدام، وفي الغالب كان يخبز منه خبز يسمى خبز الجعة، ويدعى بالاكدية (bappiru)(CDA,p.38) والتي عادة تكون بشكل اقراص بحيث يمكن نقلها وحفظها وتفتيتها ثانية او سحنها واذابتها في الماء لتتخمر بالحرارة وتصنع منها الجعة، وكان خبز الجعة يطيب باضافة كافة انواع الاعشاب والتوابل والتمور للحصول على انواع مختلفة من الجعة من حيث الطعم والنكهة (Forbers,1965,p.64)

دلالات الخبز ورموزه:

كان الخبز عنصرا ثابتا مهما في الغذاء ويؤلف وجبة طعام رئيسية، وقد شكل الخبز مع البصل لدى بعض العوائل وجبة طعام رئيسية، وجاء في رسالة من العصر الاشوري الحديث من زمن الملك اسرحدون ذكر فيها الخبز (عسى ان لا اموت بالحاجة الى الخبز)، والخبز وسيلة للمشاركة واحد ضروريات الضيافة

واكل الخبز مع شخص معين معناه اتخاذه صديقا،كما كان للخبز استخداماته الطبية لعلاج بعض الامراض(علي، ايمان 2006 ص94-95)، ومن هنا فقد كان للخبز دلالات ورموز كثيرة في حضارة بلاد الرافدين:

الخبز رمز التحضر الانساني:

في قصيدة سومرية يعود تاريخها الى عصر اور الثالثة في نهاية الالف الثالث ق.م عرفت باسم (في تلك الايام البعيدة) او قصة انانا، جلجامش وشجرة الخولوب hulluppu (ربما الصفصاف)، حيث يبدأ هذا التاليف بمقدمة اسطورية تمهيدية تسرد فعاليات الخلق والتكوين بما في ذلك خلق الانسان واستهلال عملية التحضر الانساني التي يرمز اليها عمل الخبز في الافران وتذوقه في المعابد اثناء اقامة الطقوس والتي تشير الى فكرة الخبز السماوي المقدس الذي هو هبة من السماء الى الارض من اجل استمرارية العيش، وقد جاء في النص:

في الايام الاولى

عندما فصلت الارض عن السماء

عندما خلق كل شيء حسب الاصول

عندما جرى خبز الخبز في الاماكن المقدسة

بعد ان تم تذوق الخبز في مزارات البلاد

بعد ان خبز الخبز في افران البلاد

بعد ان انفصلت الارض عن السماء

بعد ان وضع اسم الانسان

جعل آن معه السماء

وانليل حمل الارض (الاحمد، سامي 1990ص223، ولكشتاين وكريمر ص37)

وقد ورد في ملحمة جلجامش ان الخبز من الاطعمة التي عرفها الانسان المتمدن وانه (الخبز) علامة من علامات التحضر التي يستعملها اناس متحضرون في بلاد متحضرة الى جانب الجعة،حيث جاء في النص:

لم يكن انكيدو يعرف الخبز طعاما

ولم يكن مطلعا على الجعة شرابا

فتحت البغي فاها وقالت لانكيدو

كل خبزا يا انكيدو، فانه علامة حياة متحضرة

واشرب جعة، فهذا ما يجب فعله في البلاد المتحضرة

من الخبز اكل انكيدو حتى شبع

ومن الجعة شرب سبع مرات من الجرة

فانبسطت اساريره وانشد مبتهجا (لابات 1988 ص176)

وجاء ذكر الخبز في العديد من النصوص القديمة ومنها ملحمة جلجامش على انه من الاطعمة التي عرفها الانسان المتمدن فقط، حيث يذكر النص انه عندما جيء بانكيدو من الغابة الى مدينة الوركاء قدم له الخبز وتجمع حوله السكان ليشاهدوا ماذا سيفعل به:

ولما وضعوا امامه طعاما تحير واضطرب

وصار يطيل النظر اليه

اجل لايعرف انكيدو كيف يؤكل الخبز

ولا كيف يشرب الشراب القوي (باقر 1980 ص89)

خبز الحياة.. رمزا للخلود:

في قصة آدابا الذي يكسر جناح الريح فيوقف نشاطها لمدة سبعة ايام، هذا العمل اثار انتباه الاله أنو اله السماء فاستدعاه الى السماء وقرر مكافئته لانه توسم فيه رجاحة العقل والحكمة فقرر بدلا من عقوبته ان يطعمه طعام الحياة الخالدة ويسقيه ماء الخلود فيجعله خالدا مثلما هو حكيم، ولكن آدابا يرفض تناول ما قدم اليه من خبز وماء، فغضب آنو ولعن آدابا قائلا (لانك لم تاكل من طعام الحياة ولم تشرب ماء الحياة فلن تنال الحياة الخالدة)(باقر1976 ص136-137) وقد ادرك آدابا بانه فوت على نفسه الفرصة بالحصول على الخلود كما انه خالف قوانين الضيافة المتعارف عليها حين رفض تناول الخبز والماء في السماء فاجبر بذلك الاله آنو على معاقبته.

الخبز من اجل الحياة ما بعد الموت:

ورد في النصوص المسمارية ذكر ما يفيد وضع الخبز في القبر مع الميت وذلك لاعتقاد العراقيين القدماء بنوع من الحياة بعد الموت، اذ جاء في النص الخاص باصلاحات اوروانمكينا (اوركاجينا) ما نصه:

عندما يوضع الميت في القبر كانت جعته (بعد العودة)

سبع جرار وخبزه اربعامائة وعشرين (رغيفا)

وقد قام المصلح اوروانمكينا بتخفيض هذه الرسوم حيث جعل كمية الجعة ثلاث جرار فقط والخبز ثمانين رغيفا (حنون 1978 ص232).

للخبز قوة سحرية:

كان للخبز قوة سحرية خاصة تؤثر في الحالة النفسية للمريض حيث ذكر احد النصوص (وضع انكي الخبز على راس المريض، وجعل الخبز يتصل بجسمه) (الدباغ 1985 ص155-156)، وللخبز قوة سحرية تجعل الطفل ينام، فعندما تريد الام ان ينام طفلها الرضيع لكي تستطيع انجاز اعمالها الاخرى كانت تردد له تهويدة تكررها ثلاث مرات بينما تمسح جسم الطفل من راسه الى اخمص قدميه بقطعة من الخبز ترميها بعد ذلك الى الكلب وهذه التهويدة في عقيدة العراقيين القدامى تهديء الطفل وتجعله ينام نوما عميقا (عقراوي 1978 ص155-158).

قربان الخبز:

ورد ان كاهن الالهة نانشة كان يقدم كثير من المواد كقرابين مثل انواع من الخبز الذي هو من عمل مصنع البيرة (لعله كان المقصود المولت الذي كان يستخدم في صنع البيرة او ربما المولت نفسه الذي يستخدم في صنع البيرة)، وكذلك شعيرا مشويا وتقديم قطع من الخبز المستدق الراس الذي كان يصنع من الطحين، كما صنع قسم من الخبز بالسمن او من الشعير الابيض، وكانت هناك اعياد الالهة نانشة تقدم فيها القرابين وكانت هذه الاعياد تسمى (عيد اكل الشعير وعيد اكل المولت) (نكارتين ص44-45). وكان من ضمن القرابين المقدمة في عيد الاله (باؤو) انواع مختلفة من الخبز الذي هو من عمل مصنع البيرة ومجموعة من الخضراوات وكذلك بيرة قوية وبيرة سوداء وشعيرا مشويا وبلحا (نكارتين ص42).

اما قرابين عيد (كي – سوك ki – sug) الذي كان يحمل معنى الاحتفالات والفرح من اجل تحسين او تعجيل تقرير مصير الاراضي غير المزروعة التي كانت تعرف ب (الاراضي البور)، وكان هذا العيد فرصة تقدم خلاله كميات كبيرة من الخبز والبيرة الى القصر الملكي، وكان جزء من هذه القرابين (كالبيرة والخبز) الخاصة بعيد (كي – سوك) يخصص لحفلات الشرب التي تقام للفلاحين من قبل الامراء كما كانت تقام مثل هذه الحفلات من قبل الكهنة ايضا (نكارتين ص48–49).

وفي قصة الطوفان وفق رواية اتراخاسيس التي تتناول مواضيع خلق الانسان من اجل ان يحل محل الالهة في تحمل مشقة العمل لاصلاح الارض واعمارها وزرعها، وعندما تكاثر الناس وانتشروا في الارض فحفروا القنوات وزرعوا الارض وبنوا معابد الالهة وقدموا قرابين الخبز الى الالهة:

اتسعت البلاد وزاد تعداد البشر

حتى غدت الالهة قلقة من صخبهم

سمع انليل ضجيجهم وقال للالهة العظام

ليحل الطاعون بينهم

كان هناك رجل اسمه اتراخاسيس

ففتح انكي فمه وقال لعبده

ادع اليك الشيوخ وعلية القوم

(بان) يلتمسوا باب الاله نمتار (اله الطاعون)

احضروا اليه قربان الخبز (واحضروا معكم رغيف من الخبز)

عسى ان يسعده قربان الدقيق

فيخجل من الهبة ويرد يده عنكم

وفي نفس القصة جلس الانوناكي في ضمأ وجوع لانقطاع القرابين والتقدمات التي يقدمها الانسان (السواح 2006 ص129–135).

الخبز هو الحكم في الاختبار العسير لجلجامش:

عندما وصل جلجامش الى اوتونابشتم وقص عليه قصته وما جرى له طالبا

الحصول على الخلود دعاه الاخير الى اختبار عسير يثبت من خلاله استعداده ومقدرته على قهر الموت الاكبر بقهر الموت الاصغر وهو النوم، فكان على جلجامش ان يظل مستيقضا ستة ايام وسبعة ليالي (لكي ينال الخلود) ولكن النعاس يغالبه فيطلب اوتونبشتم من زوجته ان ترقم على الجدار ايام نوم جلجامش وتخبز ارغفة، رغيفا لكل يوم وتضعه عند راسه وعند الرغيف السابع يلمسه اوتونبشتم فيستيقظ جلجامش (السواح 2006 ص284-285)، وكما جاء في النص:

خبزت خبزه اليومي ووضعته عند راسه

رسمت علامة على الجدار (عن كل) يوم نامه

رغيف خبزه الاول كان يابسا

الثاني مثل الجلد

الثالث رطبا

رغيف خبزه الرابع كان قد تعفن

الخامس حمل عفنا

السادس كان طازجا

وكان السابع على الفحم (حنون 2006 ص229)

ولما استيقظ جلجامش قال مخاطبا اوتونبشتم، لم تكد تاخذني سنة من النوم حتى لمستني فايقظتني، فاجاب اوتونبشتم جلجامش وهو يصف حالة رغيف الخبز الذي مر عليه يوم ويومان وصولا الى ا ليوم السابع، اذ جاء في النص:

يا جلجامش عد ارغفتك

فينبؤك المؤشر على الحائط عدد الايام التي نمت فيها

فقد يبس رغيفك الاول والثاني لم يعد صالحا

والثالث لايزال رطبا وابيضت قشرة الرابع والخامس لايزال طريا

والسادس خبز في الحال والسابع – اذ بك تستيقظ في الحال (باقر 1980 ص163)

القدرة الالهية في منح الخلود واحياء الموتى
من خلال طعام الحياة وماء الحياة

انشغل الجنس البشري منذ اقدم العصور بالاهتمام بمسألة الحياة والموت والخلود، ووقف الانسان مشدوها ومحتجا امام سر الحياة التي تنتهي عنده بالموت محاولا رفض هذا المصير راغبا بالخلود، وعندما عرف هذا الانسان ان الموت مقترن بالحياة ادى به ذلك الى القلق والاحساس بالتناقض بين الحياة والموت وبعبث الوجود، ونراه يعبر عن ذلك الامر بكلمات جاءت على لسان اوتونابشتم بطل الطوفان والخالد الوحيد من البشر وهو يخاطب جلجامش:

ان الموت قاسي لايرحم

هل بنينا بيتا يقوم الى الابد

هل ختمنا عقدا يدوم الى الابد

والفراشة لاتكاد تخرج من شرنقتها فتبصر وجه الشمي حتى يحين اجلها

ولم يكن دوام وخلود منذ القدم

وما اعظم الشبه بين النائم والميت

الا تبدو عليهما هيئة الموت

ان الانوناكي الالهة العظام تجتمع مسبقا

ومعهم (ماميتم) صانعة الاقدار تقدر معهم المصائر

قسموا الحياة والموت

ولكن الموت لم يكشفوا عن يومه (باقر 1980 ص 147)

كما شغلت مشاكل الحياة الفرد في حضارة بلاد الرافدين القديمة مثلما اقلقته مسألة الموت لانه ادرك حيثما توجد حياة فلا بد ان يقترن بها الموت وكان يتسائل باستمرار ماذا بعد الموت ؟ وان هذا المقدر على الانسان دفع الالهة (اورورو) الهة الولادة بان تسأل الاله آن كبير الالهة:

لماذا اذن ما نحن نخلقه يخضع للموت

لماذا كل ما ندعوه الى الوجود يموت (الجوراني 1998 ص85)

وعندما ادرك العراقيون القدماء حتمية الموت على البشر لم يتذمروا على ذلك المصير الذي فرضته الالهة عليهم ولكنهم اخذوا يتشبثون بالحياة بكل طاقتهم منطلقين من فكرة اطالة العمر وتأخير آجالهم غير المرغوب فيها متعلقين بالحياة تعلقا شديدا وهم يتمتعون بمباهجها (حنون، نائل 1978 ص93 – 94)،وبنفس الوقت نراهم ساعين الى الحياة الابدية والخلود من خلال البحث عن وسائل تدفع عنهم هذه المخاوف وتضمن لهم الخلود بشكل او بآخر (متي، كريم 1988 ص85) اي البحث عن نوع من الوجود الدائم لا يتأثر بمرور الزمن اي التنكر للموت (حبي، يوسف 1996 ص128–130) لان الموت يلغي الخلود وهذا ما وجدناه عند جلجامش وعند آدابا حينما اقترن بنبات الخلود وطعام الحياة وماء الحياة (الجابري 1985 ص65).

وامام الخوف الذي كان يرافق الانسان في الحياة وعجزه امام الموت الذي يتلاعب به اخذ يفتش عن طريقة تريحه من عذاب الحياة ومرارة الموت فاخترع فكرة الخلود ليجيب عن السؤال الابدي (لماذا الموت) عله يجد الراحة والاستقرار. ولعل الاديب العراقي القديم اراد ان يفهم الناس بان الموت امر مفروغ منه لكل انسان، اما الخلود فيمكن الحصول عليه عن طريق مادة مجسدة تدعى طعام الحياة ونبات الحياة وهي العلامة الفارقة لمتناوليها بين الالهة والبشر (الجوراني ص38).

طعام الحياة... وماء الحياة:

جاء ذكر طعام الحياة وماء الحياة في عدد من النصوص الادبية في حضارة بلاد الرافدين مثلما ذكرنقيضه طعام الموت وماء الموت، ونحن اذ نستعرض النصوص الادبية التي جاءت على ذكر طعام الحياة وماء الحياة نلاحظ الاختلاف الواضح في الرمزية المستخدمة في هتين المادتين بين نص مسماري وآخر وكذلك الاختلاف في وظائفهما وقدرتهما تجاه البشر والذي حددته الالهة:

1- يعتبر الاله انكي / ايا اله الحكمة الذي والحياة الذي اوجد اعشاب الشفاء وبيده سلطة السحر العليا والمعارف السرية، ويرتبط هذا الاله بالماء حيث يقوم

بواجب التطهير، وقد عد الاله مردوك في وقت لاحق ابنا للاله ايا الذي علمه اسرار السحر، ويظهر من النصوص الخاصة بالتعزيم ان الاله مردوك كان يذهب بدوره الى ابيه الاله انكي / ايا ليعرض عليه حالة الشخص المستغيث سواء الذي تسكنه الارواح الشريرة او الواقع تحت سلطة ساحر شرير يمارس السحر الاسود، اذ يخبر مردوك ابيه عن الساحرة التي اصابت الرجل بالمرض، وبدوره كان اباه ايا يخبره بالاجراءات الواجب اتخاذها لشفائه (اذهب ابني مردوك، اعطه شرابك الطاهر، شراب الحياة، دعه ياكل نباة الحياة، دعه يدهن نفسه ويغتسل) (ساكس 1979 ص355 وروثن ص73).

2- جاء في اسطورة نزول اينانا /عشتار الى العالم الاسفل ذكر طعام الحياة وماء الحياة، فما ان وصلت عشتار الى العالم الاسفل يجردها حراس الابواب السبعة من جميع زينتها الانثوية ويردوها جثة هامدة فيذهب وزيرها ننشوبر الى الاله انكي / ايا الذي يقوم ببعض الاعمال السحرية التي تعيد الحياة الى الالهة عندما خلق مخلوقين (كوركارا وكالاتور) اعطى الاول منهما طعام الحياة والثاني ماء الحياة ثم طلب منهما ان ينزلا الى العالم السفلي – عالم الاموات، حيث جاء في النص:

صاغ انكي كالاتور

واعطى كوركار طعام الحياة

وكالاتور ماء الحياة واسرعا الخطى الى العالم الاسفل

واحد منكما سينثر عليها طعام الحياة ، والاخر ماء الحياة

وستعود اينانا الى الحياة

ثم واحد منهما رش عليها طعام الحياة، والاخر ماء الحياة

وعادة اينانا الى الحياة (بوتيرو وكريمر 2005 ص163-166)

ويذكر النص ان جثة اينانا رشت بطعام الحياة ونثر عليها ماء الحياة ستين مرة، وبشيئين تسميهما الاسطورة (بلخو وملامو) لتعود الى الحياة مجددا فتصعد الى الارض، وربما يشير الرقم ستين هنا الى كمال العدد من ناحية لانه مقدس وسحري في آن واحد والى ان الموت سببه ستون مرض وان الشفاء يتم بمواجهة هذه الامراض بهذا العدد المقدس سواء بطعام الحياة او ماء الحياة او بهما معا (الماجدي، انجيل سومر ص116).

وترد تفاصيل النسخة الاشورية لرحلة عشتار الى العالم الاسفل وخروجها من عالم الاموات مقابل تقديم بديل حيث وقع اختيارها على زوجها الاله دموزي فتصوب عليه نظرات الموت فيؤخذ الى العالم الاسفل بديلا عنها، وكان الاله دموزي كلما حاول الافلات منهم يقبضون عليه ثانية الى ان يستغيث بالاله اوتو / شمش ويطلب منه ان يحمل روحه الى (بيت بيليلي Belili) وهي الهة عجوز تتصف بالحكمة والتي استجابت لتوسلاته (فاشربته الماء واعطته دقيقا ليأكل) ولكن نهاية دموزي الموت على يد الشياطين (علي، فاضل 1997 ص118-125)، ويقول شاعر سومري في فاتحة قصيدته عن ماساة دموزي ما نصه:

لقد سقط القدح مهشما

ولم يعد دموزي على قيد الحياة

وذهبت الحظيرة ادراج الرياح (علي، فاضل 1986 ص118-125)

وهناك اسطورة سومرية اخرى عن موت دموزي تعرف بعنوان (اسطورة انانا وبيلولو) وترد الاشارة فيها الى هجوم تقوم به (بيلولو) وابنها (كركري) على حظيرة الاله الشاب (دموزي) الذي يلاقي مصرعه، فتندبه انانا وتحزن عليه وتتملكها رغبة الانتقام من بيلولو فتزمع على قتلها من اجل ان يستريح دموزي في رقاده فذهبت اليها وحولتها الى قربة ماء (حنون 1978 ص60-61).

3- تتضمن قصة (لوجال بندا وجبل هرم / خرم) وهي من الادب الروائي الكلام عن وصول لوكال بندا واتباعه الى جبل اسمه (خرم) وهم في طريقهم من اوروك الى (آرتا) حيث يقع لوجال بندا صريعا المرض واعتقد اصحابه انه على وشك الموت ولهذا قرروا مواصلة السفر تاركين اياه في الموضع على ان يحملوا جثمانه عند عودتهم من (ارتا) وينقلوه الى اوروك، ولكي يؤمنوا ما عسى ان يحتاج اليه من الضروريات تركوا معه مقدارا وافرا من الطعام والماء والشراب القوي وخلفوا معه سلاحه، ولما راى لوجال بندا نفسه مريضا وحيدا ومنبوذا اخذ يتضرع الى الاله الشمس (اوتو) لكي يمنحه القوة فاشفق عليه هذا الاله واعاد اليه صحته وعافيته بواسطة طعام الحياة وماء الحياة (كريمر 1957 ص364).

4- قصة آدابا: قام آدابا بكسر جناح الريح مما تسبب في توقفها عن الهبوب فاغضب هذا العمل الاله آنو اله السماء الذي استداعاه للمثول امامه، ولكن آدابا

خشي العاقبة فلاذ باله الحكمة ايا يسأله النصيحة، فقال له ايا.. عند مثولك امام الاله آنو سيقدم لك طعام الموت وماء الموت فعليك ان لاتقرب منهما :

عندما تقف في حضرة آنو

سيحملان لك خبز الموت، اذن يجب ان لاتأكل

وسيحملان لك ماء الموت، اذن يجب ان لاتشرب

وصعد آدابا الى السماء ومثل امام آنو الذي اعجب به وقرر ان يكافئه فامر بان يقدم له طعام الحياة وماء الحياة ولكنه يرفض ما قدم له بسبب لانه وثق بنصائح الهه ايا :

احضروا له خبز الحياة (الابدية) لكنه لم يأكل

احضروا له ماء الحياة (الابدية) لكنه لم يشرب

وكان آنو يراقبه فضحك منه وقال له غاضبا (لانك لم تأكل طعام الحياة ولم تشرب ماء الحياة فلن تنال الحياة الابدية) فيخسر آدابا بذلك الفرصة التي اتيحت له ليرقى الى صنف الخالدين (علي، فاضل 1997 ص136-137).ولم يكن واضحا هل خدع آدابا من قبل الاله ايا ام لا، وان السياق الادبي للقصة يتضمن حتمية حرمان الجنس البشري من الخلود، ولكن مفتاح القصة يظهر في المناورة بالكلمات التي قالها الاله ايا لادابا بين خبز الحياة (شماتي samati) وخبز الموت (شا موتي sa muti) (Holland , 2009 , p. 127) .

ماء الحياة:

يشير ماء الحياة الى شعار الاله انكي / ايا اله المياه العذبة والشفاء وهو شعار سومر الذي هو عبارة عن الاناء الفوار بماء الحياة العذب الذي يمسك به الاله ايا بكلتا يديه، وقد اتخذه قدماء العراقيين شعارا لهم بتوالي حقبهم التاريخية معبرين عن حضارتهم الخالدة بخلود الاله ايا، كما اعتبروا الماء رمز الحياة والبقاء والخلود فلا غرابة ان يعتبره العراقيين القدماء عاملا جوهريا لاعادة الحياة وتجديدها طالما يزود هذا الماء الارض اليابسة ويعيد لها الحياة ويبعثها من جديد (الامين، محمود 1952 ص214-219). كما كان يطلق عليه ماء الحياة (مي بلاطي) الذي يحيي الموتى ويطهر المرضى ويشفي الذين يصيبهم مس من الجنون والذين

عرقلت صحتهم الارواح الخبيثة وذلك لدوره في مراسيم التعاويذ والعزائم وقراءة الادعية وعمليات الرقي (الامين ص 227 – 229)، واصبح الماء مقدسا ومباركا حتى ان عادة رش الماء من الاناء الذي لمسته اصابع الاله على الملك ورجال الدين قد ذكرت عند وجبات طعام معينة (كريمر 1971 ص109).

نبات الحياة:

جاء ذكر نبات الحياة في ملحمة جلجامش الذي يرعبه موت صديقه انكيدو فيهيم على وجهه باحثا عن الخلود وقاصدا اوتونبشتم بطل الطوفان الذي يطلعه على سر نبتة شوكية تعيش في اعماق المياه، حيث جاء في النص:

ساكشف لك يا جلجامش عن مسألة خفية

واخبرك بسر الالهة

فهناك نبات جذره يشبه العاقول

له اشواك مثل الورد تخز يديك

فاذا ما ظفرت به وجدت (حياة متجددة)

نزل جلجامش الى قاع البحر وقطع ذلك النبات رغم الوخز الشديد الذي سببه له، وكانت فرصته عظيمة على ذلك النبات الشوكي الذي يعيد للانسان شبابا متجددا اذا اكل منه، فقال جلجامش مخاطبا الملاح اورشنابي:

ان هذا النبات يشفي الغم

فيه يحصل الانسان على نفس الحياة

لاحملنه معي الى الوركاء المسورة

واعطيه الى شيخ ليأكله ويجربه

وسيكون اسمه (يعود الشيخ الى صباه)

واني سآكل منه واعود شابا كما كنت

واثناء طريق العودة الطويل راى جلجامش بركة ماء بارد فنزل اليها واستحم بمائها تاركا النبتة عند الضفة، فانسلت حية الى النبتة واكلتها، وبينما هي راجعة الى وكرها تجدد جلدها وفقد جلجامش الامل في تجديد الشباب:

شمت الحية رائحة النبات

فخرجت متسللة واخذت النبات

ولما اخذته خلعت عنها جلدها

وعند ذاك جلس جلجامش واجهش بالبكاء (علي، فاضل 1997 ص226-227)

وهكذا ربحت الحية او (سبع الارض) كما كان يسميها البابليون لانها حصلت على النبات السحري واصبحت تنعم بشباب متجدد وعلى الدوام فتتزع عنها جلدها كل عام، وبهذا تقدم الملحمة تبريرا اسطوريا في حبكة ادبية لظاهرة نزع الافاعي لجلودها وكأنها تجديد لشبابها بتاثير مفعول تلك النبتة (حنون 2005 ص210).

نبات النسل:

جاء اسم هذا النبات بالنصوص المسمارية بالصيغة (شوما شا الادي summa sa aladi) (CDA , p. 353) والتي تعني (نبات او عشب او عشبة طبية)، وتتمثل خاصية هذا النبات بحصول الاخصاب وانشاء الحمل، وربما كان هذا النبات يوخذ عن طريق الفم.

وقد كان الملك ايتانا ملك كيش يسعى للحصول على نبات من السماء له خاصية الحمل لان امرأته كانت عاقرا ولم يكن عنده ابن وريث يورثه العرش من بعده وقد استعطف ايتانا الاله شمش فيدله على النسر الذي سيصعد به الى السماء السابعة، سماء الاله آنو ، ويبدو ان ايتانا حصل على مبتغاه كما تشير الى ذلك دلالة اثبات الملوك السومرية حيث ورد فيها اسم الملك (باليخ) على انه ابن ايتانا الذي خلفه في الحكم (باقر 1976 ص133-134)، كما تذكر القصة ان زوجة ايتانا رات حلما عن النبتة التي تساعد على الولادة وهي نبتة (شوما شا الادي) فيصلي ايتانا الى الاله شمش لكي يمنحه هذه النبتة (Black , 1998 , p.149).

التفسير :

يبدو من سياق النصوص الادبية الخاصة بطعام الحياة وماء الحياة، ونبات الحياة، ونبات النسل انها مفاهيم رمزية تجسدت فيها القوة الالهية وصيغت باسلوب ادبي قصصي واسطوري لغرض ايصال رسالة معينة الى الجنس البشري

بامور تتعلق بالحياة والموت والخلود، لان طعام الحياة هو كناية عن اي طعام تكمن فيه حياة البشر واستمراريتها، وان نبات الحياة هو كناية عن اي نبات وهبته الطبيعة للانسان من اجل العيش وبمساعدة ماء الحياة الذي لايقدر الانسان العيش بدونه، فالطعام والشراب هما القاعدة الاكثر احتياجا لكل المخلوقات البشرية وهو شائع لكل الذين يعيشون على الارض، انه قانون العيش.

ما هو طعام الحياة:

يبدو ان طعام الحياة متجسد في مفهوم (الخبز) الذي يعتبر انجازا حضاريا مهما في حياة الانسان وذلك للدور الذي لعبه في نشاطات الانسان المختلفة من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والمعيشية من خلال توفيره نسبة عالية من احتياجات الجسم اليومية فضلا عن النشاطات الدينية والشعبية، فالخبز هو قوام الحياة وهو غذاء الناس (ساكس 1979 ص98).

كما كان للخبز قوة سحرية خاصة تؤثر في الحالة النفسية للمريض من خلال (مسحة الخبز) اذ تصف لنا النصوص المسمارية علاجات للحماية من العين الشريرة والتي وصفت كتعاويذ بواسطة مسحة الخبز وهي ممارسة شائعة جدا في التطهير وكان يقوم بها الاله انكي ليشفي الشخص المريض بسبب العين الشريرة بواسطة مسحة الخبز، اذ جاء في النص:

انكي رأى هذا الرجل

وضع الخبز على راسه (المريض)

قرب الخبز من جسده

رتل له صلاة الحياة (Thompson , 1992, p. 26-27)

وقد ورد في احد النصوص المسمارية عن ذكر وضع الخبز في القبر مع الميت وذلك لاعتقاد العراقيين القدماء بنوع من الحياة بعد الموت (حنون 1978 ص232)، كما عرف سكان بلاد الرافدين مخازن مقدسة كانت تخزن فيها الحبوب، وعدت هذه المخازن مقدسة لان الخبز الذي يصنع من هذه الحبوب اعتبر (الحياة) وكان يسجد له، وان خبز الحياة هو رمز الخلود (ميغوليفسكي ص23). وعلى هذا الاساس فان طعام الحياة (الخبز) يعيد الحياة للشخص المتوفي.

ما هو نبات الحياة:

تفيد النصوص المسمارية ان نبات الحياة هو نبات سحري وعجيب فيه شوك وجذره يشبه العاقول ويوجد في الاعماق المائية ويسمى نبات الشباب الابدي، وان لهذه النبتة خاصية تجديد الشباب، اذ تجعل الرجل المسن يصبح شابا او تعيد الرجل الشيخ الى صباه حسب تعبير النص المسماري او يعيد الى الانسان شبابه المفقود دون ان تهبه الخلود. وقد اعتبر موسكاتي ان نبات الحياة او شجرة الحياة ممثلا في صورة نخلة عادية ترمز الى تجدد الحياة تجددا ادبيا (موسكاتي 1970 ص73) بينما يعتقد البعض انه نوع خاص من اعشاب البحر حيث كان لهذا النبات امكانية تجدد الحياة والحصول على البقاء المستمر بايقاف التغيير الجسدي الذ يقود الانسان الى الفناء (الشمس 2007 ص25). وقد كان العراقيون القدماء يحتفلون في العشرين من كل شهر بعيد سمي (نبتة الحياة) العيد الاكثر شعبية في العراق القديم الذي كرس لاله العدالة (شمش) الذي انجب ولدين هما (كيتو) و (ميشارو) اي العدالة والحق (الاعرجي، حسين 2008 ص197).

ما هو نبات النسل:

تتمثل خاصية هذا النبات بحصول الاخصاب وتكوين الحمل وربما يعرف هذا النبات بالكلمة العبرية duda im الذي يسمى (تفاح الحب) والذي ربما يقابل (اللفاح او اليبروح) وهو نبات عشبي من الفصيلة الباذنجانية، وهناك راي يقول ان قوة هذا (التفاح / اللفاح) تفيد اثارة الحب والعواطف اكثر من زيادة الخصب. وقد ورد اسم نبات اللفاح في اللغة السومرية بصيغة(نام تار نيتا NAM.TAR.NITA) ومرادفه بالاكدية pillu (CDA , p. 274) حيث عرف عنه انه نبات خاص بالذكور فقط، ونقرأ في بعض النصوص ان الالهة انانا هي (تفاح الحب ورمان الحب) التي تجلب القوة والفعالية على الجماع وان عصير هذا النبات كان يستعمل في الطقس المناسب حيث يشجع الخصوبة، والاكثر من هذا ان التفاح يرافق الحب، وفي احد الاختبارات يساعد هذا النبات المراة عند الولادة، ويلاحظ ان الاسم العربي لنبات اللفاح هو (بيض الشيطان او خصاوي الشيطان) (Stol , 2000 , p. 56-58).

ماء الحياة وطعام الحياة (الخبز) رمز الخلود اللذان يعيدان الحياة للشخص المتوفي:

يعتبر الماء رمز الحياة والبقاء المخلد، وكان الداء لمن يريد ان يعيش، فلا غرابة ان يعتبره العراقيين القدماء عاملا جوهريا لاعادة الحياة وتجديدها طالما يجدد الارض اليابسة ويعيد لها الحياة ويبعثها من جديد كل سنة، ومثلما كانت المياه قادرة على احياء الاراضي الميتة فانها كانت قادرة ايضا في تصورهم على احياء الموتى (الامين، محمود 1952 ص229).وان ماء الحياة وطعام الحياة هنا يشير الى ماء معين يذكره النص اسمه (ملامو) لانعرف على وجه الدقة ماذا يعني (وطعام الحية هو بالتأكيد الخبز)، اما نثرهما لستين مرة فيشير الى كمال العدد (60) من ناحية والى ان الموت سببه (60) مرض وان الشفاء يتم بمواجهة هذه الامراض بهذا العدد المقدس سواء بطعام او ماء الحياة او بهما معا (الماجدي، انجيل سومر ص115-116).

لقد كان لطعام الحياة وماء الحياة القدرة على فعل اعادة الحياة للشخص المتوفي كما في اسطورة نزول عشتار الى العالم السفلي، وعلى شفاء المريض المشرف على الموت كما في (لوجال بندا) ولكن ليس بمقدور هذه المادة ان تمنح الخلود للجنس البشري وهم على قيد الحياة كما حدث في قصة (آدابا)، ويمكن ان نعلل هذه الفلسفة الرافدينية التي عرضها مفكروا حضارة بلاد الرافدين لكي يفهموا الناس انه لاخلود للانسان وهو على قيد الحياة وانما الخلود ياتي بعد الموت، وكما ان الحبيبات الصغيرة الجافة التي يدفنها الزارع في باطن الارض تظهر في اول الربيع عشيبات خضراء تتحول في فصل الصيف الى سنابل ناضجة لتختزل سر الطبيعة كلها وسر الحركة الالهية الكامنة وراءها (السواح 2002 ص116 – 117).

لقد فشل آدابا بالحصول على الخلود لانه رفض تناول طعام الحياة وماء الحياة لكنه يمنح بالمقابل تعويضا عن ذلك حيث اصبح حكيم الرجال بل الاكثر حكمة بين الناس فكان ذلك خلوده وهي مكافأة له من الالهة على حسب قدرته، وحينما يفقد جلجامش نبات الحياة يخسر الخلود لكنه يحوز على المعرفة (هو الذي راى كل شيء) ويسلك طريقا آخرا للخلود من خلال الاعمال التي سيقوم بها لتخلده مدى الدهور، فحضي بالخلود المعنوي (خلود الذكر) بدلا من الخلود

المادي، اما ايتانا فقد حصل على النبات السحري وافلح في الحصول على وريث وبهذا فهو قد حصل على الخلود الروحي وهو مفهوم آخر للخلود عندما منح ايتانا القدرة على الانجاب من خلال نبات النسل – نبات الخصب والولادة الموجود في السماء وتحت قدرة الالهة، ويعتبر هذا نوع من خلود الاسم من خلال الذرية، وهو خلود الابناء الذي يؤكد على استمرارية الاسم من جيل الى جيل، انه خلود الذكرى عن طريق الخلفة.

الشعائر والتقدمات الجنائزية في اطعام الموتى:

اكتسبت اساليب الدفن والشعائر الجنائزية وقرابين الموتى اهمية خاصة في العقائد الدينية لحضارة بلاد الرافدين القديمة والتي كانت تقام لهدفين رئيسيين، الاول ارضاء الالهة حيث كانت تلك الشعائر تتضمن تقديم الهدايا والقرابين اليهم وكذلك استجلاب الخير والبركة لمقدم تلك القرابين، اما الهدف الثاني الذي كانت الشعائر الجنائزية تقام من اجله فهو اطعام الموتى انفسهم (حنون 1978 ص273-277). وعند ايداع الميت في القبر تذهب الروح او شبح الميت الى عالم آخر هو عالم الاموات وينتاب الروح التي تدفن عدم الاستقرار فتجوب الشوارع وتاكل الطين والنفايات وتشرب الماء الاسن وتلحق الاذى بالاحياء اذا لم يقدم للميت الطقوس الجنائزية كالطعام والشراب من قبل الاحياء فسيكون شبحه مدعاة لقلق الاحياء وعدم راحتهم ، حيث تتوقف راحة الموتى على عناية الاحياء من ذوي القربى بموتاهم من خلال ما يقدمونه من صلوات وقرابين الى آلهة العالم الاسفل عن طريق الالهة الشخصية وتوفير جزء من هذه القرابين والطعام الى الموتى انفسهم لاشعارهم بالراحة الابدية (في الاسفل ياكلون الخبز ويروون ضمأهم بالماء النقي)(Miranda,1973,p.116-117).

تتضمن الشعائر الجنائزية السومرية ثلاث وسائل لتهدئة روح الميت عن طريق (الطعام، الماء والاسم) وكان تقديم الطعام على روح الميت يسمى (كسبا) حيث تذبح الخراف ويقدم الزيت والعطور والبخور والنبيذ الابيض والفاكهة، كما ان من طقوس الحداد التي كانت تقام في اوقات محددة ومختلفة لفترة طويلة بعد موت الشخص هو تزويد الميت بالطعام والشراب عند وقت الدفن واستمرار ذلك بعد الدفن ايضا، ويتميز هذا النوع من الطقوس الجنائزية بان الغالب فيه اقامته

لمجموعة من ارواح الموتى في العائلة الواحدة، وقد وردت الاشارة لهذه الطقوس في احد نصوص الملك الاشوري آشوربانيبال حيث يذكر فيه:

لقد قمت باعادة الشعائر التي تشمل الطعام والشراب

المقدم لارواح الملوك والاسلاف والتي تشمل الطعام والشراب

وانجزت كل ما هو حسن للاله والانسان الميت والحي(حنون 1978 ص286)

وقد ورد في النصوص المسمارية عن ذكر وضع الخبز في القبر مع الميت وذلك لاعتقاد العراقيين القدماء بنوع من الحياة بعد الموت، اذ جاء في النص الخاص باصلاحات اوروانمكين (اوروكاجينا):

عندما يوضع الميت في القبر كانت حصته (بعد العودة)

سبع جرار من (الجعة)، وخبزه اربعمائة وعشرين (رغيفا)

وقد قام المصلح اوروانمكينا بتخفيض هذه الرسوم حيث جعل كمية الجعة ثلاث جرارا فقط والخبز ثمانون رغيفا (حنون 1978 ص232).

دلالات الخمر ورموزه

اكتشفت المشروبات الروحية عرضا خلال مرحلة الصيد وجمع القوت في عصور ما قبل التاريخ، واثبتت النصوص المسمارية وجود انواع عديدة من البيرة والخمور في بلاد الرافدين (Black and Green,1998,p. 28)، فقد عرف السومريون صناعة المشروبات الروحية منذ الالف الثالث ق.م وربما قبل ذلك حيث وردت اول علامة مشيرة الى المشروبات في الكتابة السومرية في مرحلتها الصورية على شكل جرة في داخلها حبات من الشعير (لابات 2004، العلامة رقم 597 ص244)،وجاء اسم النبيذ بالسومرية (كشتنGESTIN) ويقابله بالاكدية (كرانا karanu) (CDA,p.148) واطلق على الجعة بالسومرية NAG يقابلها بالاكدية saqu وتعني هذه الكلمة السومرية كذلك الفعل يسقي (لابات 2004 ص55)، وورد المصطلح السومري KAS ومرادفه الاكدي sikaru والذي يعني (مشروب كحولي) (CDA,p. 372)، كما وردت صور الولائم التي احتوت على مشاهد الشراب للسائل المسكر في الاختام السومرية والمنحوتات (الاحمد 1974 ص65).

الجعة / البيرة:

ارتبطت صناعة البيرة في حضارة بلاد الرافدين بتطور زراعة الحبوب (الحنطة والشعير والجاودار Rye) والتي حدثت قبل عشرة آلاف سنة حيث استخدم حوالي 40٪ من انتاج الحبوب في صناعة البيرة. واعتبرت البيرة واحدة من اكثر المقومات اهمية للحياة من ناحية الغذاء والترابط الاجتماعي،كما عد شرب البيرة السمة المميزة للحضارة في بلاد الرافدين، وهي المشروب الرئيس المفضل والمنعش والحاضر ابدا لدى سكان بلاد الرافدين رجالا ونساء ومن جميع الطبقات الاجتماعية والتي رافقت حياتهم من المهد الى اللحد، فهو الشراب الذي يفرح القلوب والحياة للالهة والبشر والذي حاز على شعبية واسعة في العصر السومري عندما كانت متيسرة بانواع كثيرة علاوة على قيمتها الطبية والعلاجية، ويشير الى ذلك المثل السومري (الذي لايعرف البيرة لايعرف ما هو الجيد، والبيرة تجعل البيت مسرورا، والبيرة هي المتعة)(ساكس 1999 ص49، ليفي 1980 ص99).

ولاهمية الجعة كانت توزع كاجور للعمال، فالذي يعمل في معابد سومر يحصل على لتر واحد من البيرة، اما الموظفين الصغار فكانوا يحصلون على لترين من الجعة، والموظفين الكبار ومن ضمنهم سيدات القصر كانوا يحصلون على ثلاثة التار، واعلى الوظائف يحصلون على خمسة التار يوميا من البيرة وهناك نص من عصر سرجون الاكدي يشير الى ان البيرة قدمت كجزء من مهر العروس، وسجلات اخرى تشير الى اللاجئين او العبيد او السجناء واسرى الحروب كان لهم دفعات شهرية من البيرة تصل الى (sila20) للمراة و (sila10) للطفل(sila تعادل لتر واحد)، وكان الجنود ورجال الشرطة والكتبة يتلقون دفعات من البيرة في مناسبات معينة كشكل من اشكال المكافاة (ساكس 1999 ص49، ليفي 1980 ص99)، وتشير اللوائح من عصر فجر السلالات في لكش الى توزيع البيرة في المناسبات الهامة خاصة خلال الخدمة العامة لطقوس ازمات الحياة المرتبطة بالعائلة المالكة حيث شمل توزيع المشروبات المخمرة في الاحتفالات المفرحة وفي المناسبات الحزينة (Michalowski , 1994,p. 34) وكان اعداد البيرة وصناعتها حتى عصر حمورابي مقصورا كما يبدو على النسوة اللواتي يمتلكن حانة الشرب ويشرفن على ادارتها، وتمثل هذه الصناعة حالة من الفرح (ساكس 1979 ص199). وقد نظمت شريعة حمورابي القوانين الخاصة بالبيرة، فالخمارون الذين يغالون في ثمنها على زبائنهم قد يقتلون اغراقا، ولو ان كاهنة عليا غامرت بالدخول الى حانة وبالتالي فقدت طهارتها الطقسية امام المعبد فانها قد تغرق حتى الموت (كوفمان ص112)، وقد عرفت الجعة في النصوص المسمارية بالمصطلح السومري (كاش KAS) ومرادفه الاكدي (شيكارو Sikaru) (CDA,p.372).

وقد جاء ذكر الجعة في قصة الخليقة البابلية عندما يدعو الاله (انشار) بقية الالهة للاجتماع:

ادع امامي الالهة ابائي
ليؤت ههنا بالالهة جميعهم
لكي يتفاوضوا ويحضروا في مادبة
وياكلوا الحبوب ويرتووا من جعة قوية
فيحدد المصير لمردوخ المنتقم لهم
جميع الالهة الذين يعينون المصائر

دخلوا امام انشار واحكموا فرحا

وتعانقوا ثم جلسوا الى المجلس

تفاوضوا وجلسوا الى المادبة

واكلوا الحبوب وشربوا جعة قوية

وملاؤا كووسهم من الجعة العذبة

فكان جسمهم يطفح من الجعة التي شربوها (لابات 1988 ص19)

آلهة البيرة:

نظار لاهمية الجعة في نظر الناس فقد اتخذ سكان بلاد الرافدين آلهة خاصة مسؤولة عن تحضير البيرة تعد بمثابة الحامي والمشجع لممارستها، وقد عرفت الالهة (نن كاسي Ninkasi) والتي يعني اسمها حرفيا (السيدة التي تملآ الفم) بانها الراعية لممارسة هذه المهنة وارتبط اسمها بصناعة الجعة مما اضفى عليها طابعا من القدسية (كريمر 1979 ص145)، وتتغنى ترنيمة سومرية بالمقدرة السحرية العجيبة التي تتمتع بها هذه الالهة ومنها قدرتها على تحويل (الحبوب والماء والخميرة) الى مادة جديدة هي الجعة، وهو سائل يعمل على انعاش الناس ويملآ القلوب بالفرح والسرور كما اعطت هذه الترنيمة تعليمات حول صنع البيرة (Civil , 1974, p. 67):

انت التي تناولين العجينة (عجينة الجعة) بمجرفة كبيرة

تخلطين الجعة في حفرة مع المطيبات الحلوة

انت التي تشوين العجينة في فرن كبير

ترتبين اكوام قشور الحبوب

انت التي تسكبين الماء على العجينة المغطاة بالتراب

وتنقعين الحبوب المعدة للجعة في جرة

ننكاسي انت التي تنشرين المطبوخ على بواري القصب

حملت بكلتا يديك عشبتها الحلوة (Sweet wort)

تخمرينه على العسل والنبيذ

في اناء التخمير الذي يبعث صوتا مسرا

ننكاسي انت التي تصبين الجعة النقية

انها تدفق مثل دجلة والفرات

(تم توجيه الحديث الى صاحبة الحانة)

ليت قلب الهك يكون ميال اليك

لتصبح عيون (gakkul) عيوننا (gakkul هو إناء خلط الجعة)

وليصبح قلب (gakkul) قلبنا

ما يجعل قلبك مندهشا

يدهش قلوبنا ايضا

اكبادنا سعيدة، قلوبنا هانئة

لقد سكبت الشراب على صخرة القدر

جعلت الاسس في امان وسلام

عسى ان تشاركك ننكاسي، دعيها تسكب الجعة والنبيذ لك

(هنا تجيب صاحبة الحانة)

في جردل القصب توجد الجعة الحلوة

سأجعل الشباب وشاربي الجعة وسقاتها يقفون الى جانبي

عندما اكون منشغلة بها اشعر اني اشرب الجعة بمزاج فرح

وبقلب مسرور، وكبد سعيد، وبينما يكون قلبي وكبدي قد امتلأ فرحا وسرورا

سيسعد قلب الالهة إنانا وسيكون قلب الملكة سعيد هو الاخر

ويتغنى شاربوا الجعة مع صاحبة الحانة بافتتاحها للحانة مرددين:

«اه، رعاك قلب الالهة

لتصبح عيون الكأس عيوننا

وقلب الكأس قلبنا

ما يلهم قلبك يلهم قلوبنا

قلوبنا هانئة

اكبادنا سعيدة ايضا

وقد سكبت العطاء على صخرة القدر

ها هنا تكمن حقيقة السلام

دعي ننكاسي تشاركك الحياة

دعيها تسكب الجعة والنبيذ

وتهنأ بصوت الساقي»

وهنا يأتي دور صاحبة الحانة فتتغنى وتقول:

«هنا الجعة المسكرة في جرادل القصب

سأدعو سقاة الجعة

حينما اكون منشغلة بتقديمها

اشعر بأني محبوبة، محبوبة

اني اشرب الجعة واشعر بأني محبوبة

بقلب فرح

وكبد سعيد» (الجادر1986ص77)

وجاء ذكر الالهة (سيريس siris) التي كانت راعية للبيرة، وهي ابنة الالهة (نن كاسي) واعتبرت ام الطائر الكبير (زو) (Langdon,1917,p.144).

ويرد في الاناشيد السبعة لانانا (السيدة التي تصعد الى السموات) طقوس لسكب الجعة على اختلاف انواعها للالهة عشتار مما يشير الى العلاقة بين الالهة عشتار والجعة:

يصبون جعة مظلمة لها

يصبون الجعة المعتقة لها

جعة مظلمة، جعة ايمير

جعة القمح لسيدتي

جعة في الفجر

يصبون خمرا وعسل لها في الشروق

يذهب الالهة وشعب سومر اليها مع الغذاء والشراب (ولكشتاين وكريمر ص112)

صلاة الى اله البيرة:

كان الملك البابلي يقوم بطقوس رش الماء في اعياد راس السنة الجديدة لكي يزيل عنه كل انواع التلوث، ومن ثم يقوم بتلاوة صلاة قصيرة الى اله البيرة بصفته (الذي يريح الاله والانسان)، وتدل هذه الصلاة على نوع من السحر لان الكحول يعمل على (الاسترخاء) وتاثيره يمتد الى العقل والجسم، وهدف الملك ان يزيل عنه الشرور والذنوب ولذلك استعمل الكلمة الاكدية (بسارو pasaru) التي تعطي معنى (الارتياح) و (الازالة)، وبعد الالتماس من اله البيرة يؤدي الملك عمل له علاقة بالبيرة وهو في الحقيقة اطلاق سراح كل البقايا الطبيعية من الذنوب والخطايا التي ارتبطت بجسمه، يمسك الملك حوض الخميرة والهدف ان يرسل كل الشوائب الى الحوض وخاصة تلك التي لاتستطيع ان تهرب والتي سوف تخمر بالحوض (الصالحي، صلاح 2015 ص59).

عندما تحتسي الالهة الشراب:

كانت الالهة ميالة للشرب، فنحن نملك نصا يشرح لنا بالتفصيل الخدمة اليومية الخاصة بتقديم الماكولات حسب الطقوس المتعارف عليها والتي تتضمن تقديم انواع كثيرة من البيرة وكذلك النبيذ الذي كانوا يشربونه باكواب من الذهب (Jacobsen, 1970.p. 164)، وكان البابليون يفرقون بين الشراب المسكر وغير المسكر وعادة تكون ملاحظة ان الشراب القوي الذي ادى بالرجال ان تترنح، وان شرب الخمر القوية تجعلهم يرون بصورة مزدوجة (Olmstead,1975,p.558)، وقد افادت النصوص الادبية بان الالهة كانت ترغب في احتساء الشراب وهو امر طبيعي يتماشى مع رغبة الانسان العراقي القديم في معاقرة الخمر، وكان الادمان على تناول الشراب يؤدي في بعض الاحيان الى السكر، ففي قصيدة الخلق البابلية وخلال اجتماع الالهة قبل صراع الاله مردوك مع الالهة تيامات نجد الالهة اثناء تناول وليمة تحت تاثير المسكرات غدت ثرثارة ومهتاجة، كما ورد في الاسطورة:

فاكلوا الخبز وشربوا اجود الخمور

وانسابت الجعة عذبة الى افواههم خلال انابيب الشرب

فامتلات اجسامهم وهم يحتسون مزيدا من الخمر

حتى سرت قلوبهم وانشرحت صدورهم (علي، فاضل 1997 ص122)

كذلك اشير في احد التراتيل الدينية الخاصة بتدشين المعبد الى وصف كيف ان الالهة اخذوا مرحهم بالمعبد الجديد يقفزون بهرج ومرح حول حامل اناء الشراب المسكر وبعد ذلك (رقدوا على الطريق المغلقة للمعبد) (Civil,1964,p.70).

انواع البيرة:

زودتنا النصوص المسمارية باسماء ومواصفات كثيرة للبيرة فيما يخص انواعها واصنافها واسعارها والمواد الاولية التي تدخل في صناعتها وكذلك قوة تاثيرها وحسب ما مدرج ادناه:

1- **بيرة الشعير:** وردت قائمة بتسعة عشر نوعا من البيرة السومرية، يشخص ثمانية انواع منها من الصنف الجيد الذي يستخدم في صناعته الشعير المخصص لذلك بدون اضافة اية انواع من الحبوب الاخرى.

2- **بيرة الشعير والحنطة:** شخصت ثمانية اخرى من بيرة الحنطة (ايمير Emmer) وهي المعدة من كمية من الشعير(35٪ – 50٪) مضافا اليها نسبة معينة من الحنطة.

3- **البيرة الخليطة:**وجدت ثلاثة انواع من البيرة الخليطة التي كان يضاف اليها مواد من حشائش وعطور خاصة لتمييزها.

4- **البيرة المستخرجة من الجريش:** وتسمى البيرة الحادة.

5- **بيرة السمسم:** ورد ذكرها في العشرات من الوصفات الطبية الاشورية، اذ كانت الادوية تخلط مع الجعة لتحسين مذاقها وجعلها مقبولة علاوة على تاثيرها المخدر او المهديء للمريض، كما استخدم نوع من البيرة للعلاج تدعى (الابانوم alappanum) وتعني الكلمة (رمان حلو)، ربما كانت البيرة حلوة المذاق تصنع بنكهة الرمان (CDA,p.11)، كما ورد ذكر بيرة ussa في احدى الوصفات الطبية وهي على انواع (الحلوة، والضعيفة) وكذلك بيرة butti (البدري 1976 ص165).

6- **بيرة التمر:** صنعت هذه البيرة من التمور مع استخدام مضافات اخرى عطرية، وقد حدث هذا التطور بين نهاية العصر الكشي وبداية العصر البابلي الحديث (الجادر 1986 ص77 والجادر 1991 ص218 والاسود 2013 ص193-196).

7- **البيرة الجيدة:** كان يعتنى بصناعة هذا النوع من البيرة والتي كانت مخصصة لرجال الدين في المعابد وكانت تقدم كذلك الى زوار المعابد من الشخصيات الرسمية والخاصة وكذلك في الجلسات الدينية التي كانت تقدم خلالها البيرة والنبيذ والحليب وعصير الفاكهة.

8- **البيرة التي تقدم يوميا:** يذكر نص خاص بمعبد الاله آنو في مدينة الوركاء عن انواع من الجعة كانت تقدم يوميا (في وجبة الصباح والغذاء والوجبة المسائية) وطوال ايام السنة على مائدة الاله آنو، وهي الجعة المسماة (لابكوLabku) (CDA,p.174) وجعة نوع (ناشوnasu) ولعل الاسم مرتبط باسم بائع البيرة (CDA,p.2476) والجعة (زار بابا zarbabu)وهي كلمة تدل على نوع من البيرة وكذلك تشير الى اناء البيرة (CDA, p.445) (بوتيرو 1970 ص145).

9- **الجعة القوية:** وصفت هذه الجعة القوية في قصة الخليقة البابلية (اينما ايليش) اي حينما في العلى، اذ جاء في النص:

جميع الالهة العظام الذين يعينون المصائر

دخلوا امام انشار، وافعموا فرحا

وتعانقوا ثم جلسوا الى المجلس

تفاوضوا وجلسوا الى المادبة

واكلوا الحبوب وشربوا جعة قوية

وملآوا كؤوسهم من الجعة العذبة

فكان جسمهم يطفح من الجعة التي شربوها (لابات 1988 ص19)

10- **البيرة المثيرة:** وعرفت بمصطلح (ام الدوخة dalkhu)(CDA,p.54) او ذات التاثير القوي.

11- **الجعة السوداء:** يوصف هذا النوع من الجعة بانها (قوية التاثير) كما تعرف باسم (المشروب الشعبي)، ويحتاج عملها الى ما يساوي (18 لتر) من القمح

المنقى من القش، و (18 لتر) من القمح الابيض، و (24 لتر) من الشعير المخصص لهذه الصناعة، و (36 لتر) من نوعية اخرى من الشعير (الجادر 1991 ص208).

12- **بيرة ذات الوان مختلفة:** ان استخدام انواع من الشعير (الابيض والاحمر والاسمر) وكذلك حنطة (ايمير) ومزجها مع الاغلفة او بدونها تسمح لصناعة بيرة بالوان مختلفة ونكهات مختلفة، فكان هناك الجعة البنية، والجعة ذات اللون الفاتح، والجعة الحمراء والجعة البيضاء (الاسود 2013 ص193).

13- **البيرة الغامقة والغامقة جدا:** وكانت هذه البيرة ثقيلة جدا وثخينة وفي الغالب تشبه العصير المركز وهي مغذية جدا الا انها لاتقاوم الخزن الطويل (البدري 1976 ص167).

14- **الجعة من الدرجة الاولى او الجيدة (الصنف الحسن / المحسنة).**

15- **البيرة الرخيصة .**

16- **الجعة المصفاة (النقية)**

17- **الجعة الخفيفة hiqu** (CDA,p.117)، **والخفيفة جدا، والمقطوعة على** 55٪ **و** 25٪ **و** 23٪.

18- **الجعة ذات المذاق الحسن**

19- **البيرة الحامضة الحلوة** (البدري 1976 ص167)

20- **الجعة التي تبعث في النفس نشوة**

21- **البيرة المضغوطة** (الاسود 2013 ص196)

طقوس شرب البيرة:

تعتبر بلاد الرافدين ان استهلاك الخبز والبيرة هي واحدة من الاشياء التي تميزهم عن المتوحشين وتجعلهم اناس متكاملين يعيشون الحياة المستقرة في المجتمع الانساني،وكان شرب البيرة يتم وفق طقوس معينة من خلال القصبة او انبوب، وان اول مشهد على شرب البيرة من القصبة جاءنا من ختم من (تبة كورا) يعود الى الالف الرابع ق.م، حيث نشاهد رجال ونساء يستخدمون القصب لشرب البيرة من جرة كبيرة توضع على الارض (بصورة مشتركة)، وهذا ما يوضحه ختم اسطواني في وليمة شراب يجلس بها ملك وملكة واله والاهة بينهما جرة كبيرة

يمصان منها الشراب بانبوبين وحولها الخدم (بصمة جي 1972 ص156). وان تفسير ذلك يعود الى:

- كان استخدام القصبة ضروريا لاختراق طبقة قشرة البيرة التي تبقى في البيرة غير المصفاة او لمنع القشور (اغلفة البذور) الناتجة عن تنقيع الشعير بالماء من الوصول الى فم الشارب.

- شربت البيرة في الازمنة السومرية القديمة من خلال قمع ورقي طويل straw وان مثل هذا القمع مصنوع من الذهب قد وجد في قبر في اور.

- ربما كانت طريقة في المؤانسة الاجتماعية تسمح لكثير من الناس ان يشتركوا في الشرب في وقت واحد وان مشاركة الشرب مع الاخرين هو رمز عالمي للضيافة والصداقة (كوفمان ص112).

- انها اشارة الى ان الشخص الذي يوفر الشرب يمكن ان يكون ذو ثقة بالاشارة الى ان المشروب ليس مسموما .

- تشير بعض الامثلة من الادب السومري الى ان المدمنين على شرب الجعة ينصحون بشرب المياه الى جانبها للتخفيف من قوة تاثيرها وكما جاء في النص(الذي يشرب الجعة كثيرا يجب ان يشرب الماء) (امين، احمد 2004 ص212).

ويتبين من النصوص المسمارية ان حجم استهلاك المشروبات الكحولية في حياة سكان بلاد الرافدين كان كبيرا، وقد لوحظ في حفلات الشراب واشارت اليه النصوص مصطلح (صب الجعة) حيث جاء بالسومرية بصيغة (KAS.DE.A) وبالاكدية (qertu) (Oppenhiem , 1950 , p. 10-12).

الخمر / النبيذ:

كانت صناعة النبيذ GESTIN / karanu معروفة في حضارة بلاد الرافدين في حدود الالف الثالث ق.م، وتذكر النصوص ان مجالس الشراب كانت واسطة لتعميق الالفة والعلاقات الطيبة بين الافراد (الاسود 2013 ص198).

وكان الحكام في بعض المناطق الشمالية والشمالية الشرقية التي ياتي منها النبيذ يفتخرون بخمورهم المعتقة، اذ كان النبيذ يوضع في جرار مع تعريضه للهواء كي يتخمر جيدا ثم تغلق الجرار وتحفظ في اماكن معينة (المتولي، نوالة 1996 ص343)،

وكثيرا ماكان الملوك يتبادلون هدايا النبيذ، ونجد ملك كركميش يفتخر بخمره اذ يكتب (ان لم يتوفر خمر جيد لك لتشربه، ابعث لي رسالة عندئذ سارسل لك خمرا جيدا) (ساكس 2000 ص68)، وكان الملك آشور ناصر بال الثاني يشعر بالسرور عندما كان ينظر الى الخمر عندما يكون احمر، وهي الطريقة التي ساعدت الملك سنحاريب ليجد فيها قلبه يغمر بالخمر (Olmstead,1975,p.558)، وكان للملك الاشوري سرجون اكبر قبو للنبيذ في قصوره، وكان هذا الملك يفضل النبيذ من (منطقة بحيرة وان) حيث كشفت التنقيبات الاثرية عن غرف كبيرة جدا لخزن الخمور تتسع الى مائة وخمسون الف لتر من النبيذ (الاسود 2013 ص 210).

انواع النبيذ:

صنع النبيذ قديما من الفواكه المختلفة (التين، والعنب،والرمان، والزبيب، والقثاء الهندي cassia والسمسم والتمركما صنع النبيذ من لب النخلة)،وكان صناع النبيذ يستعملون بعض المواد المكملة مثل زيت الزيتون والعسل التي تجعل النبيذ اكثر فاعلية واطيب نكهة(دالي 2008 ص142 واوبنهايم 1981 ص415)، اما انواع النبيذ المعروفة في ذلك العصر فهي النبيذ الاحمر والنبيذ الابيض، كما ان قائمة النبيذ التي جاءتنا من مكتبة آشور بانيبال كان مسجل بها احسن عشرة انواع من النبيذ وهو النبيذ النقي من (ايزالا Izalla) والنبيذ من هلبون Helbon الذي ذكر في حزقيال (27: 18) والذي كان ينمو قرب دمشق في قرية لايزال اسمها Helbon ، ثم نبيذ الحديقة الملكية (الراوي، فاروق 1985 ص348، والجادر 1986 80، والاسود 2013 ص201):

1- **النبيذ الجيد** karanu eshshu: ومن هذه الانواع التي اشارت اليها النصوص الملكية، حيث تذكر الرسالة التي ارسلها (زمريلم) الى حمورابي، انه ارسل عشرة جرار من النبيذ من الصنف (الذي اشربه انا نفسي) (Dally , 1982 , p. 90).

2- **النبيذ المعتق** karanu labiru

3- **النبيذ الناضج**

4- **النبيذ القوي**: ان الشراب القوي الذي صنع من التمور كان اكثر شيوعا في بلاد الرافدين حيث نافس الجعة، وقد وصف نبيذ التمور بانه شراب شائع يسبب الصداع (كريمر 1971 ص101).

5- **النبيذ الناعم المذاق**

6- **النبيذ ذو المذاق الطيب**

7- **النبيذ الشفاف** (ربما يقصد به النوع الابيض)

8- **النبيذ الملكي** (المستخرج من الكروم التي توصف بانها شبيهة بعين البقر

9- **النبيذ الشعبي** Harrupu

10- **النبيذ المعطر**

11- **النبيذ المطيب بالعسل**

12- **النبيذ الحلو**: المحضر من العنب والعسل والفلفل (دوشبو Dushupu) والذي ذكرته النصوص كوصفة طبية لعلاج امراض الصدر والرئة.

13- **النبيذ المر** Karanu – marru

14- **نبيذ النخيل**: يتم الحصول عليه من شجرة النخيل نفسها اي من عصير شجرة النخيل بواسطة شق اعلى جذع النخلة وجمع العصير المتساقط منها، ويكون في المرحلة الاولى غير ضار وغير مسكر ولكنه بعد التخمير بيومين او ثلاثة يصبح مسكرا جدا (كونتينو 1979 ص131).

15- **النبيذ المسكر**: ورد في التعابير الاكدية مصطلح (شيكار شادي shikar shadi) وتعني الشراب المسكر.

16- **نبيذ العنب**: استخدم العنب (suluppi) (CDA,p.372) في المناطق الجبلية لصناعة النبيذ بكثرة، العنب الطري، والعنب المجفف (الزبيب)، وكذلك (العنب اليابس) حيث يترك العنب على اغصان الكرمة الى ان يجف ثم ينقع بالماء ويترك على النار لمدة معينة حتى يغلي (الاسود 2013 ص199–208) .

17- **خمر التوابل**: جاء ذكره في جداول القرابين من العصور المبكرة في بلاد الرافدين (GESTIN. ZIZ. AS) الى جانب الزيت والتمور، ويحتمل ان المقصود به (خمر – جبن الاعشاب)، وقد وردت الاشارة الى خمر جبن الاعشاب في نصوص عبادة الاجداد باعتبارها مكملة للزيت والتمور ولاسيما في النصوص العائدة الى حكم الملك اوروانمكينا، فقد تم تقديم هذا النوع من الخمور في طقوس العبادة ويمكن ربطه مع الاصلاح الديني الذي نفذه الملك في سنتي حكمه الاوليين (امين، عمر 2005 ص98–99).

ان اول شواهدنا على تطور ثقافة الخمر ظهرت في القرن 18 ق.م في شمال غرب بلاد الرافدين حيث سجلت ماري بعض المعلومات في ثقافة شرب الخمر، وفي نفس الوقت فان ثقافة الخمر قد بدأت في الاناضول في جبال طوروس. وفي الالف الاول ق.م وجدنا تطور جيد لثقافة الخمر ضمن الامبراطورية الاشورية في كل المنطقة المحصورة بين تركيا وسوريا والى جنوب العراق، وتذكر المصادر الاشورية الخمر بالعلاقة مع اورارتو لاول مرة، ويجعل ذلك واضحا ان ارمينيا اصبحت على الاقل قطر منتج للخمر حيث اعطوه اسما مشهورا في الاثار المتاخرة، ويظهر الخمر ايضا في اقطار الجبال الممثلة بالاراضي الحدودية العراقية الايرانية وبعض المناطق مثل ارض (زاموا Zamua) قرب السليمانية والتي اصبحت مشهورة بالخمر، وفي منطقة الامبراطورية الكلدية وحتى في بابل اصبح الخمر ياخذ دورا منظما في الكتابات الملكية وبالتقدمات الالهية (Powell, p. 122).

علاقة المشروبات (الخمر والجعة) بالالهة:

كان يتخلل الاحتفالات الدينية عادة عملية شرب الخمر اكراما للالهة، كما كانت عادة تقريب القرابين من النبيذ الى الالهة شائعة ومالوفة وتمارس يوميا وكذلك استخدامه في الاحتفالات الخاصة، وقد قيل ان الخمر المصنع من العنب قد حفظ كليا للالهة (الجادر 1986 ص117)، اذ كانت الالهة ميالة للشرب ايضا، فنحن نملك نصا يشرح بالتفصيل الخدمة اليومية الخاصة بتقديم الماكولات وانواع كثيرة من البيرة وكذلك النبيذ الذي كانوا يشربونه باكواب من الذهب (Jacobsen,1970,p.164)،وقد قدم آشوربانيبال الطعام الى معبد الاله نابو في اربيل وكذلك خمر السمسم للشرب وللثناء الى الهه (Olmstead,1975,p.249 and p.439). وقد كان النبيذ يقدم الى الالهة عن طريق سكبه على الارض كنوع من التكريم لهذه الالهة استنادا الى النص الخاص بنزول الالهة عشتار الى العالم الاسفل حيث تصف هذا العالم فتقول:

هم مخلوقات لاتعرف الطعام ولا تعرف الماء ولا تاكل الدقيق

ولا تحتسي الخمرة التي تسكب على الارض تكريما للالهة (كريمر 171ص145)

كما ان عملية صب الخمور على الارض يمكن ان تلتذ السماء به ويمكن ان ينهي حالة الجفاف وهو ترميز لسقوط المطر من السماء الى الارض (الماجدي

2001 ص 259)، وقد جاء في احد الامثال السومرية (ان سكب البيرة في بئر غير نظيف هو من المحرمات ضد الاله اوتو / شمش)(Hallow,2010,p.594).

وقد جسد البابليون الهة خاصة للخمر وعدت الالهة عشتار الهة الخمر كما يستنتج ذلك من الترتيلة:

امام عشتار ضعي البخور في الاناء

مع عصير السرو

اسكبي جعة صاحبة الحانة على مهل ولا تسكبيها كلها

استلقي ارضا واسكبيها (الجادر 1986 ص75)

قرابين الجعة والخمور:

اصبح الخمر شائعا من خلال قرابين الخمر المقدمة الى الالهة، كما كانت القرابين تقدم الى الملك او الامير (باتيسي)ولعوائلهم لانهم كانوا يمثلون العائلة الالهية في نظر رعاياهم، وان هذه القرابين لم تكن دينية بالمعنى المحدد بقدر ما كانت مخصصة لوجه الاله بواسطة الوسيط (باتيسي) او زوجته خلال الطقوس الدينية والاعياد، وان تنوع القرابين مرتبط بالالهة او الاموات وكان بامكانهم الاستفادة منها خلال الحفل الذي يقام لها (حفل الاكل الرمزي) في حضارة لايوجد فيها عملة متداولة ولا يمكن ان تكون فيها الهبات والتقدمات الا على شكل مواد عينية. وان نظام القرابين هذا لم يحدد من اجل ارضاء الامراء او صيانة انفاقهم او زيادة ثرواتهم ولكن تحدده احتياجات المجتمع بفعل علاقته بالاحتفالات، فهو في كل الاحوال مظهر من مظاهر الضريبة (نكارتين، روز 1990 ص83-84).

يبدو من خلال سجلات حكام بلاد الرافدين الخاصة بشجيرات الكروم بان النبيذ المصنع من العنب كان مقصورا على الطبقة الحاكمة ومن في مركزهم كما كان يقدم كقرابين للالهة في المعابد، فقد كانت الجعة تقدم للالهة وللاموات العظام من خلال قرابين (الباتيسي) والمسماة (تك – كش – تا – كاو)، وكان كاهن الالهة نانشة يقدم البيرة القوية والبيرة السوداء كقرابين، وان عادة تقديم القرابين كانت لتهدئة النفوس الشريرة التي تتسلط على الانسان او قد تكون تعني عند البعض استرضاء لقوى شريرة يعتقدون انها تهدد حياتهم (هوجر 1988 ص115).

ان القرابين المقدمة بمناسبة عيد الالهة (با – او) من قبل كاهن الالهة (نانشة) تتضمن (خروفا، بيرة قوية، بيرة سوداء، انواع مختلفة من الخبز الذي هو من عمل مصنع البيرة، مجموعة من الخضراوات، شعير مشوي وبلح) (نكارتين ص41-42)، اما قرابين عيد (كي –سوك ki– sug) فكانت تقدم خلاله كميات كبيرة من الخبز والبيرة الى القصر الملكي وكذلك بعض الحيوانات، وان القرابين (كالبيرة والخبز) الخاصة بهذا العيد يخصص قسم منها لحفلات الشراب التي كانت تقام للفلاحين من قبل الامراء كما كانت تقام من قبل الكهنة ايضا (نكارتين ص48-49).

الاهمية الرمزية لشرب الخمور والبيرة وعلاقتها بالفعل الانساني:

تذكر النصوص ان مجالس الشراب كانت واسطة لتعميق الالفة والعلاقات الطيبة بين الافراد،وان طقوس الشرب ساعدت على ربط المجتمعات عبر المسافات الجغرافية البعيدة،واصبح الشراب شائعا للاغراض الدينية والطبية والاجتماعية والحضارية والتجارية في بداية الالف الثاني ق.م حيث اثبت ذلك من خلال القوانين العراقية القديمة فيما يتعلق بالبيع والشراء واسلوب التعامل مع بائعيها في الحانات مما يدل على وجود تجارة واسعة النطاق للخمور (كونتينو ص136). وتكمن الاهمية الرمزية للخمور بانواعها بتفاعلها مع الفعاليات الانسانية المختلفة التي ادت بالمجتمعات الى التمدن والى التطور الحضاري وفق المعطيات الاتية:

العلاقة الانسانية والروحية بين الخبز والخمر:

عد العراقيون القدماء المشروبات الروحية من المواد الاساسية المهمة في حياتهم والواجب توفرها الى جانب الخبز كما جاء في قول جلجامش وهو يندب صديقه انكيدو:

ليندبك نهر الفرات الطاهر
الذي صببنا ماءه في (شعائر) السكب من القرب
عسى فتية اوروك ذات الاسوار ان يند
ليبكيك من عظم اسمك في اريدو
عسى الغانية.. ان تندبك
وهي التي ضمختك بالزيت والعطر
ليندبك الخمار

وهو الذي وفر الجعة لفمك

وليبكيك من اطعمك الخبز (باقر 1975 ص64 و ص183 وحنون 2006 ص180)

الخمر والدم والملوكية:

لقد كان الكون في نظر سكان بلاد الرافدين القدماء كثيف ومعقد وهو يمثل شبكة من التجانس ومن التعارض في نفس الوقت، فالالهة كانت لهم (صور واشكال مزدوجة)، ففي السماء كانو ذات اشكال وصور نجمية، البطل كان (الثور البري) في السماء، وكان على الارض (اسد)، وامثلة على هذه الرؤيا وجدت في المصطلح الاكدي damu الذي يعني (دم) بالعربية وبالتحديد الخمر الاحمر damu ereni (CDA , p. 55)، وقد استعمل هذا المصطلح للدلالة على تسمية (الخمر)، كما وردت للكلمة معاني اخرى مثل (اراقة الدماء، سفك الدماء وثمن الدماء) (Glassner,1995,p. 1818). وقد ذكرت المصادر الكتابية البيرة وبصورة خاصة الخمور بسبب رموزه العالية وقيمته الطقوسية في الشرق الادنى، اذ يكون الشراب دائما في القائمة الملكية في بلاد الرافدين (scalene,2005,p.202).

وكان الملك آشور ناصر بال الثاني يسر كثيرا عندما كان ينظر على الخمر عندما يكون احمر وكان يمتلك حديقة كروم قرب قصره في كلخو، كما ان الملك سنحاريب وجد الطريقة التي تساعده ليجد فيها قلبه يغمر بالخمر وقد حاول اقلمة انواع غريبة من الكروم وتفاخر بزراعتها في نينوى، وقد سجلت قائمة النبيذ في مكتبة آشوربانيبال في نينوى احسن عشرة انواع من النبيذ ومنها النبيذ النقي من Izalla والنبيذ من Helbon قرب دمشق ثم النبيذ من الحديقة الملكية (Olmstead,1975,p. 558 , Forber,1965,p.72).

الشراب علامة من علامات التمدن:

كان للخبز والجعة والخمر مكانة متساوية في المجتمع السومري، اذ نجد في ملحمة جلجامش ان الرجل المتوحش انكيدو يتم تقديمه الى الحضارة والتمدن من لدن عاهرة، وان احد الافكار التي تعلمها هي تناول الطعام والشراب لانه لم يكن يعرف ذلك مطلقا (كل خبزا يا انكيدو فانه علامة حياة متحضرة، واشرب جعة فهذا ما يجب فعله في الحياة المتحضرة)، اذ جاء في النص :

فلما وضعوا الاكل امامه

ووضعوا الجعة امامه

شرب واخذ ينظر

ويحدق متوجسا

فانكيدو لايعرف ان الطعام للاكل

وعلى شرب الجعة ما كان متعلما

فتحت الغاوية فاها لتذكر لانكيدو

كل الاكل يا انكيدو، فهو سمة الحياة

واشرب الجعة فهي شيمة البلدان

اكل انكيدو حتى الشبع

شرب من الجعة سبعة اقداح

انشرح صدره، فاخذ يغني

ابتهج قلبه ونور وجهه

مسح نفسه بالزيت، وتحول سيدا

لبس ثوبا، فاذا به يصبح كالعريس (حنون 2006 ص93 -94)

ان ذكر الشراب مع الخبز وصف انه علامة من علامات التحضر وفارقا بين حياة البداوة والمدنية، فقد كانت البيرة والخبز من بين كل المواد الغذائية تعد اساسية بدرجة كبيرة في تفكير سكان بلاد الرافدين القدماء وبخاصة البيرة حيث كانت الشراب المنعش الحاضر ابدا في بيوت بلاد الرافدين القديمة، كما كانت عملية انتاج الخبز والبيرة متشابهة حتى المراحل الاخيرة، فقد كان الخبز يخبز مباشرة في حين البيرة تاخذ وقتا اطول للانتاج بسبب ان عملية التخمر تحتاج الى عدة مراحل وهذه تستغرق بعض الوقت. ان تقنية التخمر لها علاقة قريبة جدا مع الخبز، ويستخدم التخمر عندما تضاف الخميرة الى العجين لصنع او خبز الخبز باشكاله المختلفة حيث ان الغازات المتحررة نتيجة لعملية الخبز النهائي، وان استخدام هذه المباديء يبين بوضوح في التاريخ القديم للخبز حيث كانت العصائد

شائعة جدا في بداية العصور التاريخية والتي تدريجيا تحولت الى بسكويت اعتيادي (flat) او الهش وكذلك الخبز الحقيقي او الرغيف Flans.

الشراب علامة الفرح:

كانت صناعة البيرة تمثل حالة من الفرح (ساكس 1979 ص199) كما وصفت والخمر بانه السائل الذي يجعل الكبد سعيدا واكثر راحة ويملآ القلب بالبهجة والسرور (Oats,1974,p.194) وان الطعام والشراب هو متعة للبشرية كما جاء على لسان صاحبة الحانة (سيدوري) وهي توجه حديثها الى جلجامش في رحلته المشهورة للبحث عن الخلود اذ تحثه ان يتخلى عن مطلبه ويتمتع بمباهج الحياة:

الى اين تسعى يا جلجامش
ان الحياة التي تبغي لن تجد
حينما خلقت الالهة العظام البشر
قدرت الموت على البشرية
واستاثرت هي بالحياة
اما انت ياجلجامش
فليكن كرشك مليئا على الدوام
وكن فرحا مبتهجا نهار مساء
واقم الافراح في كل يوم من ايامك
وارقص والعب مساء نهار
واجعل ثيابك نظيفة زاهية
واغسل راسك واستحم في الماء
ودلل الصغير الذي يمسك بيدك
وافرح الزوجة بين احضانك
وهذا هو نصيب البشرية (باقر 1980 ص135-138)

وفي قصة الخليقة البابلية (اينوما – ايليش) يجتمع مجلس الالهة السبعة المقرون لمصير العالم ليناقشوا ما اقترحه عليهم مردوخ بان يمنحوه سلطات مطلقة

على كل الالهة، فالتأم مجلس الالهة في قاعة الاجتماعات، قبلوا بعضهم بعضا حين تلاقوا، حيث جاء بالنص:

فجلسوا حول مائدة فاخرة

فاكلوا الخبز وشربوا اجود الخمور

وانسابت الجعة عذبة الى افواههم خلال انابيب الشرب

فامتلآت اجسامهم وهم يحتسون مزيدا من الخمر

حتى سرت قلوبهم وانشرحت صدورهم

وعندئذ قرروا المصير لبطلهم مردوخ (علي، فاضل 1997 ص121-122)

وجاء في قصة الطوفان البابلية كما يرويها اوتونبشتم الخالد في اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش، انه عندما قررت الالهة احداث الطوفان امروا اوتونبشتم بان يبني فلكا (سفينة) ويحمل فيها بذرة كل ذي حياة، ويحدثنا اتوتونبشتم عن ذلك:

(ثم) نحرت البقر وطبختها للناس

ونحرت الاغنام كل يوم

وقدمت عصير الكرم والخمر الاحمر والابيض والسمن

الى الصناع ليشربوها بكثرة كماء النهر

ليقيموا الاعياد كما في ايام عيد راس السنة (باقر 1980 ص154)

وقد جاء في الامثال السومرية ما نصه (من لايعرف الشراب، لايعرف ما هو جيد،الشراب يملآ البيت بهجة) وكذلك (بعد لذة الشراب، استرخاء ما بعد السفر) حيث يعتمد هذا المثل على تقارب كلمتي شراب (كاشkash) وسفر (كاشكال kashkal) (الشواف 1999 ص346-347).

اغنية سومرية وحيدة لشرب الخمر والبيرة:

وردت هذه الاغنية الخاصة بالشرب والتي تعتبر وحيدة من نوعها في النصوص السومرية، وتتكون من (31 بيتا من الشعر) تصف عمليات صنع البيرة والخمور ووضعها في الاوعية الخاصة بها ثم تصف المزاج الرائق لشاربيها :

gakkul (راقود/اناء خلط الجعة يستخدم للتكرير او التخمير) وراقود lamsare

gakkul الذي يضعنا في مزاج سعيد

lamsare الذي يجعل القلب مبتهجا

جرة ugurbal مجد وبهاء للبيت

جرة caggub ملئت بالبيرة

جرة amam التي تحمل البيرة من راقود lamsare

احواض (اجران) مصنوعة من عشب خشن، ودلاء(جمع دلو) للعجين

جميع الانية الجميلة جاهزة على مواقد القدور

لعل قلب الهك يكون جيدا نحوك

دع عين gukkal تكون اعيننا

ودع قلب gukkal يكون قلبنا

ما الذي يجعل قلبك يشعر انه رائع في داخله

ايضا يجعل قلوبنا تشعر بالدهشة في داخلها

نحن في مزاج سعيد، قلوبنا فرحة

يتم التخلص منها بشكل جيد

انت سكبت قربانا على الاجرة المقدرة

ووضعت الاسس بسلام وازدهار

الان لعل Ninkasi تسكن معك

سوف تسكب البيرة والخمر لك

دع سكب السائل الحلو يرجع صافيا لك

في الاجران التي صنعت بالعشب الخشن، هناك بيرة حلوة

سوف يكون عندي حاملي الكؤوس، الاولاد والمخمرون مستعدين للعمل

وكما ادور بسرعة حول بحيرة البيرة، في حين ينتابني الشعور بالدهشة

الشعور بالدهشة، عندما تشرب البيرة في مزاج سعيد

عندما تشرب الكحول وتشعر بالانتعاش

مع الفرح في قلبك، وكبد راضي، قلبي هو قلب مملوء بالفرح

البست كبدي بعباءة ملائمة للملكة

قلب انانا سعيد مرة ثانية، قلب انانا سعيد مرة ثانية (Civil , p. 67)

شرب البيرة في المناسبات الحزينة:

رافق شرب البيرة جميع المناسبات الاجتماعية وخاصة الجنازات، ففي جنازة الملكة Baranamtara زوجة الملك لوكال بندا وزعت البيرة بهذه المناسبة الحزينة، وان شواهد القبور السومرية تصور الخدم وهم يقدمون البيرة الى الالهة لكي تتعامل برفق واحسان مع المغادر الى العالم الاسفل (Mishlowski , 1994 , p. 34).

كما كان الكهنة والكاهنات يساعدون الارواح في عملية الانتقال، فحين كان يؤتى بالميت الى المقبرة للدفن يتجمع عدد من الموظفين والطفيليين الذين كان ديدنهم الاستحواذ من اهل الميت على مقادير من الشعير والخبز والجعة لخدماتهم وفقا للطقوس المعمول، حيث كان يستوفى من ذوي المتوفى مبالغ معينة من المال وكميات كبيرة من الحنطة والشعير والبيرة وغيرها، وطبقا للكتابات التي وجدت في اصلاحات الملك (اورو انمكينا 2900 ق.م)كانت الجنازة تكلف سبعة جرار من البيرة و (420 رغيف) من الخبز وهو السعر الذي عمل هذا المصلح على تخفيظه الى ثلاثة جرار وثماون رغيفا من الخبز فقط (كريمر 1957 ص110-111).

وقد عثر على لوح حجري في قبور الملكات الاشوريات في نمرود مكتوب بالخط المسماري الاشوري يتضمن لعنات الملكة المدعوة (يابا) او (يابايا) زوجة الملك تجلات بليزر الثالث 744-727 ق.م على كل من يعكر هدوء قبرها، ويتضمن النص الكتابي المستنسخ للوجهين الامامي والخلفي للوح: (بحياة شماش، ايرش كيكال والانوناكي، الالهة الكبار للعالم السفلي، فان قدر الحياة عاجل يابا الملكة بالموت وسارت على طريق ابائها، كل من قام مستقبلا سواء اكان ملكة تجلس على العرش او كن محضيات لملك بايقاضي من قبري او من يدفن معي احد او يمد يده بسوء نية الى مجوهراتي ومن يكسر اختام قبري فاتحا اياه، فلتبقى روحه شاردة في الفضاءات الخارجية عطشى تحت اشعة الشمس (في ضوء الشمس) وليحرم من قرابين الماء والبيرة المختارة والنبيذ وطحين الابنتو الذي يقدم (عادة) سوية الى الانوناكي كقرابين التكاللو في العالم السفلي. ولتقم ننكشزيدا وبيتوتو – دوغول

آلهة العالم السفلي الكبار باطلاق ارواح الزقيقو (الزعيق) ومن دون توقف على جثمانه الى الابد) (الدامرجي 1999 ص31).

الخمر والضيافة:

زودتنا الاداب العراقية القديم بنصائح اخلاقية هي عبارة عن وصايا يوجهها اب الى ابنه فيما يتعلق بتقديم الطعام والشراب الذي يطلبه منه الاخرون، وهي تلقي الضوء على المنظومات الاخلاقية الانسانية التي ترتبط بواجب الضيافة، حيث جاء في النص الذي يعود الى النصف الاول من الالف الاول ق.م ما نصه:

اعط الطعام لسائله وخمر البلح لطالبه

ولا ترد طلبا لصدقة او ثوب

لهذا فان اله كل واحد يبتهج به

وهذا يسر شمش الذي سكافئه خيرا (لابات 1988 ص418 والسواح 2006 ص371)

ويرد في نصائح اخلاقية قدمها حكماء بلاد الرافدين الى مجتمعهم هي خلاصة نظرتهم الى الحياة، اذ يدعو النص الانسان بان يقدم يد المساعدة للجائع والعطشان من خلال:

اعط الطعام لياكل

واعط الشراب ليشرب

قدم ما طلب منك

في هذا فان اله الرجل سوف يسر به

انه مبارك لشمش الذي سوف يجازي بالخير

فان اعمال الخير تجعل ايامك سعيدة (Jastrow , p. 248-249)

وقد جاء في تعاليم احيقار ما نصه: شيئان هما فضيلة وفي ثلاثة يسر الاله شمش:

الذي يشرب الخمر ويعطي للاخرين ليشربوا

من يختزن الحكمة

من يسمع كلمة فلا يبوح بها (بولس بهنام 1976 ص56)

الهداية الملكية من الخمور:

يبدو ان الخمر كان جزء منظم من الغذاء في هذا الجزء من العالم، ونحن لاحظنا ان الخمر لعب دورا في الهدايا الملكية (تبادل الهدايا بين الملوك) ويبدو انه كان عنصر او جزء اساسي معياري في الدبلوماسية عندما يستقبل الملك الزوار الاجانب او السفراء، ونفس العادة استخدمت في كرانا (Algeze,2004,p.112)، وكان الساقي (حامل كؤوس الخمر) آنذاك رجلا مهما يرسل خادمه الخاص ليتعامل بشان الحصول على خمر وكان هو المسؤول عن كؤوس الفضة التي يشرب منها الخمر وربما الجعة ايضا، ولعله كان يوزع اواني الشراب هدايا لمشاهير الزائرين. ولاريب ان الخمور المعتقة الرائعة كانت موضع هدايا ملكية، فقد ارسل زمري ليم الى حمورابي (10 جرار من الخمر من النوع الذي اشربه انا بنفسي) حسب ما جاء بالنص، وتوصف نوعيات الخمور المختلفة ب (الاحمر) و (النوعية الجيدة) و(الدرجة الثانية) و (العتيق)، وكان الخمر يخزن في المعابد ولعل هذه المخازن كانت مخصصة للقرابين الدينية (دالي ص142-143).

طقس التكريم من خلال سكب البيرة والخمر:

اصبح السكب لايقتصر على الماء فقط وانما اصبحت انواع اخرى من السوائل تستخدم مثل النبيذ والبيرة والبخور السائل او الزيت ودم الحيوان المضحى به في احيان اخرى (الراوي، شيبان ص62) كما استخدم الخل في عملية السكب في بعض الطقوس الخاصة بطرد الكوابيس (Black and Green , p. 117) اذ يرد في نص من العصر السومري (صل وتضرع وضع بخورا وعطرا امامه، قدم القرابين ومرارا اسكب جعة حلوة كالعسل وخمرة صافية)(عبد القادر، خليل ص92) ، وكان يتخلل الاحتفالات الدينية عادة عملية شرب الخمر اكراما للالهة، وكان النبيذ يقدم للالهة عن طريق سكبه على الارض كنوع من التكريم لهذه الالهة استنادا الى النص الخاص بنزول الالهة عشتار الى العالم الاسفل حيث تصف هذا العالم فتقول :

هم مخلوقات لاتعرف الطعام ولا تعرف الماء ولاتاكل الدقيق ولا تحتسي الخمرة التي تسكب على الارض تكريما للالهة (كريمر 1971 ص145)

سكب الخمر عند وضع حجر الأساس وتشييد المعابد:

يفهم من النصوص المسمارية ان عملية بناء المعبد كانت عملية دينية الهية اذ ان الاله يامر الملك ببناء المعبد ويعطي له المخطط في الحلم ويتم اختيار الشهر واليوم المناسب للمباشرة بالعمل، وتسبق بناء المعبد طقوس تخص تطهير الارض بالنار وسكب الماء المقدس ومسح قطع الآجر بالزيت المقدس ووضع احجار ثمينة ومعادن في اساست البناء ثم يقوم الملك بوضع تمثال الاساس واللوح التابع له ويقوم كذلك بنقل مواد البناء في سلة على راسه ويشاركه في حمل المواد ونقلها افراد اسرته ويهب المواطنون وسكان المدن المجاورة للمشاركة ببناء المعبد وترافق هذه العملية تقديم القرابين واداء الصلاة وترديد التراتيل والدعاء بمشاركة الالات الموسيقية (Van Buren,1952,p.293-297)، وقد جاء عن الملك السومري كوديا انه قبل قيامه بتشييد المعبد قام باجراء بعض الممارسات الطقوسية الخاصة ومنه نحر الذبائح واراقة الخمر المقدس ويقوم بتكريس مختلف اجزائه وينطق بالبركات السبع المتعلقة بتدشينه،كما ذكر خمر السمسم ضمن الاضاحي التي سكبت على الاسس عند تشييد المعابد وكذلك استخدم للسكب عند وضع حجر الاساس لبناية جديدة مهمة (رشيد، فوزي 1994 ص46-48).

وتشمل طقوس المراثي الخاصة باسسس المعبد التي كان يقوم بها الكاهن النداب (كالو kalu)في ترتيل مرثيات في شهر معين ويوم مناسب، عندما تضع اسس المعبد في شهر مبشر بالخير ويوم مفضل سوف تفتح او ترفع الاساس القديم للمعبد، وعندما تضع اساس المعبد (الجديد) خلال الليل ستقدم خمسة قرابين للالهة (سين ومردوك وننماخ وكولا وننشوبر) وسوف تقدم القرابين وتنثر الحبوب في كل مكان وتضرم النار وتسكب الجعة والخمر والماء(الاسود، حكمت 2008 ص160)، حيث جاء في النص:

على المكلف باشادة هذا البيت

ارتداء كساء طاهر

وعليه ان يلبس في يده سوار من قصدير

وان يستعمل فاسا من الرصاص

ثم ينزع(آجرة الاساس السابقة)

ويتلو تفجعا على المعبد

ويطلق الحسرات

بينما توضع هذه الاجرة (في مكان)

محرم على من هو غير مؤهل بذلك

ومن محرقة البخور، على الكاهن كالو

نشر وتصعيد روائح التبخير بينما يتم على (الاجرة)

نثر عسل وسمن – دسم وحليب

وجعة من النوع الممتاز زخمر وزيت حلو (الشواف 1997ص424-425)

وكان من طقوس وضع حجر الأساس والبناء ان يقوم كاهن الكالو بجراء سكائب من الخمور بينما يسكبون على الطابوقة عسلا وزبدا وحليبا وجعة من النوع الممتاز وخمرا وزيتا ناعما (لذيذا) ثم يتلو الكاهن امام الطابوقة (حينما خلق آنو السماء) (لابات 1988 ص80-82). وعندما يقوم الملك الاشوري شلمنصر الثالث ببناء اسوار مدينة آشور وتجديدها يرافق عمله إجراءات احتفالية وطقسية منها صنع بعض القوالب وتزييت البناء باخشاب شجر الأرز ومزج حفنة من الطين المستخدم في البناء مع الزبدة والزيت وخمر التمر وخمر العنب (Luckenbill,1968,p.244).

سكب الخمر على الارض عند مراسيم الزواج:

زودتنا النصوص المسمارية الخاصة بالزواج المقدس بتفصيلات عن حفلة الزفاف التي كانت تجري من خلال نص ادبي يخص دموزي وانانا، فقد جاء في النص ان العروس كانت تجلس تنتظر عريسها ولحظة دخول العريس تعزف الموسيقى من قبل جوق من المغنين حتى وصول العريسين الى مخدع الزوجية، عندها يقوم كهنة يلبسون الكتان بالاعلان عم مقدم العريس (دموزي) العريس كان يجلس امام طاولة عليها طعام وشراب حيث يتبادل العروسان الانخاب من اجل ان يبتهج قلبه ويفرح على حد تعبير النص (Kramer,1969,p. 80-97).

وكانت تقام وليمة يوم الزفاف تعرف بالاكدية (كيروم kirrum) (CDA,p.160) تقدم فيها الماكولات والمشروبات التي جلبها العريس الى بيت العروس وكان يشارك

في هذه الوليمة اصدقاء العروسين واقربائهما، وان هذا الطقس (كيروم) كان يقام في مناسبات الزواج المقدس والزواج الحقيقي كنوع من (طقس التكريم)، وقد ترجم المصطلح (كيروم) الى (سكب سائل من جرة كبيرة) كالخمر او البيرة على الارض او على جسد الاضحيات تكريما للالهة (CDA,p.160) (Greenqus1969,p.62f)، وكان يقام بسكب الخمر على الارض تكريما للالهة اشخارا التي ترعى الزواج، ويبدو من سياق المادتين (27 و 28) من قانون اشنونا ان التكريم والاتفاق كانا من العوامل الضرورية لقيام الزواج الكامل. ويتضح لنا من نصوص اخرى ان طقس التكريم لم يكن مقتصرا على عقد الزواج بل كان يجري في مناسبات عقد الاتفاقات مثل استئجار الحقول والزوارق وكانت البيرة تشرب من قبل المتعاقدين والحاضرين لتخليد ذكرى التعاقد ودعوة الالهة لرعاية وديمومة ذلك الاتفاق (الهاشمي 1971 ص84)، وكان رش الخمر على الارض علامة للتبرك، اذ تميز الاحتفال الختامي ليوم السبت او العيد بتلفظ كلمة (حفتالا) حيث يقوم بعض اليهود الاتقياء برش الخمر على الارض (ساندرس ص100).

المرأة ودورها في رمزية الخبز والخمر:

كان الدين عبر تاريخ البشرية مرآة لتطور الانسان ومجالا يستقطب كل نشاطه الروحي والفكري، فمنذ ان صنع الانسان ادواته الحجرية صنع تماثيل آلهته، ومنذ ان بنى بيوته الاولى بنى معابدها.

وقد لعبت المراة دور المعلم الاول في تاريخ الحضارة لانها كانت اكثر من الرجل في الشعور الماورائي واكثر تدينا وايمانا بالقوى الالهية واكثر شفافية روحية، فهي التي عرضت الرجل للعوالم التي اكتشفتها قبله وجذبه من دائرة الجوع والشبع المغلقة التي يشترك بها مع الحيوان الى دارة الجمال المفتوحة على الابدية، المراة هي ام القمح تهب اهل الظاهر قوت يومهم، وهي ام الخمر التي تهب اهل الباطن قوت قلوبهم وتفتح بصائرهم على حكمة الليل، فعند الخمر والمستحضرات المخدرة المستخلصة من النبات ينقلب الطبيعي والمادي الى روحاني علوي (السواح 2002 ص239-241).

الاستخدامات الطبية والوصفات العلاجية للخمور:

وصفت لنا النصوص الطبية استخدام النبيذ والبيرة في العلاجات الطبية الذي كان يشبه العلاج بالزيت حيث كانت الوصفات الطبية تمزج بالنبيذ، كما كان

النبيذ يستخدم لتذويب العقاقير والادوية وخلطها وحتما يعود ذلك الى الكحول الموجود في النبيذ، وكان يعتمد كثيرا على استعمال البيرة والخمر لعمل جرعة دواء وتركيب الادوية وكانت البيرة تستعمل مع الادوية التي توخذ عن طريق الفم لانها الواسطة المفضلة لجعلها سائغة المذاق لدى المريض، وهناك لوح من نيبور 2100ق.م يحتوي على الادوية او الوصفات الطبية على اساس البيرة حيث استخدمت كوصفة علاجية لبعض المرضى لان شرابها مادة مدررة تنشط الكلى وتحفزها (كونتينو ص136)، وقد جاء في الامثال السومرية ما يفيد الى تخفيف البيرة بالماء لاسباب صحية (اذا شربت البيرة غير مخففة بالماء من الضروري ان تشرب كميات من الماء بعدها كشراب chaser) وهو شراب من ماء وجعة يؤخذ بعد مسكر قوي، وكذلك المثل (الذي يشرب الجعة كثيرا يجب ان يشرب الماء) (Gorden , 1954, p. 96) والسبب في ذلك لان شراب الجعة يعد مادة مدررة تنشط الكلى وتحفزها .

العلاقة بين الشراب والجنس:

ان شرب الكحول لا يعتبر نشاطا فرديا ولكن مناسبة اجتماعية للغاية، وان هذا النشاط يرتبط بنوعان من الجوانب ذات الصلة مع هذه الحقيقة وهما النشاط الاحتفالي والسرور والنشاط الجنسي، وان النغمة التوافقية بين الجنس والكحول يمكن ملاحظتها ومعرفة صداها في الاداب السومرية، وان ربط الجنس مع الكحول يمكن ان نشاهد اثره في عصر فجر السلالات المبكر عندما نواجه مشاهد الجنس على الاختام وطبعات الاختام وغالبا ما صورت بصورة رمزية مع الولائم وشرب البيرة ومن خلالها تعطي تلميحات بلغة عامة للجنس والشرب (Mishalows;I , p. 16 and 38).

ان مشاهد الشراب مع الكؤوس والانية هو تصوير مثير للعواطف والذكريات الى الحانة حيث كان الرجال يمتعون انفسهم، يشربون وينصتون الى الموسيقى ويمارسون الجنس، وان العلاقة بين السكر والجنس لها جذور عميقة في عقلية ونفسية سكان بلاد الرافدين، حيث اعتقد الناس ان الشراب يربط الشخص ويقيده ويجعله يشعر بالنشوة، فالخمر مصدر النشوة التي تثور في اعماق الانسان كما جاء في النص الآتي:

ربطتك كما يربط الكحول شاربه

لعل قلبك يتوهج مثل الكحول (Foster,1995,p. 334-335)

ويشبه نص ادبي عذوبة الشراب بعذوبة حضن المراة وعذوبة شفتاها، الكل يمتزج من اجل النشوة:

عذب شراب عذراء الخمر

مثل شرابها عذب حضنها، عذب شرابها

مثل شفتيها عذب حضنها عذب شرابها

عذب مزيج شرابها (كريمر 1979 ص68)

وان العلاقة بين النشوة (السكر) والجنس له جذور عميقة في عقلية ونفسية سكان بلاد الرافدين القدماء منذ العصر البابلي القديم، فعلى سبيل المثال كان للبيرة تاثير مساوي الى تاثيراللعاب وترطيب الفرج، وكانت بيرة بلاد الرافدين حلوة مثل عصير التمر، وبالمقابل كان الفم والفرج حلوان ايضا كالعسل استنادا الى الوصف الادبيي لقصيدة سومرية جاءتنا من اور:

الهي، حارسة الحانة بيرتها حلوة

وفرجها حلو مثل بيرتها، وبيرتها حلوة

وفرجها حلو مثل فمها، وبيرتها حلوة

بيرتها kasbir حلوة (Assante, 2002, p. 34)

وقد عثر على رقيم طيني من العصر الكشي يحتوي على اربعة اعمدة يخص رموز غامضة، وكذلك عثر على كسرة من رقيم طيني من مكتبة آشوربانيبال في نينوى تحتوي على (51) رمزا مع تعريفاتها الغامضة، يعطي الرقيم تعليقات على معنى غامض لمواضيع العبادة لعلاج المريض او التكفير عن الخطاة، كما يحتوي الرقيم على موضوع اكثر غموضا حيث يرتبط المقطع الاول من النص مع جوهرة العبادة المختلفة وعلاقتها مع اجزاء الجسم حيث جاء في هذا الرقيم:

الخمر الابيض وقنينته يؤثران على العيون

التين الابيض يناسب ثدايا النساء

الشراب المخمر له قوة على اعضاء الجسم الحافزة (Lngdon,1919,p.335)

ويطالعنا نص لدموزي وهو يدخل بيت انانا، وبعد ان استحمت وارتدت ملابسها وزينتها تقول انانا:

عندما ياتي دموزي الى القص

دعوا الموسيقيون يعزفون لاجله

وانا سوف اسكب الخمر من فمي

بذلك سيفرح ويبتهج قلبه

دعوه يأتي، دعوه يأتي، الا ليته يأتي(كريمر 2007 ص40)

صناع المشروبات الروحية:

استدل الباحثون على قدم صناعة المشروبات ومعرفة الانسان القديم اليها منذ عصور مبكرة استنادا الى كثرة مشاهد الشراب التي صورت على الاختام الاسطوانية والمنحوتات فضلا عن النصو المسمارية التي تناولت ذكر المشروبات وبشكل خاص الجعة والنبيذ اضافة الى قوائم الاجور والجرايات والقرابين والهدايا والاحتفالات والاعياد وقوائم المواد الغذائية الخاصة بالالهة. وقد وردت تسمية صانع الجعة بالمصطلح السومري MUNU SAR ومرادفه الاكدي baqilu (CDA,p.38) وتشير الوثائق الاقتصادية والقانونية من نفر الى وجود اماكن لصناعة الجعة تقع بالقرب من بوابة اور كذلك اشارت الوثائق الضريبية الى نقابة خاصة بهم، وذكرت قوائم الحصص الى كمية الجرايات التي كان يتسلمها صانع الجعة وحصة العائلة التي كان يعمل افرادها في هذا المجال (الزبيدي، مها 2010 ص126-127).

كانت صناعة النبيذ (GESTIN / karanu) معروفة في العراق القديم منذ الالف الثالث ق.م اي الفترة نفسها لصناعة البيرة،وعرفت مهنة الخمر باسم samihum(CDA,p. 315)، وكانت المشروبات الروحية محبذة جدا في بلاد الرافدين بشكل عام لاسيما من كبار شخصيات القصر والمعبد وعامة الناس ايضا، وكانت عملية بيع الخمور على اختلاف انواعها مربحة جدا لكثرة الطلب عليها(كلنغل 1978 ص168)، وكان صانعوا البيرة من الرجال والنساء يمارسون

اعمالهم في اماكن مختلفة اذ كانت هذه المهنة تمارس في البيوت العامة كما في الحانات المخصصة لعمل المشروبات وبيعها، فضلا عن ذلك كانت هناك اماكن مخصصة في القصر والمعبد لصانعي الجعة اذ كانت من المشروبات المهمة التي تقدم مع وجبات الطعام وفي اوقات الفراغ ايضا(ستيفاني 2008 ص141-142).

وكانت الخمور والبيرة تخزن وتحفظ في جرار من الفخار مختومة سعة عدة غالونات (مختلفة الاحجام)، وقد كشف عن عدد من هذه الجرار في النمرود وقد علم على كل منها سعتها (ساكس 1999 ص46-47)، ويحتوي قسم منها على حمالات ليسهل حملها، وكانت هناك جرار كبيرة بمثابة خزانات تصنع من الفخار او المعدن وتوضع في حضرة الالهة خلال ممارسة الطقوس الدينية الخاصة او توضع امام المواد الملكية العامرة (الجادر 1986 ص84)،ونجد مصطلح (hiburnu) من العصر الاشوري الحديث ليعني مخزونا للنبيذ في المعابد (CDA,p. 115) كما استخدم العراقيون القدماء اوعية جلدية ذكرت في النصوص الاكدية بصيغة (زقو ziqqu)(CDA,p. 448)، وهذه الكلمة مرادفة للكلمة العربية (زق) اي وعاء من الجلد (باقر 1980 ص51-61).

بائعة الخمر/ امراة الخمر / صاحبة الحانة:

تسمية اطلقت على المراة التي تعمل على بيع الخمر وغيره من المشروبات الكحولية وتسمى ايضا صاحبة الحانة نسبة الى مكان عملها الذي يتعامل مع المشروبات(رشيد،فوزي 1979 ص136)، وقد مارس الرجال والنساء مهنة بيع الخمر وصاحب الحانة، وقد وردت تسمية بائعة الخمر في المصادر المسمارية بصيغة (sabitum) وللرجال بصيغة (sabum) (CDA,p. 309)، ولقد وجد في المقبرة الملكية في اور قيثارة على واجهتها غزال صغير يمسك بابريق خمر وقدح، وان اهمية ذلك هي ان الكلمة الاكدية (sabitu) تستخدم المعنيين (الغزال وبواب الحانة)، وقد اطلق على حانة بيع الخمور بالاكدية astammu (CDA,p. 29) (كونتينو 1979 ص136).

وكان على صاحبة الحانة او بائعة الخمر التزامات كبيرة تجاه المجتمع بشكل عام، لذا نجد ان عددا من المواد القانونية في شريعة حمورابي قد افردت لها وان بعض تلك المواد قد وجهت العقوبة لصاحبة الحانة اذ ما حدث امر خارج عن

الاسس القانونية مما يدل على ان هذه المهنة فيها نوع من المغامرة في العمل، فعلى سبيل المثال كان عليها التبليغ عن المجرمين او السراق اذا ما دخلوا بيتها او حانتها او اجتمعوا فيها وكان عليها تسليمهم الى القصر وبخلاف ذلك فاها ستعاقب بالاعدام(المادة 110 من قانون حمورابي)، وكذلك اذا استلمت بائعة الخمر نقودا بالوزن الثقيل ثمنا للبيرة بدلا من استلامها حبوبا او انها جعلت قيمة البيرة (المباعة مقابل الحبوب) اقل من قيمة الحبوب (المستلمة) فعليهم ان يثبتوا هذا التحايل على بائعة الخمر ويقذفوها في الماء(النهر) (المادة 108 من قانون حمورابي)(Driver and Miles,p.45 , No. 108 and 109).

وقد ورد في قائمة الملوك السومرية اسم ملكة وحيدة (كوباو / كوبابا Ku Baba) دعيت بـ(ملكة سومر) والتي استولت على العرش وحكمت مدينة كيش مدة ثلاثين سنة في عصر فجر السلالات المبكر 2500–2330 ق.م وعرفت فقط من خلال المصادر المتاخرة حيث وصفت بانها امراة الخمر او صاحبة الحانة، وقد قالت (كوبابا) عن نفسها (انها تبدأ سيرتها كأمرأة الخمر) وهذا هو(قوة العنب، تاجر الخمر او صاحبة الحانة) (Bertman , p.91 وباقر 1986 ص295).

خمر السمسم – براندي السمسم:

كان معروفا منذ الفترات القديمة في حضارة بلاد الرافدين، حيث ذكر في عدد من النصوص (نوع من الشراب المسكر بين الجعة والخمر وصف بانه من الدرجة الاولى)، كما قورن خمر السمسم بخمر التمور الذي كان يحسن باضافة اوراق نبات القرفة او زيت السمسم، وكان من الامور المتبعة ان يسكب هذا النوع من الخمر على الاسس عند تشييد المعابد كما جاء في النص الاتي :

الى انه في يوم حسن الطالع والشهر.. وضعت على الاسس
الذهب والفضة والماكولات والتوابل والعسل والزيت والخمر
وبراندي السمسم

وكان من ضمن الواجبات المترتبة على السكان الذين يستقرون حديثا في مكانهم هو ما يعرف ب (واجب المؤن) التي تعد كواجبات العيش الى الاله الى الابد وهذه المؤن هي (ثور وعشرة خرفان وعشرة homer من خمر السمسم/وهو مكيال عبري قديم يتسع الى 7–8 لتر)، ويخبرنا آشوربانيبال عندما عاد الى اربيل

ليقدم الطعام الامثل الى معبد نابو، اذ ذكر مع الطعام خمر السمسم للشرب وللثناء الى الهه (Olmstead , 1975 , p. 249 , and 439 والجادر 1986 ص80).

صناعة العرق:

كانت الجعة الشراب الرئيس لانها تنتج محليا من الحبوب، ففي ماري يوجد شراب حلو اساسه الجعة يدعة (الابانوم alappanum) (CDA, p. 11) يصنع من الشراب وربما بنكهة الرمان وكان مدرجا في قائمة الوجبات الملكية بكميات كبيرة (حدد في احدى المناسبات باكثر من 1000 لتر)، وشراب آخر هو (همروم hammurtu) (CDA,p.104) من الشعير المخمر ولعله كان بنكهة باليانسون او نبتة ذات نكهة مشابهة، وكان اليانسون الذي ينكه به (العرق) يزرع بكميات كبيرة في الفرات الاوسط ويصدر لتصنع منه حلويات وادوية شبيهة بعرق السوس، في حين ان شراب الابانوم وعرق همروم كان يوزعان في البلاط فقط (دالي 2008ص141).

خلط الخمر بالماء:

هل خلط سكان بلاد الرافدين خمرهم بالماء، يمكن الاجابة على هذا السؤال بالنفي، والاكثر من هذا ان كلا القاموسين الاكديين ترجموا العبارة samhu ب (مازج الخمر) اذ لاتوجد ادلة على خلط الخمر بالماء،ولكن هناك شواهد جيدة للخلط او مزج الخمور من خلال الفعل الاكدي hiaqu (CDA, p. 115)، وهذا حدث مع البيرة ايضا حيث مزجت مع الماء، وتشير النصوص الادبية البابلية الى الخمر الحلو الجيد (العسل والخمر ينتج الطاقة معا)، واستنادا الى السجلات الاقتصادية من ماري فان ذلك يشبه (العسل) وليس شيء آخر من عصير العنب، ولكن بعد ذلك بالف عام وفي زمن الامبراطورية الاشورية ظهر حاكم محلي اسمه (شمش – ريش – اوصر) اعتد بنفسه بانه يصدر خمر غير معروف من النحالة apiculture الى منطقة الفرات الاوسط، وهذا بالاحرى كان من المحتمل عصير العنب والذي يبدو انه كان يمزج بخمر ماري. (Algaze, p. 112-114).

مشاهد احتفالات الشراب:

وجدت مشاهد شرب الانخاب على الاختام الاسطوانية والالواح الجدارية والتي تمثل صور لالهة جالسة او ملك يحمل كأس الشراب او اناء صغير بيده،

وهذه المشاهد تعتبر طقوس مكملة للعبادات وتمثيل الالهة وقيادة الكهنوت ورعاية المعبد ومتابعة الطقوس الدينية وكذلك اعطاء النواميس المتعلقة بتدبير الشؤون الدينية والعبادات (ولكشتاين وكريمر ص37)، وقد اتبعت مشاهد الشرب صيغة واحدة في عرضها تمثلت بمشهد متناظر لشخصين جالسين على كرسيين بايديهما كاس يسكب فيه الشراب من حاملي الجرار الذين يتوسطون دائما هذا المشهد بحضور احد العزفين وربما بعض حاملي الاطعمة :

الشكل الاول:

مشهد يمثل احتفال للشرب على ختم وجد في حفرة الموت في المقبرة الملكية في اور، في اعلى اليسار رجل وامراة يستخدمون القصب لشرب البيرة من جرة كبيرة موجودة على حامل موضوع بينهما، وفي نفس المستوى على الجهة اليمنى تجلس امراة ترفع بيدها كاس امام شخص ربما خادم، وفي الجزء السفلي يشاهد امراة تعزف على قيثارة على شكل راس ثور، وفي الامام قزمان يرقصان (على المراة ربما ادوات موسيية يقف امامها رجل).

الشكل الثاني:

مشهد اسطوري وجد على ختم يمثل عدد من الرموز الالهية (النجمة الثمانية التي تشير الى الالهة انانا / عشتار الهة نجمة فينوس، والهلال رمز اله القمر نانا /

سين، قرص الشمس رمز اله الشمس اوتو والسمكة التي ربما تشير الى الى اله المياه العذبة انكي)، ويلاحظ وجود شكل متوج ربما انثى يشاركها شكل ذكري ب (جرة من البيرة)، وهناك شكل آخر يبدو انه يحمل ابريق به مصب ليملآ ثانية من الجرة، المشهد من المحتمل من (ملحمة جلجامش) عندما قابل جلجامش صاحبة الحانة سيدوري في نهاية الارض في منطقة الجبال، حيث يلاحظ معزى الجبل فوق جرة البيرة، ويشاهد بعد ذلك سيدوري وهي جالسة تلبس عباءة مطرزة تشرب مع جلجامش (الالف الثاني ق.م)

الشكل الثالث:

يمثل احتفال اسطوري للشرب في قمة المشهد حيث يبرز رموز الالهة مثل السمكة التي تمثل اله المياه العذبة انكي، والى اليمين شكلان جالسان على مقعد مزخرف ربما ذكر وانثى يشربان بواسطة القصبة من جرة البيرة، تحت العرش اشبه بكرسي حيث يمسك شخص بيده اليسرى حيوان (كلب) والى اليسار رجل يحمل كاس ومروحة وخلفه معزى منتصبة مثل حيوان وراس اسد، وفي الجزء السفلي المكسور ثور راكع ، اللوح اكتشف في معبد انانا / عشتار في نيبور ربما يشير الى طقوس الزواج المقدس 2900–2350 ق.م.

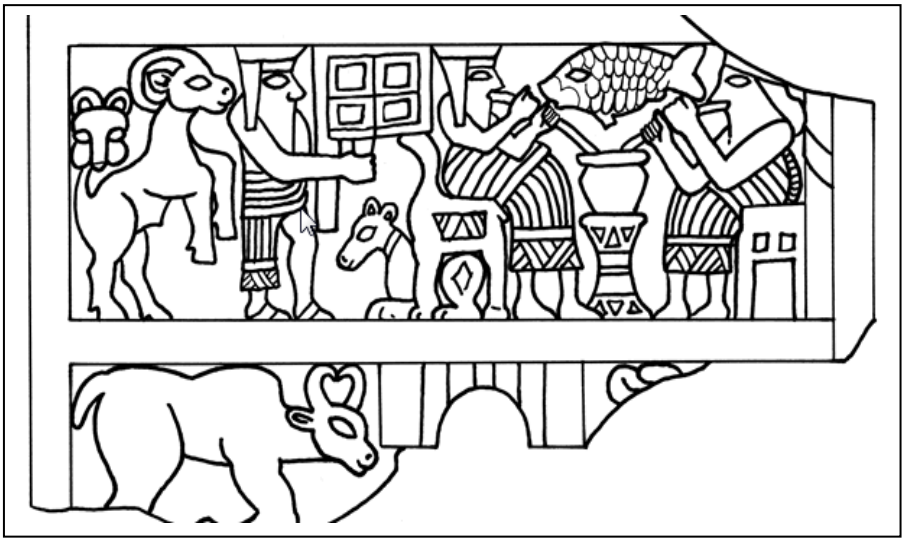

الشكل الرابع:

مشهد وليمة على لوح جداري، في اعلى اليسار امراة ورجل على اليمين يجلسان متقابلان على مقاعد يرفعان كؤوس ويمسكان ما يشبه سعفة باليد الاخرى، الانثى التي تشرب تضع قدمها على مسند (ربما يشير ذلك الى مرتبتها بالعالية اي اعلى من الرجل) على الرغم انه لايوجد ما يشير الى انها الهة، ربما تكون كاهنة او ملكة. وهناك امراة تمسك كاس تقف خلفها، وشكل ذكري صغير امام المراة يحمل على راسه حيوان متكيء ربما اناء طقوس، ورجل بلا راس امام الذكر الجالس يبدو وكانه يعبر الكاس الى الاخر، وفي المشهد الثاني اناس يحملون مؤن من ضمنها معزى واناء كبير ربما يحتويان على البيرة، الموسيقيون يحتلون الجزء الايسر من الجزء السفلي المكسور (حجر الكلس 2400 ق.م).

الشكل الخامس:

صورة اشخاص (رجال الحاشية) يرفعون الكؤوس (اباريق البيرة) في قصر في دور – شروكين، واسفل الكؤوس المحمولة على شكل رؤوس اسود.

شكل رقم (35)

ختم اسطواني من عصر فجر السلالات يصور مشهد وليمة لأشخاص
يشربون البيرة واخرون يعزفون على الالات الموسيقية

شكل رقم (34)
مشهدين لوليمتين يبينان الشرب بواسطة انابيب (قصب)
من عصر فجر السلالات

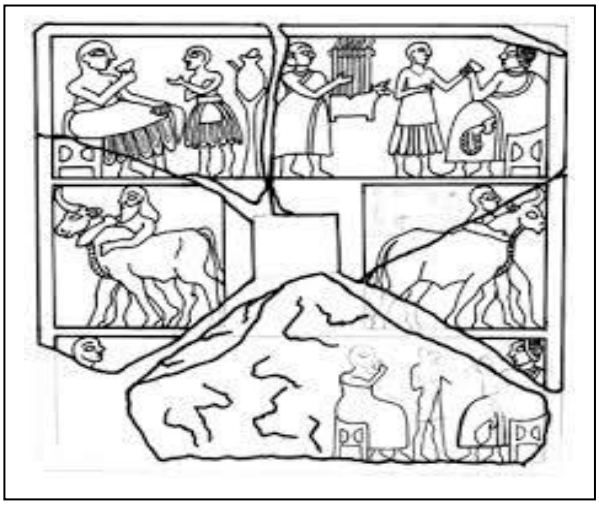

مشهد لشرب الخمور

تقاليد الطعام والشراب في بلاد الرافدين

بذل الجنس البشري قصارى جهده من اجل التمتع بالطعام قدر الامكان، وكانت اساسيات التغذية في المجتمعات ومنها حضارة بلاد الرافدين (الخبز والماء) وان فعل تناول الطعام كتب بالمسمارية بالعلامات التي جمعت فم الانسان ورغيف الخبز، كما كتب فعل شرب الماء بالعلامات التي تجمع الفم والمياه.

يعتبر الطعام والشراب القاعدة الاكثر احتياجا لكل المخلوقات البشرية، وهو شائع لكل الذين يعيشون على الارض (البشر والحيوانات) وحتى الالهة، انه قانون الحياة، واذا ارادت الالهة ان تعاقب مدينة فتقرر مصيرها المؤلم تعمل على تعطيل النواميس الالهية ME التي تدار بموجبها شؤون العالم والبشر فيعقب ذلك تدمير المدن والبيوت ومرابط الحيوانات وحظائر الاغنام وجداول الانهار والحقول والمراعي وحرمانها من مياه الشرب والطعام كما جاء في مرثية اور وبلاد سومر واكد :

اريدو العائمة على مياه عظيمة، حرمت من مياه الشرب

في مدينة اور لا احد يجلب طعاما، ولا احد يجلب ماء

ولكن من اراد الحصول على الطعام، اخذ بعيدا (الاسود،حكمت 2008 ص53-57)

لقد اوردت لنا النصوص المسمارية معلومات وافية عن طبيعة النظام الغذائي لسكان بلاد الرافدين بمختلف طبقاتهم الاجتماعية ومستواهم الاقتصادي ويمكن ان ناخذ قياسا لكمية وانواع الغذاء المقدم للالهة من قوائم التقدمة والنصوص، حيث تعطينا فكرة عن الغذاء المجهز والذي يمكن ان يؤكل من قبل الطبقات الغنية من الشعب، وعلى الرغم من ان كميات الغذاء المقدمة معروفة ولكن اعداد الجالسين على الوجبات ليس معروفا (Ellison , 1981,p.36-37)،كما تعطينا القرابين التي تقدم كهبات في مناسبات اخرى والتي تعكس مشاعر الانسان واحساسه بالالهة فكرة عن طبيعة النظام الغذائي، حيث تشمل هذه القرابين موادا غذائية مثل، الطحين وجعة وزيت وبلح وسمك وحلويات (مزيج من العنب واللبن والنشأ) والرز والبيض ودهن الخنزير ونشأ نقي وزيت جيد ودهن بقر وخبز (نكارتين، 1990 ص 5-42).

وجبات الطعام:

تتناول النخب الحضرية اربعة وجبات في اليوم كما يذكر احد النصوص الذي يعود الى احد الاشخاص الموسورين، وجبتين رئيسيتين احداهما في الصباح والاخرى مع الغروب مع وجبتين خفيفتين، اما العمال وبخاصة الفلاحين في الحقول فلا يتناولون سوى وجبتين (كوفمان ص73)، وكانت وجبات طعام الاثرياء تحتوي الخبز والجعة واللحوم (لحم البقر والغنم والماعز) وعلى الناتج النباتي واطباق دهنية مختلفة وفطائر معسلة، اما الفقراء في بابل واستنادا الى بعض النصوص فمن المعتقد انهم نادرا ماياكلون اللحوم الحمراء ماعدا المناسبات الدينية والاعياد، وكان طعامهم يتركز على الخبز والزيت والبصل، يتناولون وجباتهم وهم جالسين على الارض مباشرة، كما كانت الخضراوات والفواكه مفضلة لدى الفقراء، الذين يصعب عليهم الحصول على اللحم في وجبات غذائهم (ليفي، 1980 ص82-83).

تبدأ الوجبة عندما يقوم العبد بصب الماء على الايدي في حوض، اذ ان عادة غسل الايدي قبل الاكل كانت متبعة،وقد ورد في حوار بين عبد وسيده ما يثبت ذلك،حيث يقول السيد للعبد(أحضر لي في الحال ماء لاغسل يدي لاني اريد ان آكل،فيجيبه العبد،كل ياسيدي فالاكل بانتظام يشرح القلب،وان الاله شمش يحضر مأدبة كل من يأكل بيدين نظيفتين) (علي،1973ص270)، ثم تجلس العائلة حول المنضدة وتبدأ مراسيم الاكل عندما يقول رئيس العائلة (بنعمة الالهة)، وان تناول الطعام دون ذكر الاله يعتبر خطيئة (كالذي تناول طعامه دون ذكر الهه) (الماجدي، انجيل بابل ص150) ، ويوضع الطعام على المنضدة ويوضع الطعام الرئيس في وعاء واحد كبير،حيث يقوم كل واحد بخدمة نفسه باخذ ما يحتاجه من الطعام كما كانت توضع عدد من الاواني على المنضدة بترتيب، وعادة ما تستعمل الاصابع في الاكل ويستعملون قطع من خبز التنور لغرف الطعام الى افواههم،وهذا ربما يناسب قراءة الكلمة الاشورية kasapu والتي ترتبط مع الفعل kaspu الذي يعني شذب او قطع قطعة(CDA,p. 150)،وان كان محتملا ان اعوادا خشبية اختفت من دون ان تترك اثرا في السجلات الاثرية لالتقاط اللقم من على المائدة، وقد ادرجت السكاكين والملاعق التي يفترض انها مصنوعة من المعدن في مجارد الخزن، وبحكم

اعدادها القليلة فالمرجح انها ادوات مطبخية او مشتركة كاوعية تناول الطعام (كوفمان ص73–74) ، وبعد ان يمسح الآكلون افواههم من الوجبة على فوطة المنضدة يقوم العبيد مرة ثانية بصب الماء على ايديهم، واذا كانت الوجبة الوسطية فبعدها يذهب الاكلون الى غرف النوم للقيلولة Siesta والتي كانت ضرورية جدا خلال مدة كبيرة من السنة،حيث ان الحرارة لا تطاق في العراق خلال فترة بعد الظهر،كما كان بعد وجبة العشاء يتناولون طعاما خفيفا وبعض الحلوى (Ellison,1982,p.147).

وجبات الطعام المقدمة للالهة Naptanum:

من الملاحظ ان جميع المعابد تبدأ اسماؤها بالكلمة السومرية (أي E) التي تعني (البيت)، ومن هذه مظاهر هذه الصفة ان القوم نقلوا الى الاله جميع الافعال والاعمال التي يمارسها البشر في حياتهم الخاصة والعامة كالطعام واللباس والزواج واقامة الولائم، والالهة مثل البشر تفرح وتغضب وتتخاصم وتتناول المشروبات الكحولية، وصار مجتمع الالهة السماوي بموجب ذلك المبدأ نسخة ثانية للمجتمع البشري على الارض (باقر 1986 ص332). وقد اعتقد سكان بلاد الرافدين ان حاجات الالهة تماثل المتطلبات الانسانية من حيث توفير وجبات غذاء كاملة الى الالهة Nabtanum ((CDA,p.240، وعليه فان من الواجبت المهمة التي تطلبها الالهة من عبدتها تزويدهم بالغذاء والشراب والزيت الخاص بالمسح،وهومتأتي من نظرتهم الى تلك الالهة التي صورها على الشكل الانساني من خلال مبدأ التشبيه الذي اعتمده العراقيون القدماء في ديانتهم والذي يقضي بتشبيه الالهة بالبشر في هيئتها وحواسها وعلاقاتها وحاجاتها الى الطعام والشراب فدفع الكهنة والناس من خلالهم الى تقديم الطعام والشراب الى الالهة يوميا وفق طقوس ومراسيم معينة (الاحمد، 1988 ص 55) 0

وهكذا فان وجبات الالهة قد تكون نموذجا على طعام النخبة البشرية ، وكانت وجبات الطعام المقدمة للالهة أي الى المعابد والتي توضح على منصة المذبح، حيث تستقر تماثيل الالهة (من ثم الى الكهنة) وتلك المقدمة الى الملوك في قصورهم مختلفة بالتاكيد عما كان يتناوله الافراد العاديون، واستنادا الى بعض المعلومات المتوفرة في النصوص المسمارية امكن وضع الصورة عن تفاصيل تلك

الوجبات فقد شمل هذا الطعام كميات كبيرة من الخبز ولحم الغنم والبقر والشراب على شكل البيرة، وهنالك العسل والدهن والزيت الفاخر والحليب والتمر والتين والملح والمعجنات والطيور والسمك والخضراوات والفواكه من احسن منتجات الحقول والبساتين والتي كانت ترسل الى المعبد من الحقول الزراعية، وتضم ايضا لحوم الحيوانات المنذورة كما تضم هذه الاضاحي (خبز التقدمة show – bread)الذي يجب ان يخبز، وكان يقدم يوميا الطعام الى الالهة في معبد الوركاء على سبيل المثال (500 كغم) خبز و(54) اناء بيرة وخمر. وكانت وجبة الالهة مأدبة بكل معنى الكلمة، يدعى اليها الالهة الاخرون ويمكن ان يحضرها المتعبدون البشر، وكان الالهة يحصلون على الاجزاء المفضلة من الحيوانات ويعطى الباقي الى الملك والكهنة وموظفي المعبد (دولابورت 1971 ص198–199،لويد، 1980 ص 46–48، ساكس 1979 ص406، و الاحمد، 1988 ص 55 و احمد، 1992 ص 169، Harris,1962,p.147)، وان هذه المواد الغذائية التي ترسل الى المعبد استخدمت في ثلاث نواح مختلفة هي:

1 – يقدم طعام الى تمثال الاله كما تتطلبه الطقوس اليومية للمعبد من خلال تقديم الاضاحي والتقدمات التي ترسل الى المعبد من الحقول الزراعية وقطعان الماشية باختلاف انواعها، ويشير النص الى جزء من هذه التقدمات (اجعل قلوبهم تتنفس وبوجبات الطعام اجعلهم فرحين اقدم الزيت والزبدة والحبوب المنتقاة فروض المعبد)، فقد كان آلهة بلاد الرافدين (يأكلون) بنظرهم الى التقدمات، وكان حجم التقدمات الدينية المطلوبة من السعة بحيث تتوافر الاطعمة لكي توزع على كثير من المقيمين في القصر وابنية المعبد وربما سكان البلدة ايضا كصدقات (كوفمان ص74–75)، وقد كانت الاضاحي تضم لحوم الحيوانات المنذورة حيث كانت تطبخ بالشوي بالنار او السلق في الجدر seethed بواسطة عمال اختصوا بعمليات تحضير القرابين المقدمة الى المعابد، فيذكر احد النصوص عن اربع نساء كنّ يقمن بالخدمة كطاهيات ومعدات لوجبات الاطعمة وربما لكهنة المعبد وموظفيه، كما تظم هذه الاضاحي خبز التقدمة Show-bread الذي يجب ان يخبز، وعلى هذا الاساس كان المطبخ جزءا مهما من المعبد(Harris , 1962,p.147 , woolley,1962,p.104).

2 – ايراد للاداريين الذين يشرفون ويعدون الطعام بمائدة الاله

3 – لخزن تلك المنتجات واستخدامها فيما بعد او تحول الى بضائع للتصدير ومبادلتها بمواد خام التي كان المعبد بحاجة ماسة اليها .

مراسيم طعام الالهة:

كان هدف العبادة ارضاء الالهة بتقديم النذور والقرابين المختلفة اليها وتقدمة المآكل والاشربة التي تقررها الطقوس الدينية، وتتمتع الالهة باربع وجبات يومية اثنتين كبرى وصغرى في الصباح، وكبرى وصغرى مرة ثانية بعد الظهر والمساء (كوفمان ص74)

كان الاله يتناول طعامه في اطباق واوعية واقداح مزينة بما يدل على الثراء موضوعة على موائد مقدسة متحركة امام تمثال الاله وسط الازاهير وعزف الموسيقى في جو منار بالشموع اضافة الى عمليات التبخير بالروائح المعطرة الذي كان يعد اجراءا دينيا، كما اعتبر من العادات الخاصة بالمائدة لتشتيت رائحة الطعام (اوبنهايم، 1981 ص236) وكان القصد منها ارضاء وملاطفة حاسة الشم للاله، وعندما كان الاله يتناول الطعام يكون مخفيا عن نظر البشر بستائر من الكتان تحيط بالصورة وبمائدة الاله، وعندما تتم الوجبة ترفع الستائر وان كانت تسدل ثانية ليتمكن الاله من غسل اصابعة من ماء موضوع في اناء، وكان أي اتصال بين العالم المادي وعالم الاله مخفيا عن عيون البشر (اوبنهايم، 1981 ص 240 و اوتس، 1990 ص264).

وبعد تقديم وجبة الطعام الى تمثال الاله وينتهي الاله من تناول طعامه ترسل الاواني الى الملك لكي ياكل فيها، وكان الطعام المقدم الى الاله يعتبر مباركا، حيث من الممكن نقل تلك البركة الى الشخص الذي ياكل منه، وكان الشخص هو الملك بشكل دائم، وقد صورت اشارة سرجون الثاني اهمية الحق الملكي في اكل الطعام من مائدة مردوك، وقد تباهى ملوك اشوريون آخرون عن استلامهم من الوجبة القربانية في تمييز منزلتهم الملكية 0 وانه مازال غير مؤكد فيما اذا اشتملت ممارسة ارسال الطعام الى الملك على جميع الاواني او انها اقتصرت على اوان معينة فقط وربما كانت تكرر هذه الممارسة يوميا او انها اقتصرت على مناسبات

خاصة فحسب، ومن المحتمل ان كبار موظفي المعبد قد تمتعوا بالحقوق ذاتها (رو، 1984 ص 290 و اوبنهايم، 1981 ص 237 و اوتس، 1990 ص 264 و احمد، 1992 ص 169).

النظام الغذائي للملوك:

كانت وجبات الطعام المقدمة الى الملوك تشبه الى حد بعيد وجبات طعام الالهة، وذلك لان العراقيين القدماء اعتمدوا مبدأ التشبيه أي تشبيه الالهة بالبشر، وبما ان الملك في اعتقادهم كان يمثل الاله على الارض فيبدو ان وجبات طعام الملوك كانت مشابهة من حيث الشكل والنوعية والعدد وجبات الالهة، بالاضافة الى ذلك فقد كان على الملك واجب ديني ووطني هو توفير الطعام الى شعبه، وان تناول الطعام من قبل الملك وحاشيته تحتاج الى سلسلة طويلة وشاقة من الاجراءات ومجموعة كبيرة من الخدم والقائمين على خدمة المائدة، ولعل هذا الشيء ينطبق على باقي الناس ولكن بصورة اقل ترفا (الاسود ماجد وحكمت 2014 ص13).

يجب على الملوك ان يأكلوا طعاما مضمونا ويشربوا ماء مامونا وان يكونوا آمنين في قصورهم، وعليه فقد تمتع الملوك بالاطعمة الفاخرة التي كانت تاتيهم من كل الاراضي الواقعة تحت سيطرتهم، قوائم متنوعة للغاية ولذيذة المذاق وثمينة في الكمية والنوعية، وكان عليهم مراعاة قواعد سلوكية محددة بما في ذلك تلك التي مسموح بتناولها او يتم حضرها عليهم في بعض ايام السنة وفقا معايير طبية وطقوسية عادة تحدد من قبل الكهنة. وتصور الاختام والمنحوتات اسلوب تقديم الطعام للملك، حيث تبدأ الوجبة بان يصب العبد ماء على ايدي متناول الطعام، بعد ذلك يجلس الحاضرون حول المائدة ويوضع الطعام في اغلب الاحيان في وعاء كبير واحد ويأخذ منه كل فرد مايحتاجه من الطعام، وكانت المنتجات النباتية تشكل جانبا مهما من تلك الوجبات فضلا عن اللحوم التي كانت تعد من المواد الاعتيادية التي تتضمنها اطعمة الملوك والاغنياء من المتمكنين اقتصاديا، ويبدو انه بعد الانتهاء من تناول الوجبة يمسح الشخص فمه بمناديل خاصة توضع لهذا الغرض تماما كما هو الاسلوب المتبع في الوقت الحاضر ومن ثم يصب شخص آخر الماء على الايدي لغسلها وتنظيفها مرة ثانية (Saggs,1967,p.174-176)

طعام الملوك الاشوريين:

قدمت لنا قوائم الخمر من مدينة كلخو (نمرود) وصفا كاملا للولائم والوجبات الملكية التي يتم تناولها في القصر وكذلك البروتوكول المتبع في ذلك، وطبقا للنصوص يجلب الاثاث الى الغرفة من قبل الخدم، وان اول شخص يدخل وياخذ مكانه على المائدة هو الملك وبعده الموظفين الكبار الذين يدخلون سوية ثم بعد ذلك ولي العهد متبوعا ببقية اولاد الملك، ثم يعطي النص معلومات عن واجبات الخدم الذين يعتنون بحرق البخور ومناقل التدفئة وغسل الايدي بالماء وحاملي المشاعل والمراوح، وبعد الانتهاء من الوليمة يتفرق الآكلون ويحول الاثاث من الغرفة (Russel,1991,p. 231).وتخبرنا النصوص بوصف دقيق لما يحدث في الوليمة، ففي نص يدعى وليمة الامراء ياتينا وصفا بمناسبة وجبة طعام الملك، فعندما يدخل الملك وابناءه والامراء الى مكان الاكل يقف رجال حاملين المشاعل بين المناضد الفردية لاولاد الملك والامراء، وعندما تقدم الوجبة بسخاء تحرق البخور بكميات جيدة حول المناضد وتوضع اكواب الشراب الكبيرة، وياخذ موظف القصر sa pan ekalli (CDA, p.67) مكانه قائلا لحامل الاكواب (اعطي للشرب)، وفي بعض الحالات يحمل البعض المشاعل والمراوح بين مناضد الامير وابناء الملك وذلك لتبديد الدخان والغازات المضرة خاصة في فصل الشتاء (Kinnier ,1972,p. 43-85).

واستنادا الى المعلومات المتوافرة فقد كان الملك الاشوري يعتمد على ثلاث وجبات غذائية رئيسية، ففي الصباح عندما ينهض الملك من نومه يقدم له الحليب لشربه ويتناول البيض مع بعض الخضراوات والخبز الطري وعصير الفواكه، اما في الغذاء فعلى الاغلب كان في وقت متاخر نوعا ما وذلك لالتزام الملك باعماله الادارية ومقابلة مستشاريه، حتى ان الملوك الاشوريين كثيرا ما كانوا يدعون موظفيهم ومستشاريهم لتناول الطعام معهم، واهم ما يحويه غذاء الملك اللحوم والخبز والخضراوات والحلويات، وفي اغلب الظن ان اهم وجبة طعام للملوك الاشوريين هي العشاء وذلك لانتهاء معظم اعمال النهار وما يتخلله من جهود والتزامات، فضلا عن ان جلسات الملك الليلية غالبا ما كانت تشمل فترات ترفيهية موسيقية راقصة وهكذا يكون الطعام اكثر متعة وشهية ويشمل العشاء اللحوم

والخضراوات والحلويات وعصائر الفواكه ثم الجعة والمشروبات، ويمكن القول ان اجسام الملوك الاشوريين التي نراها في المنحوتات الاشورية اجساما لرجال تمتعوا بصحة جيدة وتغذية جيدة (Abbenigh,1969,p. 111-112)، كما يذكر نص من عصر سرجون الثاني تناول الطعام على الموائد الملكية (لقد تركت اتباعي وسكان بلادي يجلسون على مائدة العيد عند الاكل والشرب) (احمد، سهيلة 1992).

وفي منحوتة آشور بانيبال يصور الملك الجالس على اريكة مع زوجته الجالسة على كرسي ذات مساند وامامها المنضدة التي يوضع عليها الطعام، ويتضح من خلال المنحوتة ان طريقة تناول الطعام هي باليد اليمنى عادة (Frankfort,1958,p. ,p.114)، وفي احتفال الملك نفسه بانتصاره على امراء المقاطعات العيلامية يصف لنا كيف بدأ آشوربانيبال احتفاله حيث امر باعداد لحم الغزال المشوي وجلب الفواكه وانواع الجعة الجيدة لهذا الاحتفال (Pritchard,1969,p.76).

أداب المائدة في البلاط الملكي الاشوري:

وفرت لنا النصوص المسمارية والمشاهد الاثرية معلومات وتفاصيل عن آداب الطعام والعادات المتبعة في تقديم وجبات الاكل وما يرافقها من طقوس معينة، وكذلك المراسيم ذات العلاقة بتقديم الطعام وآداب المائدة في البلاط الملكي الاشوري فضلا عن مفردات الاطعمة التي كان يصاحبها الاحتفالات والموسيقى، وكان هناك مجموعة من المختصين بالغذاء والخدم يقومون بخدمة الملوك في قصورهم، وقد اكدت سجلات قصر شروباك (فارة) انه كان هناك عدد كبير من الاشخاص يعيشون في القصر، فكان هناك اكثر من (144) ساقيا و(133) موسيقيا وفنيا و(65) طباخا، كما كان هناك عدد من الحرفيين، وكل هذه التفاصيل تشير الى المستوى الراقي والذوق الرفيع والسلوك المتحضر المتبع في ثقافة الاكل والشرب وتقديم الطعام في بلاد الرافدين (Jacobsen,1970, p.):

- حملة الاقداح (شاقيوم shaqum)(CDA,p.359): وهم مجموعة من خدمة الملك الذين يحملون الاقداح ويملوءنها بالجعة او الخمر او اي مشروب آخر ويقدمونها للملك، كما يوجد ايضا نوع آخر من الخدم (ابناء حملة الاقداح) ومن

خلال احد النصوص الملكية تتضح طبيعة عمل ابناء حملة الاقداح (هولاء الصبيان كانوا يركعون وهم يقدمون الوجبات الغذائية للملك)، وفي نص آخر (الفتيان الذين يعدون تجهيزات المأدبة الملكية). (اسماعيل 1999 ص90).

- طهاة الملك nihtimmi sari: وهم المسؤولون عن اعداد اطعمة ومشاريب الملك على اختلاف انواعها.

- خباز الملك: المسؤول عن اعداد الخبز للملك وبعض انواع الكعك والمعجنات حيث نقرأ في احد نصوص الملك ادد نيراري الثالث (الخباز الخاص بالملك اخذ كمية من الشعير وعسل التمر وعسل النحل وزيوت نباتية وبذور الكحول لعمل الكعك) (اسماعيل 1999 ص91).

- صانع الجعة (البيرة) للملك baraqu sari: ويعد من اصحاب المهن الخدمية المهمة في القصر لان الجعة كانت تعد من ضمن المشروبات والمواد الغذائية الرئيسة في ذلك الوقت لدرجة انها تعطى كهدايا وحصص لموظفي القصر والدولة.

- طاهي اللحم المشوي للملك pahisu sari: من الطهاة المهمين في القصر، فاللحم المشوي على ما يبدو كان من الوجبات المفضلة للملوك ويتضح ذلك من احدى رسائل طاهي اللحم الى الملك (الى الملك سيدي، ايل طاهي اللحم المشوي، ان لحم الاغنام الذي اعده لك والذي اعتدت ان اشويه لابيك يقول عند القتل انه يذبح والحرارة والافران تملآ فمه) (اسماعيل 1999 ص93).

- المسؤول عن عمل الحلويات للملك karkadinnu sari: وكذلك تهيئة الفواكه للملك، ففي احد النصوص الملكية التي تشير الى ارسال شحنة من المواد الغذائية الى صانع حلويات الملك، يتضح انها مواد تدخل ضمن اعداد الحلويات والفواكه حيث نقرأ في النص (تم ارسال البضاعة المكونة من حبوب الفستق والعنب والتفاح والعسل والشحوم وزيت بذور الكتان) (اسماعيل ص93 و Kinnier,1972,p. 83).

- ان عادة غسل الايدي قبل الاكل كانت متبعة، اذ يبدأ العشاء الرسمي وينتهي بغسل اليدين بماء معطر موضوع في اناء ويصب الماء على ايدي متناول

الطعام في وعاء، ويدهن الضيوف بزيت معطر وتشعل البخور، وقد ورد ذلك في حوار بين عبد وسيده ما يثبت ذلك حيث يقول السيد للعبد (احضر لي في الحال ماء لاغسل يدي لاني اريد ان آكل، فيجيبه العبد، كل ياسيدي فالاكل بانتظام يشرح القلب وان الاله شمش يحضر مأدبة كل من ياكل بيدين نظيفتين) (علي، فاضل 1973 ص270)، وقد جاء في احد الامثال السومرية (لا تقم مأدبة من دون ان تغسل يديك) (Hallow,2010,p.594).

- يقدم الطعام على المناضد التي كانت تصنع من الخشب، كما استخدمت الملاءات المعدة من الكتان لتغطية المناضد، واستخدمت مقاعد بسيطة مكونة من قطع جذوع النخيل او على كراسي واطئة بدون مساند ولا ذراع مصنوعة من الفخار (stool) (Ellison ,1981, p. 36-37).وقد استعمل الاشوريون الكراسي والمناضد وكذلك الارائك التي حلت جزئيا محل الكراسي في عهد آشوربانيبال، حيث يشاهد الملك وهو مستلقي والملكة تجلس على كرسي بجانبه، وقد زينت المناضد بالزهور والموسيقيون يعزفون لتسلية المضيفون بما لايقل عن(7–8) آلة موسيقية مختلفة من ضمنها القيثارة والدف (Sayce,p.128-129).

– بعد الانتهاء من تناول الوجبة يقوم شخص آخر (عبد) بصب الماء على الايدي لغسلها وتنظيفها مرة ثانية ثم تنظف المائدة وترفع من الغرفة .

– يمسح الشخص فمه بمناديل (فوطة) خاصة توضع لهذا الغرض تماما كما هو الاسلوب المتبع في الوقت الحاضر.(Ellison , 1982 , p. 147).

– هناك بعض المعلومات التي تفيد بوضع الازاهير وانارة الشموع فضلا عن التبخير بالروائح المعطرة الذي كان يعد اجراء دينيا كما اعتبر من العادات الخاصة بالمائدة لتشتيت رائح الطعام (اوبنهايم 1981 ص236–240).

– هناك مشاهد لمأدبة طعام تمثل امراة جالسة يحتمل انها الهة وامامها منضدة عليها اطعمة مختلفة، وتقف امراة لخدمتها على الجانب الاخر من المنضدة (سفر والعراقي 1978 ص51).

الولائم الاحتفالية والضيافة الالهية والملوكية

تحتل الولائم (qeritu) (CDA,p.288) مركز الحدث في الاحتفالات الدينية والاعياد والمهرجانات الشعبية والاستقبالات الرسمية والدبلوماسية وكذلك العمليات العسكرية، وقد ربطت المظاهر الاحتفالية للولائم بالحوادث التي تستدعي الاحتفال فضلا عن اهميتها الدعائية من خلال المسلات والالواح والمنحوتات التي توثق الحدث، وان دراسة الولائم في علم الاثار توجه الانتباه الى السياقات الاجتماعية والسياسية لاستهلاك الطعام والشراب فضلا عن دراسة العلاقات الاجتماعية والعناصر الادائية مثل الغناء والرقص او الخطاب كذلك عدد المشاركين في المأدبة، كما يمكن ملاحظة كميات الاطعمة والمشروبات الجاهزة والمستهلكة والمعدات المستخدمة في الطهي والانواع المختلفة من وجبات الطعام (Ascalone, p. 202).

يؤرخ اول تمثيل للمآدب الى عصر فجر السلالات الثاني (الربع الثاني من الالف الرابع ق.م)، كما قدمت لنا سلسلة الالواح الحجرية البارزة لقصور الملكية في كلخو (نمرود) ودرو شروكين (خورسباد) ونينوى رؤيا واضحة حتى العصر الاشوري الحديث. وكانت المآدب دائما تنظم حول شخص الملك او الزوج الملكي وهما يشربان من قدح او من خلال انبوب موضوع في جرة بها شراب، حيث جاء ذكر البيرة والخمر في المصادر المسمارية بسبب رموزهما العالية وقيمتها الطقسية في الشرق الادنى كاختيار لتقديم وشرب المشروبات خلال الاحتفالات التي كانت تقام في البلاطات الملكية (Pinnock,1994,p.13). والشواهد الاثرية غنية بمشاهد تمثل احتفالات المآدب وهي من المآثر الملكية التي تحكي قصة الانتصارات العسكرية والاعمال العمرانية العامة، اذ ان المظاهر الاحتفالية للمادبة ربطت مع الحوادث المحظوظة التي تستدعي الاحتفال والتي تقوم بالدعاية في نفس الوقت من خلال المسلات والالواح الجدارية والمنحوتات والاختام الاسطوانية والتي كانت بمثابة القنوات الترويحية الرئيسية للملك، ومن ضمن هذه الحوادث هو احتفال السنة الجديدة عندما يتحد الاله دموزي بواسطة الزواج مع انانا ليجلب دورة جديدة من الرفاهية والخصب الى الحقول، كما زودتنا النصوص المسمارية لبلاد الرافدين والمشاهد الفنية بمعلومات وافية واشارات الى نماذج متعددة من الولائم التي كانت تقام اثناء الاحتفالات الرسمية (النصر العسكري،تقليد المناصب، تدشين قصر) والدينية (مشاريع اكمال ابنية

المعابد) والاحتفالات والمهرجانات الشهرية لالهة متعددة وكذلك الاجتماعات حيث يلاحظ فيها ايماءات الشهرة وكسب مباركة ضيف الشرف (الاله او الملك) وتفاصيل البروتوكول الخاص بجلوس المدعوين.

لقد ادرك سكان بلاد الرافدين القدماء ان مباهج المائدة دليل اكيد على الثقافة الرفيعة حيث امتلآت موائدهم بالوان الطعام اللذيذة واللحوم المتبلة بالافاويه والحلويات المعطرة مع التاكيد على انواع من المستحضرات الغذائية الصغيرة المغرية وعلى بعث البهجة والرضى في حاسة الشم باعطاء نكهة للطعام بتركيبات ذكية من الاعشاب العطرية والتوابل، وان دعوة الضيوف مناسبة لعرض مظاهر الثروة والذوق الرفيع وان الضيافة علامة من علامات الواجب تجاه المضيف وابداء الكرم ومصدر للبهجة والسرور والقوة (دالي 2008 ص125). واستنادا الى النصوص الادبية فان الولائم والضيافة في بلاد الرافدين كانت تقام وفق التسلسل الاتي:

1- الالهة تستظيف الالهة، ولكن نادرا ما تستظيف البشر.
2- الملوك يستظيفون الالهة
3- الملوك يستظيفون الناس
4- الناس تستظيف الالهة من خلال وجبات الطعام المقدمة اليهم
5- الناس تستظيف الناس

ولائم الالهة.. ولائم السماء:

عاش الجنس البشري من اجل دعم وتكريم الكائنات الخارقة، وهذا هو مفهوم حضارة بلاد الرافدين حيث تم توفير المبررات الثقافية والادبية لهذا المبدأ في النصوص الطقوسية من كل عصر، وكانت حريصة على اعطاء جميع التعليمات للتنفيذ الامثل لتلك الانشطة في المعابد التي وجهت الى رعاية الالهة بما في ذلك التغذية والغسيل والملابس مع الاغاني والموسيقى، ومع ذلك فان هذه الانشطة كانت تماثل تلك التي كانت تؤديها كل يوم الاسر الغنية، واصبحت متخصصة ومتكاملة في حياة المعبد وارتقت الى المكانة العليا بسبب المستفيدين.

كان الالهة يعقدون اجتماعات عامة في قاعة كبيرة تدعى Ubsukinnakku (CDA,p. 418) وهي قاعة الاجتماعات للالهة في السماء (وكذلك يشار الى قاعة داخلية في المعبد) وعندما يصل الالهة يقابلون الاصدقاء وتكون هنالك علاقات

فيما بينهم وفي هذه القاعة يجلس الالهة حول وليمة فاخرة، خمر وشراب قوي يجعلهم في وقت قريب في سعادة ومزاج رائق، يجلسون والسنتهم (متأهبة)، لقد جلسوا على الوليمة اكلوا الخبز وشربوا الخمر، الشراب الحلو Sweet drink بدد مخاوفهم لكي يغنوا لاجل مرحهم، كما شربوا الشراب القوي، كانوا للغاية واثقون، قلوبهم كانت في غبطة، لاجل مردوخ بطلهم مقرر الاقدار (Jacobsen , 1970 p.164,)، كما كان هنالك نوع من الاجتماع السري المقدس، حيث انهم زودوا بوجبة طعام كلها من الخضراوات في هذه المناسبة وقد ضمت الكتان والمكسرات والعنب والرمان والتين والخبز والنبيذ والجعة (ساكس، 1999 ص 296).

ويبدو ان الالهة كانوا يتمتعون بالولائم التي يقيمونها عندما يشعرون بالراحة، ففي مرثية مدينة نيبور صور الملك اشمي – داكان وهو يبكي القدر القاسي للمدينة وتوسله الى الاله انليل لكي ينتقم لمدينة نيبور، وتنتهي المرثية بمقطع ينم على الفرح بعد ان وعد الاله انليل بانهاء حالة الحزن، وكما جاء في النص:

انليل وننليل اقاما منصة في (ايكور Ekur)

تناولا طعام العشاء وتمتعا بالشراب

لقد تشاورا في حماية ذوي الرؤوس السود في منازلهم

وفي احد المقاطع يمثل الملك دور (الكاهن المقدس) الذي يقوم بالخدمات يوميا، فهو المسؤول عن عمليات تقديس الطعام وتطهير الماء وتقديم الحصص اليومية من وجبات الطعام:

على الرغم من ان سومر واكد اصابها الدمار من قبل العدو

بعد ذلك هدات القلوب وسكنت الارواح

كل الالهة العظام لديهم شفقة

ينظرون الى المتعبين، ويجلبوهم خارج ذلك

مدينتكم التي محقت وتحولت الي اطلال اعادوها

موادها البراقة التي تبعثرت، والتي دمرت

انليل ملك كل البلدان، اعادهم الى مكانهم

لنتناول العشاء الذي اقامه بفرح

الى اشمي – داكان، الكاهن المقدس الذي يقوم بالخدمات يوميا، السعيد المبجل

(انليل) اعطاه الامر، لتقديس طعامها وتطهير مائها

امره بتطهير الطقوس المدنسة

نظم الطقوس المبعثرة، وغير المنتظمة

يصنع الخبز وفيرا على المائدة، وقد قرر جعل القطع كثيرة (الاسود، حكمت 2008 ص61-72)

انكي وننماخ.. اول وليمة للالهة احتفاء بحادثة خلق الانسان:

تبدأ القصيدة بما يمكن ان يكون وصفا للمصاعب التي كان يلاقيها الالهة في الحصول على قوتهم لاسيما بعد ان جاءت الالهات الى الوجود، فكان الالهة يتذمرون ويتشكون ولكن انكي اله الماء الذي كان من المتوقع منه ان يخف لنجدتهم بصفته اله الحكمة ظل مضطجعا في مياه العمق غير مكترث بشكائهم، ومن هنا تنتقل القصيدة من خلق الانسان الكامل الى ذكر خلق انواع ناقصة التكوين من البشر لتفسير وجود مثل هذه المخلوقات الشاذة في الحياة. وقد اقام الاله انكي اول وليمة للالهة احتفاء بحادثة خلق الانسان اذ ان كل العائلة الالهية اشتركوا في المائدة، وفي الوليمة شرب انكي وننماخ خمرا كثيرا جعلهما مفرطي النشاط والسرور(كريمر 1957 ص199-201).

وليمة الاحتفال بانتخاب القائد الالهي:

ورد هذا الاحتفال في قصة الخليقة البابلية (اينما ايلش) حيث دعا الاله انشار الى اجتماع مجلس الالهة لكي يتخذوا قرارا بتسمية قائدا للالهة وصاحب الرفعة بينهم:

اجعل الالهة آبائي يمثلون امامي

وليجيئوا الي بالالهة جميعا

فليتحاوروا وليجلسوا الى وليمة

فياكلوا الخبز ويمزجوا الخمر

وليقرروا لمردوخ الاخذ لهم بالثار (هايدل 2007 ص5)

وكان على مجلس الالهة ان يناقش مقرراته الى ان يتم تحقيق الاجماع الكلي على راي واحد :

ليحضر الالهة جميعهم

وليجروا مناقشة، ليجلسوا في وليمة

لياكلوا حبا، ليصبوا خمرا

ومن اجل مردوخ الاخذ بثارهم، ليقرروا قرارا (حنون، نائل 2006 ص111)

ولما دخلوا الى قاعة الاجتماعات اخذ كل واحد منهم يعانق الاخر ويقبله تعبيرا عن الفرحة بهذا اللقاء، ثم جلسوا حول مائدة فاخرة ارادها انشار (ان تضع افكار الالهة في الاطار الصحيح) وكما جاء في النص:

فقبل كل واحد منهم الاخر، وراحوا يتجاذبون اطراف الحديث

ثم جلسوا حول المائدة

فاكلوا الخبز وشربوا اجود الخمور

وانسابت الجعة عذبة الى افواههم خلال انابيب الشرب

فامتلات اجسامهم وهم يحتسون مزيدا من الخمر

حتى سرت قلوبهم وانشرحت صدورهم

وعندئذ قرروا المصير لبطلهم مردوخ (علي، فاضل 1997 ص121-122)

الوليمة المقدسة للاله انكي على شرف الالهة انانا:

وردت هذه الوليمة في الاسطورة المعروفة باسم(انانا وانكي) وذلك عندما عقدت الالهة انانا العزم على السفر الى اريدو للحصول على النواميس الالهية(ME) التي كانت سببا في نشر مظاهر التطور الحضاري في المجتمع والتي كانت بحوزة انكي اله الحكمة في مدينة اريدو، ولما علم الاله انكي بنبأ قدومها امر وزيره(ايسمود) ان يستقبلها بمظاهر الحفاوة والتقدير ويقيم على شرفها مأدبة فخمة وباذخة:

عندما تدخل انانا الى الهيكل المقدس

قدم اليها كعك الزبدة لتاكل

وصب لها ماء باردا لتشرب

وقدم لها البيرة عند تمثال الاسد

وحيها عند المائدة المقدسة (مائدة السماء)

وتذكر الاسطورة انه بعد وصول موكب الضيفة الى الوركاء جلس انكي وانانا الى المائدة وبدءا بتناول الشراب وبعد قليل لعبت الخمرة براس اله الحكمة فمنحها النواميس المقدسة:

ورحب بها عند المائدة المقدسة، مائدة السماء

انكي وانانا شربا البيرة معا

شربا مزيدا من البيرة

بالاكواب البرونزية المملوءة بالجعة

باكواب اوراس، ام الارض

مع تبادل الانخاب، بارى كل منهما الاخر

ثم قال انكي وهو يرفع نخب انانا

باسم قدرتي، باسم هيكلي المقدس

ساعطي ابنتي انانا ناموس الكهنوت وناموس الالهية

اعطيها ناموس التاج النبيل الدائم وناموس عرش الملوكية

فاجابت انانا (انا اقبل بهم) (علي،فاضل 1997 ص100 والسواح، فراس 2006ص222-223)

الوليمة الالهية الكبرى على شرف الالهة الاخرى:

وردت هذه الوليمة في اسطورة (نرجال وايرشكيجال) حيث اراد الالهة ذات يوم ان يقيموا مادبة على شرف الالهة الاخرى، وبما ان النواميس الالهية لاتسمح للالهة ايرشكيجال الهة العالم الاسفل بالصعود الى السماء من ارض اللاعودة لحضور المادبة وبالمقابل لايسمح للالهة بالانحدار الى هذا العالم، وعلى هذا الاساس فقد امر الاله آنو رسوله (كاكا) لابلاغ رسالة الى ايرشكيجال بان تبعث له برسولها لياخذ حصتها من المائدة فاستجابت الالهة وارسلت ايرشكيجال رسولها نمتار(مقدر الاقدار) ان يصعد الى العلا، الى سماوات آنو لكي يجلب حصتها من

المائدة، وحين وصل الى (الصالة التي كان الالهة فيها) جميع الالهة ركعوا امامه ماعدا الاله نرجال الذي لم يلتزم بالتقاليد وبقي جالسا في مكانه غير مكترث بممثل ملكة العالم الاسفل،وعندما عاد الرسول اخبر سيدته بما حدث حيث اعتبر ذلك اهانة لالهة العالم الاسفل فامرته ان يحضر الاله نرجال امامها فصدر الامر الالهي من قبل الاله ايا بان نرجال مذنب ويجب ان يسافر الى العالم الاسفل، ثم تاتي الاسطورة على ذكر وصايا ايا اله الحكمة لابنه نرجال وهو على وشك النزول مكرها الى عالم الاموات واوصاه:

حذر نرجال من الجلوس على الكرسي

وحذره من اكل الخبز الذي يجلبه الطباخون

ومن تناول اللحم الذي يجلبه القصابون

ومن شرب الجعة الذي يجلبه صانعوا الجعة

وحذره من غسل رجليه في المغسل

واوصاه في النهاية ان يحرص على تجاهل كل اغراءات ايرشكيجال:

هي ذاتها ستدخل للسبح

ستكون لابسة ثوبا شفافا

هي ذاتها ستكشف لك عن جسمها

اما انت، فما يجري بين رجل وامراة، لاتظهر رجولتك (علي، فاضل 1997 ص135-146، لابات 1988 ص107-121).

الاله آنو يقدم مائدة الى آدابا:

كان آدابا اول الحكماء السبعة في الفترة السابقة للطوفان والذين ارسلهم الاله ايا الى الجنس البشري لاعطائهم الحضارة وليعلموهم مباديء التحضر الانساني، وقد جعل الاله ايا من آدابا نموذجا مثلا للانسان، فهو رجل تقي يخشى الالهة ويقدم لها القرابين باستمرار، وكان محبا للناس يساعدهم في اعمالهم ويساهم في توفير الطعام والشراب لسكان مدينته، ولكن آدابا(الحكيم الاول) اغضب الالهة عندما تحداها بعمله المتهور بكسر جناح الريح دون خوف او تراجع، ولما علم آنواله السماء بالحادث طلب احضار آدابا امامه، فلاذ باله الحكمة يساله النصيحة،

فكانت نصيحة ايا له ان يتظاهر بالحزن الشديد عند صعوده الى السماء وان يمتنع عن تناول الماء والخبز المقدم له، وكنتيجة لاعجاب الاله آنو بشخصيته اراد ان يكافيء آدابا باعطائه خبز الحياة وماء الحياة لكي ينعم عليه بالخلود، اذ قال آنو:

احضروا له خبز الحياة (الابدية) لكنه لم ياكل

احضروا له ماء الحياة (الابدية) لكنه لم يشرب

احضروا له رداء، فارتداه بنفسه

احضروا له زيتا، فمسح نفسه به

وكان آنو يراقبه،فضحك منه وقال

تعال يا آدابا لماذا لم تاكل؟ ولماذا لم تشرب

الم تكن تريد الخلود، وا اسفاه على اناس مسحوقين (علي، فاضل 1997 ص240-242)

احتفال الاله انكي بتشييد معبد E – engurra في نفر:

كانت نفر واحدة من اشهر المراكز الدينية والثقافية في بلاد سومر ومركز لعبادة الاله انليل الذي كان بحوزته (الواح القدر) التي يتقرر بموجبها المصائر في السماء والارض، ولذلك فقد حرص آلهة المدن السومرية الاخرى على ان يحصلوا على بركات هذا الاله من خلال زيارتهم الخاصة الى مدينة نفر اما لاقامة المآدب الكبرى على شرفه او لتقديم الهدايا النفيسة له (علي، فاضل 1997 ص96-97)، فيقوم انكي برحلة في قاربه الى مدينة نفر(رحلة انكي الى نيبور) محتفلا بتشييد معبده المسمى (اي – انكورا E-engurra) متمنيا ان يحصل على رضا واستحسان الاله انليل، ويقيم وليمة كبرى على شرف الاله انليل وبقية الالهة الاخرى الذين دعيوا الى الوليمة وهم: آن، ننتو، الانونا (اولاد آن) حيث قدم فيها المزيد من الطعام والشراب وبعد ان احتفل الالهة واكلوا حتى (طابت قلوبهم) اخذ انليل يدعو بالبركة لمدينة اريدو ومعبدها آبسو، ويبدو من خلال النص ان هناك ترتيبات خاصة بكيفية الجلوس مرتكزة على العناصر الاجتماعية لمراتب الضيوف:

في مزار نيبور، انكي

اعد مادبة لابيه انليل

وجلس في مكان الشرف

كان انليل بجوار آن

جلست ننتو في الجانب الكبير (من المائدة)

الانونا اجلسوا انفسهم في اماكنهم

الخدم اعطوهم البيرة للشرب، البيرة المحلاة الممتازة

كومت الصواني (مع الطعام) (Frraru and Parker ,Mishalowski , p. 19 .(1972 , p. 128

ولائم الزواج المقدس:

ميزت النصوص المسمارية بين نوعين من الزواج المقدس في بلاد الرافدين، اولهما وهو الاقدم ما يمكن تسميته بالزواج الالهي الذي يتعلق بزواج اله المدينة من الهتها وترجع اقدم الادلة الكتابية على هذا الزواج الالهي الى زمن (كوديا) في حدود 2150 ق.م امير سلالة لكش الثانية الذي يتحدث احد النصوص عن زواج ننكرسو اله مدينة لكش من الالهة باوو Bau وكذلك زواج ننار وننكال في اور وانليل وننليل في نفر ودموزي واناانا في بادتبيرا وانكي ودومكالينا في اريدو (Van Buren, 1944, p. 3-4). وثانيهما هو صورة تقليدية للاول ويسمى بالزواج المقدس، وفي هذا الزواج الاخير كان الملك يقوم بدور الزوج الاله بينما تقوم الكاهنة بدور الزوجة الالهة (علي، فاضل 1999 ص 19) وكان هذا الزواج معروفا في زمن انميركار 2750 ق.م ثاني ملوك سلالة الوركاء الاولى ولم يتخد شكلا واضحا الا في زمن دموزي 2700 ق، م رابع ملوك نفس السلالة (علي، فاضل 1986 ص148). وفي العصر الاشوري الحديث (الالف الاول ق.م) مثل الزواج رمزيا في الادب القديم في اشارة الى زواج الملك –الكاهنة اثناء طقوس السنة الجديدة عندما حلت مشاركة البشر محل العبادة الالهية حيث اعتقد ان محاكات تصرف البشر في كل الطرق الاخرى مثل الاكل والشرب وكذلك الحال يشمل الزواج، ففي رسالة من العصر الاشوري الحديث تناقش الزواج المقدس بين الاله نابو وتشميتو في اليوم الرابع من Agaru (ويقع بين نيسان وايار) في بورسيبا، وفي اليوم الرابع من المساء يدخل نابو وقرينته غرفة النوم، وفي اليوم الخامس يقدمان وليمة ملكية، ومنذ ذلك اليوم والى اليوم العاشر يجدانهما في غرفة النوم، وفي اليوم

الحادي عشر يغادر نابو المعبد لكي (يمط رجليه) ويذهب لقتل ثور بعد ذلك يعود الى مقر اقامته (Bidmead, 2002, p. 104).

ويجرى الاحتفال بطقوس الزواج المقدس في ايام معينة من السنة ويعتمد اختيار هذه الايام على قراءة الطالع والفال الحسن، ويتضح من النصوص المسمارية من زمن الملك شولكي ان الزواج المقدس كان يقع في يوم راس السنة يوم الطقوس، وان الملك يقوم في ذلك اليوم (يوم القمر الجديد ويوم راس السنة) بتادية الطقوس والمراسيم، ويظهر من ذلك ان الزواج المقدس كان المحور الاساس الذي يدور حوله عيد راس السنة في خلال الالف الثالث والنصف الاول من الالف الثاني ق.م، ولكن بمرور الزمن فقد تداخل الزواج المقدس مع طقوس واحتفالات دينية اخرى وصار في الالف الاول ق.م جزء من (الاكيتو) أي اعياد راس السنة والتي كانت تستمر احد عشر يوما (ساكس، 1979 ص 444436-).

وقد زودتنا النصوص المسمارية بتفصيلات عن الخطوات المتبعة في عملية الزواج المقدس منها اعداد المخدع الخاص بالزواج والذي كان يجري عادة في الجناح الملحق بالمعبد ويعرف بالسومرية (أي-كيبار او كيبارو) وكان هذا الجزء من المعبد مخصص عادة لسكنى الكاهنة العظمى او الكاهن الاعظم، ثم يتبع ذلك تهيئة السرير من خشب الارز المطعم باللازورد والفراش الوفير والاغطية الجذابة، والقيام بعملية التطهير الطقوسي ودهنه بزيت السدر العطر الرائحة وكذلك الارض المحيطة به واحاطة السرير بغطاء يفصله عن باقي المكان حيث يجد الملك وزوجته الالهية الراحة التامة (Reisman, 1973, p. 175-169). وبالمقابل تقوم العروس بالاستعداد لهذا الحدث فتبدأ بالاستحمام بالصابون في الحوض المقدس الذي كان يشكل واحدا من الشعائر المهمة في الزواج المقدس ويجري بواسطة الماء المحفوظ في المعبد او في النهر مباشرة ويهدف (الاستحمام) الى غرضين، الاول استعادة طقوس الطهارة وهي من الواجبات الطقسية في كل عمل ديني، والثاني هو استرداد عذرية الالهة، كما تقوم العروس بتزيين نفسها وتعطير جسمها وتسرح شعرها وتكحل عينها وتدهن شفتيها وتلبس سوار من الفضة في معصمها وتطوق جيدها بقلادة جميلة (Kramer, 1969, p. 97) وترتدي بدلة العرس التي صممت ووضعت بمهارة عالية وذات الوان جميلة فضلا عن التاج المصنوع من الذهب والمرصع بالاحجار الكريمة (Van Buren, 1948, p. 9).

وتجلس العروس تنتظر عريسها ولحظة دخول العريس تعزف الموسيقى من قبل جوق من الموسيقيين والمغنين حتى وصول العريسين الى مخدع الزوجية حيث (السرير المثمر) في معبد (أي- انا) عندها يقوم كهنة الطقس الذين يعرفون (بلابسي الكتان) بالاعلان عن مقدم دموزي الذي كان يجلس امام طاولة عليها طعام وشراب حيث يتبادل العروسان الانخاب من اجل ان يبتهج قلبه ويفرح على حد تعبير النص، وبعد ذلك يدعو الكهنة دموزي للاقتراب من انانا في حرمها (كيور) (kiur) (Kramer, 1969, p. 80-97).

بعد تبادل الانخاب بين العروسين تبادر العروس بترديد اغنية عاطفية تتضمن دعوة سافرة الى (الوصال الجنسي) حيث تبدي العروس فرحها بلقاء عريسها وتدعوه بان يبادلها الحب، وبعد مضاجعة الملك للعروس تقدر هذه العروس بصفتها ممثلة للالهة انانا/عشتار مصائر البلاد واقدارها واحلال الخصب والخير والبركة فيها وهذا هو الغرض الاساسي التي كانت تقام من اجله تلك الشعائر (باقر 1976، ص 192187-).وتعد وليمة خاصة في قاعة الاستقبال في القصر احتفالا باول صباح يطل على الزوجين الالهين، اذ يرد في النص:

من اجل القرابين المقدسة، من اجل الطقوس الراسخة

من اجل قرابين الخبز الوفير

يعانق زوجته الحبيبة ويعانق انانا المقدسة

عرض امامها الكثرة والفرحة والوفرة

اعد لها وليمة فاخرة (كريمر 1979 ص98)

مأدبة بيت اكيتو(بيت الحفلات والولائم):

لايعتبر بيت اكيتو معبدا بالمفهوم المتعارف عليه اذ لا نجد فيه ما يحتويه المعبد من دكة للقرابين او محراب يوضع فيه تمثال الاله، ويمكن اعتبار بناية الاكيتو بيتا ذا وظيفة دينية محددة وخاصة بالاحتفال الذي يقام في راس السنة ومناسبة لاقامة شعائر الزواج المقدس، وعندما اعاد نبوخذنصر بناء بيت اكيتو التابع للاله مردوخ دعي باسم Esiskur اي (بيت القرابين) وقد احتوى البناء على صومعة cella ضخمة ربما كانت تقوم مقام قاعة الولائم (Bidmead , p. 116).

ومن الطقوس التي كانت تجري في بيت اكيتو في مساء اليوم العاشر وليلة الحادي عشر من السنة الجديدة هو اقامة وليمة كبرى على شرف الالهة، يامر الملك باقامتها وترتبط هذه الوليمة بتعظيم الاله الرئيس (انتصار مردوك على تيامات) حيث كانت البلاد باجمعها تحتفل بعيد راس السنة الجديدة حيث كانت تقرر مصائر البشر، كما تجتمع الالهة امام الاله مردوخ الذي كان يجلس على مائدة من الذهب والالهة واقفة امامه حانية الراس خائفة منتظرة ما سيقوله مردوخ عن مصير كل منها في هذه السنة الجديدة (ما تفيف وسازونوف ص132).

وقد ورد ذكر الوليمة في كتابات الملك سنحاريب الذي يشير الى اقامة وليمة kiritum (CDA,p. 160)على شرف الاله آشور لهذه المناسبة، ويدعى الى الوليمة الالهة المكشاركة في الاحتفال كافة، اذ تبدأ تلاوة الادعية الموجهة الى الالهة راجين منها ان تحفظ الملك والبلاد والشعب، وهذه الطقوس تشبه ما يسمى (تاكلتو takultu)(CDA,p. 395) والتي تعني الوليمة التعبدية للملك في المعبد لان مناسبة السنة الجديدة هي واحدة من المناسبات الاكثر ملاءمة لاقامة مثل هذه الشعيرة، فقد كان الطعام والشراب يقدمان بوفرة وبذخ، ونحن نقرا في الترجمة الاشورية الحديثة لملحمة جلجامش وصفا مقاربا للاحتفالات التي كانت تقام في عيد راس السنة الجديدة (اكيتو):

نحرت البقر وطبختها للناس

ونحرت الاغنام كل لايوم

وقدمت عصير الكرم والخمر الاحمر والابيض والسمن

الى الصناع ليشربوها بكثرة كماء النهر

ليقيموا الاعياد كما في ايام عيد راس السنة (باقر 1980 ص154)

الناس تستظيف الالهة انانا:

جاءت هذه المادبة في نص ادبي عنوانه (ترتيلة انانا الى ادن داكان – اغنية المحارب الى انانا)، وتتكون الترتيلة من عشرة مقاطع مختلفة الاحجام، ويتضمن المقطع الثامن وصفا كاملا لما قام به الناس من اجل انانا حيث قدموا لها الاطعمة والبيرة والهبات:

عملوا الهبات لها، كدسوا البخور مثل الارز الحلو الرائحة

اغنام لطيفة ذات شعر طويل، اغنام سمينة قدمت لها

دهن وتمر وجبن وفواكه من كل الانواع

صبوا بيرة سوداء لها

صبوا بيرة خفيفة لها

مزج العسل مع الدهن

عملوا خبز gug وعصير التمر لها

بيرة عند الفجر، طحين، طحين في العسل

صبوا لها العسل، والخمر عند غروب الشمس

الاله والرجل يذهبان اليها بالطعام والشراب

نظرت سيدتي اليهم بطريقة صحيحة من منتصف السماء

يمشون امام انانا الطاهرة

العذراء، انا سوف امدحها (Reisman,1973 , p. 188-190)

الالهة تامر الملك باقامة وليمة:

نص ادبي مستنبط من الوحي الالهي oracular يرينا كيف ان الالهة تستظيف الناس وذلك من خلال حلم نبوئي يخص الملك آشوربانيبال يعود تاريخه الى عام 648 ق.م، اذ بعد ان قدم الملك صلاته ظهرت الالهة عشتار الى واحد من خدام الملك واكدت للخادم ان آشوربانيبال سوف ينجح بحملته ضد (تيومان) ملك عيلام، وقد تحدثت الالهة عشتار الى الملك من خلال الرائي: (يجب عليك البقاء هنا، حيث مسكن نابو، تناول الطعام واشرب الخمر، جهز الموسيقى وامدح الوهيتي بينما انا ذاهب لافعل ذلك العمل من اجل ان يمكنك من تحقيق رغبة قلبك)، وهناك نص مشابه من الوحي الالهي حيث استلم الملك اسرحدون تاكيدا نبوئيا بالنجاح: (طعام جيد سوف تاكل، ماء جيد سوف تشرب،سوف تكون مرتاح في قصرك، ابنك، حفيدك سوف يمارسان القوة الملكية على ركبة الاله ننورتا) (ANET , p. 450).

وليمة بطل الطوفان:

كانت رواية الطوفان من الاحداث التي شغلت مكانا بارزا في ادب حضارة بلاد الرافدين ومآثرها التاريخية، وقد اكتشفت جملة نصوص ادبية عن الطوفان في سجلات العراق القديم منها نصوص سومرية واخرى بابلية (ملحة زيوسدرا، قصة اتراحاسيس، وقصة الطوفان التي عثر عليها في اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش وبطلها اوتونبشتم).

فعندما يكمل اوتونبشتم بناء السفينة ذات السبعة اقسام (طوابق) يقيم وليمة الى الصناع، حيث جاء في النص:

(ثم) نحرت البقر وطبختها للناس

وقدمت عصير الكرم والخمر الاحمر والابيض والسمن

الى الصناع ليشربوها بكثرة كماء النهر

ليقيموا الاعياد كما في ايام عيد راس السنة

ومسحت يدي بسمن الزيت (باقر 1980 ص154)

وعندما هدأ الطوفان وخفت حدته يسكب الماء المقدس وينصب القدور ليعد الطعام قربانا للالهة وتكفيرا عن الذنوب، ويجتمع الالهة حول رجل الطوفان ليسمعوا ما حل بالبشر، ويقول اوتونبشتم عن ذلك:

وعند ذلك اخرجت كل ما في السفينة الى الرياح الاربعة

وقربت قربانا

وسكبت الماء المقدس على زقورة (قمة) الجبل

ونصبت سبعة وسبعة قدور للقرابين

وكدست اسفلها القصب وخشب الارز والاس

فتنسم الالهة شذاها

اجل تنسم الالهة عرفها الطيب

فتجمع الالهة على صاحب القربان كانهم الذباب (باقر 1980 ص159-160)

ولائم الملوك.. ولائم الارض:

وكان على الملك واجب ديني ووطني هو توفير الطعام لشعبه حيث يخبرنا الملك أدن – داكان 1974–1954 ق.م الملك الثالث لسلالة ايسن الاولى ، بان الاله انليل عهد اليه بمهمة تزويد الناس بالطعام الفاخر مما جعله يستحق لقب (مطعم اور) ويقول ايضا انه وفر لهم الماء العذب (الاحمد، سامي 1988 ص186)، انه واجب الضيافة الذي يمثل قانون الحياة والعيش، وهذا بحد ذاته له معاني ودلالة عميقة، فالطعام والشراب هما القاعدة الاكثر احتياجا لكل المخلوقات البشرية وهو شائع لكل الذين يعيشون على الارض.

كان الملك يظهر نفسه للسكان بالمناسبات الخاصة والتي من خلالها كان يلعب دور القائد والراعي للبلاد، ويستظيف الملوك ضيوفهم ويقيمون المآدب ليلا، وتمتاز هذه الولائم بترف كبير بسبب المشاعل الثمينة والمصابيح الزيتية التي تضيء الاحتفال، وكان ضيوف الولائم الرسمية يخضعون لتراتب هرمي صارم ويجلسون في اماكن مخصصة لكل منهم بحسب الوظيفة او الاصل العرقي او المكانة في البلاط، وكانت النساء تحضر احيانا الموائد وتجلس على المقاعد او في الكراسي، وفي الالفية الاولى ق.م صار الرجال والاثرياء يضطجعون على الارض (كوفمان ص73).

وكان الملك الاشوري يتوج انتصاره على اعدائه باقامة احتفالات على شكل ولائم يتم فيها تناول الاطعمة الفاخرة واحتساء الشراب نخب النصر تحت انغام الموسيقى والغناء، ويدعو اليها الامراء والقادة العسكريين وكبار الكهنة وافراد من حاشيته واحتمال بعض الحكام الذين اشتركت رعاياهم في القتال (يوحنا،كوركيس 1999 ص84). كما تصور الاختام والمنحوتات مراسيم تقديم الطعام للملك، حيث تبدأ الوجبة بان يصب العبد ماء على ايدي متناول الطعام وبعد ذلك يجلس الحاضرون حول المائدة ويوضع الطعام في اغلب الاحيان في وعاء كبير واحد وياخذ منه كل فرد مايحتاجه من الطعام، وكانت المنتجات النباتية تشكل جانبا مهما من تلك الوجبات فضلا عن اللحوم التي كانت تعد من المواد الاعتيادية التي تتضمنها اطعمة الملوك والاغنياء، ويبدو انه بعد الانتهاء من تناول الوجبة يمسح الشخص فمه بمناديل خاصة توضع لهذا الغرض تماما كما هو الاسلوب المتبع في

الوقت الحاضر ومن ثم يصب شخص آخر الماء على الايدي لغسلها وتنظيفها مرة ثانية (ساكس 2000 ص60-63).

لوكال بندا يعد طعاما للالهة:

لوكال بندا هو ابن الملك البطل (انمركار) ملك اوروك الذي طلب من والده ان يسافر الى ارتا ليقطع الجبال السبعة التي تفصل بين اوروك وارتا، حيث اشتد عليه المرض واشرف على الموت، وقرر اتباعه ان يتركوا معه طعاما وشرابا وافرا وسلاحا ويذهبون هم الى ارتا، فتضرع لوكال بندا الى اله الشمس (اوتو) الذي وهبه طعام الحياة وماء الحياة فعادت صحته وعافيته ونهض وحيدا في البراري باكل الاعشاب ويصطاد الحيوان الوحشي وتحول الى بطل لايضاهيه احد. وذات يوم حلم بان شخصا يشبه الشمس يامره ان ياخذ سلاحه ويصطاد ثورا وحشيا فيقتله ويقربه الى اوتو المشرق وان يذبح جديا ويسكب دمه في خندق ويريق دهنه في السهل، ففعل ما رآه واعد طعاما وفيرا للاله (آن وانليل وانكي وننخرساج) وحين انتهى من ذلك توجه الى الاله اوتو و انانا وسجد لهما وسبح باسمهما باسم الكواكب السبعة التي تنير العالم فرقت الالهة لهذا العبد البطل وقررت ان يرجع الى بلاده اوروك (الماجدي، انجيل سومر ص202-204).

الملك شولكي يحتفل مع الشعب والالهة:

جاء ذلك في ترتيلة سومرية (ترتيلة الملك شولكي) في تمجيد الذات على لسان شولكي الملك الثاني في سلالة اور الثالثة 2095-2048 ق.م يمجد فيها شولكي قوته الجسدية وحكمته الواسعة وصلته الحميمة بالالهة وحبه للعدل:

احتفلت بعيد (أش-أش eses) في كل من نيبور واور في يوم واحد

ومع اخي ورفيقي البطل اوتو (اله الشمس)

شربت جعة في القصر الذي شيده آن (اله السماء)

فغنى لي المغنون تصاحبهم سبعة طبول تيكي tigi

وجلست زوجتي انانا المقدسة، السيدة فرحة السماء والارض معي الى المائدة (علي، فاضل 1997 ص292-297)

وليمة الملك زمري ليم:

وياتي وصف لوليمة اقامها الملك زمري ليم 1778 – 1761 ق.م في قصره بمدينة ماري (تل الحريري في سوريا)، فكانت الوجبة تبدأ باصدار الاوامر الى موظفي القصر بالتحضيرات الواجبة للمناسبة، فتوضع على المائدة كؤوس ذهبية وفضية بعضها بشكل رؤوس حيوانات مثل الثيران والغزلان والوعول التي تثبت على محامل مزخرفة، ويجلب حامل العرش كرسي الملك ومسنده ومن ثم تدخل الحاشية الملكية ليتخذ كل مكانه على الكرسي حول المائدة وكان الخدم والعبيد يقومون بخدمة الزوار فيغسلون اقدامهم ويمسحونها بزيوت معطرة وبعدها يجلب الخدم صواني من خشب الصندل وخشب الفستق المثقلة بالطعام والتي تحتوي على لحوم الضان والغزلان والبقر وارغفة خبز من عدة انواع واشكال ومعجنات مصنوعة بالعسل والتمر، ويظهر اناء خشبي مليء بالفواكه من عنب وكمثري ورمان وتفاح فضلا عن آنية صغيرة اخرى من البرونز والفضة فيها الفستق، كما كانت تعد اطباق دائرية متعددة لتزيين المائدة وكانت توضع امام كل ضيف ملعقة خاصة مصنوعة من العاج او الخشب (Olmstead,1975,p. 324).

مأدبة اشكور – عدو ملك كارانا:

انها مادبة خيالية اقيمت في مساء يوم صيف دافئ في ساحة النخيل في القصر في ماري، اذ ان ملك كارانا اشكور – عدو قادم لتناول الطعام مع الملك زمري ليم، وقد صدرت الاوامر الى (موكانيشوم) الذي يقيم الاستعدادات المناسبة ويخرج من الخزائن عرشا من الفضة عالي الظهر ومائدة فضة متقنة الصنع (كانيشاركوم) صف عليها كؤوس من الذهب والفضة بعضها على شكل رؤوس حيوانات (ثور وغزال ووعل) موضوعة على مناصب راقية الزخرفة ومنصب الملك من الفضة المزخرفة برؤوس اسود وقرون ايائل ومناصب الرجال الادنى من العاج المرصع برقائق الذهب او الفضة، وان نفح طيب الابواب المصنوعة من الارز يهب نحو الساحة وكانت نجوم الفضة التي ترصعها تتلألآ في خلفيتها.

ويجلب حامل العرش كرسي ومسند القدمين المرصع بعرق اللوءلوء، وتدخل الجماعة الملكية وتجلس، وحين يتملى الضيوف باعجاب الثيران المجنحة الواثبة

والمخلوقات الخرافية الاخرى التي تزين الجدران يدخل الخدم لغسل ارجل الضيوف ومسحها بالزيوت المعطرة ويجلب القائمون على رعاية المائدة صواني من خشب الصندل والفستق المتلئة بالطعام، قطع ممتازة من لحم الغنم والطرائد والغزال والبقر حيوانات مسمنة خصيصة لمائدة الملك وحلويات متبلة من البقوليات وارغفة خبز من انواع واشكال كثيرة وكعك مصنوع بالعسل والجوز والتمر، وثمة وعاء خشبي ضخم مكدس بالفواكه الطرية الكثيرة العصارة، واوعية صغيرة من البرونز الصقيل وصحون طعام دائرية منقوشة بانواع كثيرة من الاشكال وضعت لتزيين المائدة ولكل طبق ملعقة من عاج او خشب وزهرة فواحة لتبهج حواسه. ويوزع الساقي الكؤوس الثمينة ويملوءها بالخمر المثلج، وثمة كأس ثقيلة للغاية من الذهب الاحمر مملوءة بافضل الخمر من كركميش يرفعها الملك الى شفتيه اشارة للضيوف انه بوسعهم ان يبدأوا المأدبة، وتغني القيان بصوت رقيق بمصاحبة القيثارة والعود، ويلبس كل عضو من اعضاء البطانة الملكية ومعهم الضيوف افضل الثياب التي يمكن للمشغل ان ينتجها جلدية الصنع وتلبس لاول مرة وهي ذات حواش موشاة واهداب، ويقوم قوم بامتاع من في المأدبة جماعة من البهلوانيين والمصارعين ودب من شرق ايران يؤدي حركات تمثيلية ممتعة (دالي 2008 ص147-149).

احتفال كوديا ببناء معبد E – ninnu:

يحتفل الملك كوديا باعادة بناء معبد (اينينو) للاله ننكرسو في لكش من اجل الترحيب بعودة الاله ننكرسو من عند الاله انكي الى اريدو، وقد اقام كوديا وليمة على شرف الاله ننكرسو ودعى اليها الالهة (آن، انليل، ننماخ) وقد اجلسهم في اماكن الشرف لاجل ننكرسو:

انه كوديا الذي اقام وليمة جميلة

وجلس على الجانب الكبير

بجوار آن كان انليل

وبجوار انليل كان ننماخ (Frarru and Parker , p. 128-129)

مشهد وليمة راية اور:

اقيمت هذه الوليمة بمناسبة الاحتفال بالنصر الملكي في الحرب، حيث يستظيف الحاكم (الذي نفذ بشكل مميز وجسم كبير وهو يجلس في القمة ويرتدي تنورة متعددة الاهداب)، يقابله ستة ضيوف بنفس الحجم، وهناك عازف القيثارة والمغني يقومون بتسلية المدوين، وقد طعمت راية اور التي يعود تاريخها الى منتصف الالف الثالث ق.م بالازورد والاصداف، ويصور المشهد (ثور واغنام وماعز وحمير وحزم من الاسماك واحد الرجال يحمل جدي على ذراعيه) والخدم يحملون احمال ثقيلة من التقدمات والبضائع على ظهورهم واكتافهم، ويسير الموكب نحو قاعة الوليمة من اجل عرض البضائع امام الملك.

المادبة السرجونية في كانيش:

وردت هذه الوليمة في نص رقيم من (كول تبة) لترجمة آشورية قديمة للاساطير حول سرجون، وقد وجد هذا الرقيم وربما كتب ايضا في الاناضول مع جماعة من التجار الاشوريين الذين كانوا يعيشون خارج الحدود في (كانيش) في بيت تاجر اعتيادي يدعى Ah – salim وهو يلمح الى اسطورة سرجون ملك المعركة في الاناضول ويشير كذلك الى المستعمرة في الاناضول:

الملك سرجون، ملك مدينة اكد، الملك القوي الذي يتجاوب مع الالهة

ادد اعطاه القوة من مشرق الشمس الى مغربها فاخذ ملوكية الارض

وفي يوم واحد حررت معركة الى (70) مدينة

اسرت امرائهم وحطمت مدنهم

اقسمت بالاله ادد سيد القوة، عشتار سيدة المعركة

انا اقسمت بالاله ادد وعشتار، 1000 ثور و 6000 خروف تعودت ان اذبح كل يوم

7000 من ابطالي الذين اعتادوا ان ياكلوا شرائح الاضلاع كل يوم (لحم جيد جدا)

3000 من العدائين التابعين لي اعتادوا ان ياكلوا شرائح لحم خاصرة البقر (نوعية جيدة بل الاحسن)

1000 من سقاتي الذين اعتادوا ان ياكلوا مخ الساق كل يوم (طعام درجة اولى)

الى حد الاشباع

قائدي دعى (كل هولاء)

وهكذا ابطالي ال 7000 اكلوا شرائح الاضلاع

ولكن لم يكن هناك لحم كفاية من شرائح الاضلاع للرجل الاخير

وعليه فقد ذبح ثوره وثمانية خرفان العائدين الى عرشه

واعطى لحم شريحة الاضلاع للرجل الاخير

لكن طباخي سفح (حرق) المخ

وعليه فان عقوبته ان يذبح 100 ثور و200 خروف

وعليه ان يطعم جنودي (Alster and Oshma 2007 , p. 10 – 11)

وليمة مردوخ بلادان:

يقول مردوخ بلادان عن الوليمة التي اقامها في قصره ما نصه (كل الالهة الاشورية اجتمعوا في القصر) وقدمت لهم هدايا عظيمة واضاحي بمناسبة تكريس القصر، كل رؤساء المواطنين الاشوريين اشبعوا ومسحوا بالزيت وغمرت قلوبهم بالخمر والمرح، والخدم ظهروا يحملون الطعام للوليمة، في مكان الشر ولد الاناناس (ربما كان ذلك يعني تبخير المكان)، تمور ناضجة ملتصقة باغصانها، سلال مسطحة تحوي على الرمان والتفاح، الارانب البرية والحجلان شاركوا اللحم على الموائد، الجراد المجفف وجد موضوعا على السيخ ، وكما كان دائما معيار قياسي من النظام الغذائي في الشرق حيث كانت التحلية تميز بسلال اخرى من الرمان على الموائد السفلى وكل واحدة تحمل من قبل رجلين على اكتافهم باكوام من التمور والتين والاعناب وسلال من اللحم المحلى، خمسة عشر جرة ملئت افواهها بالزهور قدمت في الوليمة (Olmestead,1975,p. 324).

الوليمة الملكية للملك آشور ناصر بال الثاني (مسلة الوليمة):

كان الملك الاشوري يتوج انتصاره على اعدائه باقامة احتفالات على شكل ولائم يتم فيها تناول الاطعمة الفاخرة واحتساء الشراب نخب النصر تحت انغام الموسيقى والغناء ويدعو اليها الامراء والقادة وكبار الكهنة وافراد من الحاشية مع

بعض الحكام الذين اشتركت رعاياهم في القتال (كوركيس 1999 ص84)، ففي زمن آشور ناصر بال الثاني اقيمت تلك الاحتفالات برعايته حيث اشترك فعليا في مأدبة احتساء الشراب (مورتكارت 1975 ص376).

وقد دونت المعلومات الخاصة بالوليمة على المسلة الصفراء (مسلة الوليمة) التي اقامها الملك آشور ناصر بال الثاني 883–859 ق.م، فضلا عن عن احصاءات الملك حول نشاطه كبناء وعن الحدائق الملكية ورياضة الصيد التي كان يمارسها وتاسيسه حديقة حيوانات واخيرا وصف كبير للمهرجانات التي صاحبت افتتاح القصر الجديد، كما يعطينا لاول مرة قائمة متكاملة عن الاشجار التي زرعت في البساتين الملكية قرب المدينة والتي ربما تكون برهان جيد على الامتداد القديم لقائمة الطعام الاشورية، فقد اعطى تفصيل لمواد الطعام الذي اعد لاستضافة (69/574) شخص خلال الايام العشرة للاحتفالات بمناسبة الاحتفال الرسمي للقصر في 879 ق.م، وان غالبية الضيوف كانوا بلا شك هؤلاء العمال من النساء والرجال الذين كانوا يساعدونه ببناء مدينته (كلخو / نمرود) والبالغ عددهم 077 /47 عامل شارك معهم حوالي (5000) من كبار الموظفين الذين جاؤوا كوفود من الاقاليم، و (16 الف) شخص من سكان البلاد المحليين، و (1500) موظف من موظفي الادارة والقصر، وقد شملت قائمة الطعام الخاصة بالوليمة اطباق من اللحم (المواشي والاغنام والطيور والدجاج وكميات من السمك والجرابيع مع بيض متنوع باعداد كبيرة) والخبز والبيرة والخمر والمخللات والتحلية والمكسرات والحليب ومشتقاته والفواكه والخضراوات والحبوب (wiseman,1952,p. 24-32 , Laessoy,1963,p. 54).

وليمة الملك سرجون الثاني لشعبه:

يذكر نص من عهد سرجون الاشوري 721–705 ق.م عن قيام هذا الملك بواجب الضيافة تجاه شعبه اذ جاء في النص (لقد تركت اتباعي وسكان بلادي يجلسون على مائدة العيد عند الاكل والشرب) (احمد، سهيلة 1994 ص92).

وليمة الملك سنحاريب:

كان الملك الاشوري يتوج انتصاره على اعدائه باقامة احتفالات على شكل ولائم يتم فيها تناول الاطعمة الفاخرة واحتساء الشراب نخب النصر تحت انغام

الموسيقى والغناء ويدعو اليها الامراء والقادة العسكريين وكبار الكهنة وافراد من حاشيته واحتمال بعض الحكام الذين اشتركت رعاياهم في القتال، وقد اعطانا الملك سنحاريب وصفا للمادبة التي اقامها بمناسبة افتتاح قصره في نينوى حيث يقول ((عند انتهاء العمل في قصري دعوت آشور السيد العظيم والالهة والالهات الساكنين في بلاد آشور وقدمت اضاحي لاتعد ولاتحصى، قدمتها (لهم) هدايا(زيت الزيتون وانتخبت في الحدائق اكثر من تلك الاشجار التي حملت في البيوت الطبيعية) انا جلبتهم بكثرة في تكريس القصر، غمرت حياة الناس في ارضي بالخمر وبالمرح ففرحت قلوبهم)) (مورتكارت 1975 ص376).

وليمة الملك الاشوري اسرحدون:

عندما قام الملك اسرحدون ببناء قصره في العاصمة نينوى فضلا عن قيامه بانشاء حديقة فخمة مليئة بالنباتات الغريبة، ويصف الملك الولائم الضخمة التي اقيمت احتفالا ببناء هذا القصر والتي دعى اليها الالهة والنبلاء وحتى الناس العاديين، وكما جاء في النص:

ولقد دعوت اليه آشور وعشتار نينوى وكل الالهة العظيمة الاخرى في آشور، وقد عملت قبلها باسراف اضاحي من الحيوانات المطهرة (حسب الطقوس) وعرضتها كهدايا، ومن ثم منحتني هذه الالهة بركاتها باخلاص على حكمي الملكي، ولقد جعلت النبلاء وايضا كل الناس العاديين في بلدي يجلسون في مادبة مفرحة لوجبة طقسية مهيبة لياكلوا كل ما يرضي قلوبهم، ولقد ملئت بطونهم بالخمر وجعة (كوروموkurumu) وبللت رؤوسهم بالزيت الطيب، وبامر آشور ملك الالهة وآلهة آشور جميعهم لاحيا طويلا فيه بصحة جيدة وبقلب راضي وبروح سعيدة وابقى الى ان يصبح عمري طويلا (Luckenbill,Vol.11,p.270 No 700).

وليمة الملك آشوربانيبال (وليمة الحديقة):

مشهد بالنحت البارز عرف بـ(حفلة الحديقة) في قصر الملك آشوربانيبال في دورشروكين / خورسباد حيث نشاهد الملك آشوربانيبال يحمل بيده الكأس، تقابله الملكة Ashursharart تجلس على كرسي وبيدها الكاس ايضا وهم يحتفلون بمناسبة الانتصار على الملك العيلامي(Teumman) في سنة 653ق.م،

صورت الطيور بين اشجار النخيل والكروم، والخدم يستعملون مروحة من ريش النعامة لتهوية الملك وفي نفس الوقت يحمل الخدم صواني الطعام والموسيقي يعزف على القيثارة حيث يستمتع الملك والملكة بشرب البيرة وتناول الطعام (Bertman , p. 115).

وليمة الزفاف:

زودتنا النصوص الادبية الخاصة بالزواج المقدس بتفصيلات عن حفلة الزفاف التي كانت تجري بين (دموزي واناانا) فقد جاء في النص ان العروس كانت تجلس تنتظر عريسها، ولحظة دخول العريس تعزف الموسيقى من قبل جوق الموسيقيين والمغنين حتى وصول العريسين الى مخدع الزوجية حيث (السرير المثمر) عندها يقوم كهنة يلبسون الكتان بالاعلان عن مقدم دموزي العريس الذي كان يجلس امام طاولة عليها طعام وشراب حيث يتبادل العروسان الانخاب من اجل ان يبتهج قلبه ويفرح على حد تعبير النص (Kramer,1969,p.80-97). وهناك قصيدة تذكر تفاصيل هدايا العرس التي قدمها دموزي الى اناانا عندما ترسل الاخيرة رسولا الى الراعي دموزي ليحدد الزواج وهدايا العرس:

لعله يستطيع ان يجهز الزبدة والحليب

لعله يستطيع ان يوفر لي العسل والخمر

لعله يتطيع ان يوفر لي الطيور الممتازة

لعله يستطيع ان يوفر لي سمك الشبوط (Jacobsen,1987,p. 19-21)

كانت تقام وليمة يوم الزفاف تعرف بالاكدية Kirkum تقدم فيها الماكولات التي جلبها العريس الى بيت العروس وكان يشارك في هذه الوليمة اصدقاء العروسين واقربائهما (Greenqas,1960,p.62).

الولائم الجنائزية:

كان العراقيون القدماء يسكبون الزيوت والعطور على الموتى اثناء دفنهم وكذلك اقامة ولائم خاصة بآلهة الموت تقام في اوقات معينة لنيل بركتها ورضاها عن الاحياء وتجنب غضبها (موسى،مريم 1996 ص122) وهذا ما هو واضح في

احد الترانيم الدينية السومرية العائدة الى شولكي ثاني ملوك سلالة اور الثالثة والتي يرد فيها (انا الذي اقام الولائم الجنائزية للالهة)(حنون 1978 ص276).

وعرفت الولائم التي تقدم الى الموتى بالمصطلح الاكدي (كسبومKispum) والتي تشير عموما الى التقدمات الجنائزية وكان في الاساس طعاما يمثل احدى وجبات الترابط الاجتماعي عندما كان يتناوله اعضاء الاسرة مجتمعين في بعض المناسبات ويشتمل على انواع مختلفة من الطعام والشراب والفاكهة حيث تذبح الخراف وتقدم الزيوت والنبيذ والجعة والملح، وتهيء هذه الوليمة على طاولة تحيط بها مقاعد يجلس حولها المدعوون ويبقى المقعد الخاص الذي يمثل شبح الميت الذي لاجله اقيمت الوليمة خاليا ويعرف هذا المقعد بـ(كرسي الروح) كما تقدم للموتى عن طريق تماثيلهم حيث توضع امامها في المعابد وهذا النوع من التقدمات يقام لتماثيل الملوك المتوفين (كاسان، مدام ايلينا 1975 ص328).

وقد وجد نص مكتوب على التابوت الحجري للملكة (موليسو – موكانيشات – نينوى) سيدة قصر آشور ناصر بال ملك بلاد آشور اي زوجته وابنة كبير السقات في قبور الملكات الاشوريات في نمرود نصه: (على) اي شخص (مستقبلا) ان لا يدفن محظية او سيدة قصر فيه وان لا يرفع التابوت من مكانه، ومن يرفع التابوت المعني من مكانه فعلى روحه مثل غيره من الارواح ان لا تتناول طعام الكسبو، ومن سوف يقلب اللوح الحجري الذي هو من محرمات شماش وايرش كيغال ابنة آشور – نيركا – دائيني كبير سقاة آشور ناصر بال ملك بلاد آشور، اي شخص مستقبلا يرفع عرشي من على مائدة الارواح فعلى روحه ان لا تتناول الماء او (الخبز). اي شخص مستقبلا عليه ان يغطي جثماني (يكفنني) بغطاء وان يمسحني بالزيت وان يجلب (له) خروفا كقربان وعليه ان يضع اللوح الحجري في مكانه (هذا المكان) (الدامرجي، مؤيد 1999ص8-9).

وليمة الملك اور – نمو الى آلهة العالم الاسفل:

اور – نمو (2112 – 2095) واحد من الملوك السومريين العظام الذي مات (قبل اوانه) تاركا الكثير من اعماله غير كاملة، ويعد هذا الملك واحدا من اكثر الملوك نشاطا في بناء المعابد، ومع هذا فقد قررت الالهة مصيره المبكر بالموت

وجلبه قبل اوانه الى القبر، وقد اشير الى موت هذا الملك ونزوله الى العالم الاسفل من خلال قطعة ادبية على لسان احد الشعراء القدامى الذي كان قد تاثر لوفاة هذا الملك، اذ يصف الشاعر الموكب الجنائزي ووصول الملك الى العالم الاسفل حيث يقوم بتقديم الهدايا الى الالهة السبعة ويذبح الاغنام والثيران للموتى المهمين ويقد الهدايا الى آلهة العالم الاسفل كل في قصره:

قدم مليكي الهدايا الى آلهة العالم الاسفل السبعة

الملك ذبح ثيرانا وخرافا

أقام اور – نمو وليمة فخمة

مر هو طعام العالم الاسفل، مج هو ماء العالم الاسفل (الاسود، حكمت 2008 ص167-169)

الاستنتاجات

- اعتبرت المياه اصل الوجود فارتبطت بالحياة واستمراريتها واصبحت عنوانا للتمدن الانساني، وعد العراقيون القدماء الماء حيا وليس ميتا لانه ماء الحياة، كما اعتبرت المياه مقدسة ومباركة لانها ارتبطت مع الالهة كما عد العراقيون القدماء الماء ناشرا للخير ورمزا للخصوبة، فاستخدمت المياه عنوانا للتطهير والغسل والسكب للانسان والحيوان ومكونات الطبيعة، كما استخدمت في صناعة الادوية والعلاجات الطبية، وبالنتيجة اصبحت مرتبطة بالحضارة منذ بدايتها ونشوئها واستمرت معها عبر مراحلها التطوية المختلفة، وقد ارتبط نشوء حضارة بلاد الرافدين منذ القدم بوجود النهرين الخالدين دجلة والفرات وروافدهما واليهما نسب العراق في واحد من اكثر اسمائه التاريخية التصاقا به وانسجاما معه (بلاد الرافدين) .

- وقد ادرك الانسان منذ عصور قديمة ان بقاؤه مرهون في الطبيعة بشيئين هما الغذاء والتكاثر، فبدون الغذاء لايستطيع الانسان ان يعيش وبدون التكاثر سيؤول مصيره الى الفناء، وبهذا فقد اعتمد الانسان الرافديني الحبوب لصناعة الخبز المعتمد على روح القمح وقوته المقدسة المرتبطة ايضا مع الالهة، وعلى هذا الاساس اعتبر الخبز مقدسا لانه هبة من السماء والعنصر الاساسي للغذاء لانه طعام الحياة ومصدر قوة الانسان وبه قوة سحرية، وهو وسيلة للمشاركة واحد ضروريات الضيافة لان اكل الخبز مع شخص معين معناه اتخاذه صديقا، وهو بالتالي علامة من علامات التحضر والتمدن. وقد جسد سكان بلاد الرافدين (طعام الحياة وماء الحياة) واعتبروها علامة فارقة بين الاهة والبشر وبين الحياة والموت وترمز الى مفاهيم تجسدت فيها القوة الالهية وصيغت باسلوب ادبي تعبيري من اجل ايصال رسالة الى الجنس البشري بامور تتعلق بالحياة والموت والخلود .

- كما اعتبرت المشروبات الروحية (البيرة والخمر) مصدر رئيسي للتغذية والمزاج المرتكز على ارضية الحب والمرتبط مع مظاهر الغذاء، انها الخبرة في اللذة والشهوة اضافة الى نشوة الحلو المذاق، وان الشعور بالمواجهة القوية للحياة بواسطة الغذاء يتبعه شعور بالحب بواسطة النبيذ والبيرة حيث ارتبطت المشروبات الروحية بالمتعة والتحضر والفرح،شربت من قبل الالهة والملوك الذين كانوا

يتبادلون الهدايا بالخمور المعتقة، وكانت توزع في المناسبات الهامة (المفرحة والحزينة) واعتمدت كاجور للعمل نظمتها القوانين العراقية القديمة. ويعتبر طقس سكب البيرة والخمور على الارض هو بمثابة تكريم للالهة، فضلا عن طقوس الشرب للاغراض الدينية والطبية والاجتماعية والتجارية.

– لقد وضعت حضارة بلاد الرافدين الاسس الاولى لثقافة الطعام ومراسيم الضيافة عبر الشواهد الفنية والادبية، وعندما يذكر الملك آشور ناصر بال الثاني انه لمدة عشرة ايام قدم الطعام والشراب الى ضيوفه اضافة الى قيامه بتحميمهم وتعطيرهم ومسحهم بالزيت المقدس ومن ثم اعادهم الى بلادهم بسلام وحبور، انما هو يقوم بواجب الضيافة الذي يمثل قانون الحياة، فهو بهذا العمل قد جمع العناصر الداخلية (الطعام والشراب) والعوامل الخارجية (الاستحمام والتعطير والمسح بالزيت) وهذا بحد ذاته له معنى ودلالة عميقة، فالطعام والشراب هما القاعدة الاكثر احتياجا لكل المخلوقات البشرية وهو شائع لكل الذين يعيشون على الارض، انه قانون العيش، اما الاستحمام والتعطير والزيت فيمثلان الحضارة والتحضر وكذلك الحاجات البشرية والتي تعتبر ضمن الشرائط الاساسية للتنظيف والتجميل والظهور بالمظهر اللائق وكما يعتبر من جملة العقاقير. وكان لتناول الطعام تقاليد معينة بالنسبة الى (الالهة والملوك والشعوب) ترتبط بالنظافة والترتيب وذكر الاله يتخللها رائحة البخور وضوء الشموع وسط الازهار التي تزين المائدة التي حوت اطباق وادوات الطعام المختلفة. كما احتلت الولائم والمآدب مركز الحدث في الاحتفالات الدينية والاعياد الشعبية والاستقبالات الرسمية والعمليات العسكرية، وتناوب على اقامتها الالهة والملوك والناس، وهي تعكس ثقافة الشعوب والمجتمعات وتمدنها، وعلامة من علامات الكرم والضيافة ومصدر للبهجة والفرح. وقد اقيمت هذه الولائم في السماء وعلى الارض في مناسبات مختلفة، منها الاجتماعات السلرية المقدسة للالهة او احتفاء بانتخاب القائد الالهي وبعملية خلق الانسان او تشييد المعابد فضلا عن ولائم الزواج المقدس حين يقوم الملوك بتقليد ادوار الالهة على الارض، كما اقيمت ولائم الزفاف واللولائم الجنائزية.

المصادر

- احمد، سهيلة مجيد: صناعة الاغذية في العصور العراقية القديمة – رسالة ماجستير غير منشورة – جامعة الموصل 1992.
- الاحمد، سامي سعيد: الطب في العراق القديم – سومر 30 (1974).
- الاحمد، سامي سعيد: حضارات الوطن العربي القديمة اساسا للحضارة اليونانية – بغداد 2003.
- الاحمد، سامي سعيد: كلكامش – بغداد 1990.
- الاحمد، سامي سعيد: طاليس المطلي – ملاحظات – مجلة دراسات في التاريخ والاثار – العدد الاول – بغداد 1981.
- الاحمد، سامي سعيد: المعتقدات الدينية في العراق القديم – بغداد 1988.
- الاحمد، سامي سعيد: المظاهر الدينية في العراق القديم – المجلة التاريخية – العدد 4 سنة 1975.
- اسماعيل، شعلان كامل: العلاقات الدولية في العصور العراقية القديمة –رسالة ماجستير غير منشورة – جامعة الموصل 1991.
- الاسود، حكمت بشير: الرقم سبعة في حضارة بلاد الرافدين - الرموز والدلالات - دمشق 2007.
- الاسود، حكمت بشير: ادب الرثاء في بلاد الرافدين – دمشق 2008.
- الاسود، ماجد بشير وحكمت بشير: الغذاء في حضارة بلاد الرافدين – اربيل 2013.
- الاعرجي، حسين سيد نور: مفهوم العدالة في الخطاب السياسي القديم 3000 – 539ق.م – مجلة القادسية في الاداب والعلوم التربوية – العدد 3-4 – مجلد 7 سنة 2008.
- امين، احمد سليم: دراسات في تاريخ وحضارة العراق القديم – الاسكندرية 2004.
- امين، سعد عمر محمد: القرابين والنذور في العراق القديم – رسالة ماجستير غير منشورة – جامعة الموصل 2005.
- الامين، محمود: شعار سومر – مجلة سومر 8 (1952).
- الامين، محمود وفرنسيس، بشير: شعار سومر رمز الحياة الخالدة والحكمة والعرفان – بيروت 2007.
- اوبنهايم، ليو: بلاد ما بين النهرين – ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق – بغداد 1981.
- اوتس، جون: بابل تاريخ مصور – ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي – بغداد 1990.
- بارو، اندريه: بلاد آشور (نينوى وبابل) – ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي – بغداد 1980.

- باقر، طه: دراسة في النباتات المذكورة في المصادر المسمارية – سومر 9(1953).
- باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة – بغداد 1955.
- باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة – بغداد 1973.
- باقر، طه: مقدمة ادب العراق القديم – بغداد 1976.
- باقر، طه: ملحمة جلجامش – بغداد 1974.
- باقر: طه: ملحمة جلجامش – بغداد 1980.
- باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين) الجزء الاول – بغداد 1986.
- البجاري، غسان مراد حجي: العناصر الزخرفية في العمارة الاشورية الحديثة – رسالة ماجستير غير منشورة – جامعة الموصل 2005.
- البدري، عبد اللطيف: من الطب الاشوري – بغداد 1976.
- البدري، عبد اللطيف: الطب في العراق القديم – بغداد 2000.
- بصمة جي، فرج:كنوز المتحف العراقي – بغداد 1972
- بوتس، دانيال تي: حضارة بلاد الرافدين – الاسس المادية – ترجمة كاظم سعد الدين – مراجعة د. اسماعيل حجارة – بغداد 2006.
- بوتيرو، جان:الديانة عند البابليين – بغداد 1970.
- بوتيرو، جان: بلاد الرافدين، الكتابة – العقل – الالهة – ترجمة الاب البير ابونا – مراجعة د. وليد الجادر – بغداد 1990.
- بوتيرو، جان وكريمر، ص.ن: اسطورة اينانا عشتار - ترجمة الاب البير ابونا - بغداد 2005.
- بولس بهنام، غريغوريوس: احيقار الحكيم – بغداد 1976.
- الجابري، علي حسين: الحوار الفلسفي بين حضارات الشرق القديمة وحضارة اليونان – بغداد 1985.
- الجادر، وليد:المنتديات العامة وصناعة الاغذية في وادي الرافدين القديم – مجلة آفاق عربية 10(1986).
- الجادر، وليد : الصناعة – موسوعة الموصل الحضارية – مجلد 1 – الموصل 1991.
- جاكوبسون، ثوركليد : ما قبل الفلسفة – ترجمة جبرا ابراهيم جبرا – بيروت 1980.
- الجوراني، وداد : الرحلة الى الفردوس والحجيم في اسطير العراق القديم – بغداد 1998.
- حبي، يوسف: نشوة القمم – تأملات في الانسان وقضاياه – بغداد 1996.
- حنون، نائل: حينما في العلى – قصة الخليقة البابلية – دمشق 2006.
- حنون، نائل، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد الرافدين القديمة – بغداد 1978.
- حنون، نائل: عقائد الخصب والحياة في الحضارة العراقية القديمة – عمان 2002.

- حنون، نائل: الحياة والموت في حضارة بلاد الرافدين القديمة – دمشق 2005.
- حنون، نائل: ملحمة جلجامش – ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الاكدي – دمشق 2006.
- الخطيب، عبد الرحمن يونس عبد الرحمن: المياه في حضارة بلاد الرافدين – اطروحة دكتوراه غير منشورة – جامعة الموصل 2010.
- الدباغ، تقي: الفخار في عصور ما قبل التاريخ – حضارة العراق – الجزء الاول – بغداد 1985.
- الدباغ، تقي: الزراعة والتحضر – العراق في موكب الحضارة – ج1 – بغداد 1988.
- دالي، ستيفاني: ماري وكارانا مدينتان بابليتان قديمتان – ترجمة كاظم سعد الدين – بغداد 2008.
- الدامرجي، مؤيد سعيد بسيم ومشاركة احمد كامل: قبور الملكات الاشوريات – المتحف المركزي الروماني الجرماني 1999.
- الدليمي، كريم عزيز: الزراعة في العراق القديم – اطروحة دكتوراه غير منشورة – جامعة بغداد 1996.
- الدملوجي، فاروق: تاريخ الاديان – بيروت 2003.
- دولابورت، ل: بلاد ما بين النهرين – حضارة بابل وآشور – تعريب مارون الخوري – بيروت 1971.
- الراوي، فاروق: العلوم والمعارف - حضارة العراق – الجزء الثاني – بغداد 1985.
- الراوي، شيبان ثابت: الطقوس الدينية في بلاد الرافدين حتى نهاية العصر البابلي الحديث – اطروحة دكتوراه غير منشورة – جامعة بغداد 2001.
- رشيد، فوزي: الشرائع العراقية القديمة – بغداد 1979.
- رشيد، فوزي: الديانة – حضارة العراق – الجزء الاول – بغداد 1985.
- رشيد، فوزي: المعتقدات الدينية – حضارة العراق – ج1 – بغداد 1988
- رشيد، فوزي: ابي سين آخر ملوك سلالة اور الثالثة – بغداد 1990.
- رشيد، فوزي: الملك نبوخذنصر الثاني – حياته وانجازاته – بغداد 1991.
- رشيد، فوزي: الامير كوديا – بغداد 1994.
- رشيد، فوزي: علم الفلك بدايته واتجاهاته – مجلة المؤرخ العربي – العدد الخامس – بغداد 1997.
- رشيد، صبحي انور: الموسيقى في العراق الديم – بغداد 1988.
- رو، جورج: العراق القديم – ترجمة وتعليق حسين علوان حسين – بغداد 1984.
- الرويح، صالح حسين: العبيد في العراق القديم –بغداد 1975.

- الزبيدي، مها حسن رشيد: الحياة الاقتصادية في العصر البابلي الوسيط (الفترة الكشية) – اطروحة دكتوراه غير منشورة – جامعة بغداد 2010.
- ساكس، هاري: عظمة بابل – ترجمة د. عامر سليمان – الموصل 1979
- ساكس، هاري: قوة آشور – ترجمة د. عامر سليمان – بغداد 1999.
- سالم، ايمان هاني: الحياة الاجتماعية في بلاد آشور في ضوء المصادر المسمارية – رسالة ماجستير غير منشورة – جامعة الموصل 2006.
- السامرائي، كمال: مختصر تاريخ الطب العربي – ج1 – بغداد 1984.
- ساندرس، الا بي جي سي: المسيحيون الاشوريون الكلدان في تركيا الشرقية والعراق وايران – ترجمة نافع توسا – مراجعة وتحقيق الاب يوسف توما – بغداد 2007.
- سعيد، مؤيد: الاثار واعادة تقييم تاريخ العراق – مجلة آفاق عربية – العدد 7-8 – بغداد 1998.
- سفر، فؤاد والعراقي، ميسر: عاجيات النمرود – بغداد 1978.
- سليمان، عامر: الاثار الباقية – موسوعة الموصل الحضارية – ج1 الموصل 1991.
- سليمان، عامر: القانون من مظاهر اصالة حضارة وادي الرافدين – التراث والنهضة – منشورات المجمع العلمي – بغداد 1999.
- السواح، فراس: مغامرة العقل الاولى – دمشق 1985.
- السواح، فراس: مدخل الى نصوص الشرق – دمشق 2006.
- السواح، فراس: لغز عشتار – دمشق 2002.
- سوسة، احمد: ناريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعي والمكتشفات الاثرية والمصادر التاريخية – ج2 – بغداد 1986.
- الشاكر، فاتن موفق فاضل علي: اهم الالهة في العراق القديم – رسالة ماجستير غير منشورة – جامعة الموصل 2002.
- شمار، جورج بوييه: المسوولية الجزائية في الاداب الاشورية والبابلية – ترجمة سليم الصويص – بغداد 1981.
- الشمس، ماجد عبدالله: فلسفة الزمن وتقسيمه في الفكر العربي – دمشق 2007.
- الشواف،قاسم: ديوان الاساطير (سومر واكد وآشور) – الكتاب الثاني (الالهة والبشر) – قدم له واشرف عليه ادونيس – بيروت 1997.
- شيت، ازهار هاشم: قدسية الماء عند الاشوريين – مجلة التربية والعلم – مجلد 13 عدد 3 – الموصل 2006.
- الصالحي، صلاح رشيد: الاصل الرافدي للعصا (كالموش kalmus) الحثية – مجلة التراث العلمي العربي – العدد الاول 2015.

- الطالبي، احلام سعدالله: نظام التقاضي في العراق القديم – اطروحة دكتوراه غير منشورة – جامعة الموصل 1999.
- الطائي، نبيل خالد شيت سليما: ادب الصلاة في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية – اطروحة دكتوراه غير منشورة – جامعة الموصل 2012.
- الطعان، عبد الرضا: الفكر السياسي في العراق القديم – بغداد – 1988.
- عبد القادر، خليل سعيد: القربان مفهومه ودلالته في العصر السومري – مجلة المؤرخين والاثاريين في العراق – العدد 6 سنة
- عبد اللطيف، سجى مؤيد: الحيوان في ادب العراق القديم – رسالة ماجستير غير منشورة – جامعة بغداد 1997.
- عقراوي، ثلما ستيان: المراة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين – بغداد 1978.
- علي، ايمان هاني سالم: الحياة الاجتماعية في بلاد آشور في ضوء المصادر المسمارية – اطروحة دكتوراه غير منشورة – جامعة الموصل 2006
- علي، فاضل عبد الواحد: عشتار وماساة تموز – بغداد 1973.
- علي، فاضل عبد الواحد: عشتار وماساة تموز – بغداد 1986.
- علي، فاضل عبد الواحد: من الواح سومر الى التوراة – بغداد 1989.
- علي، فاضل عبد الواحد: الطوفان في المصادر المسمارية – بغداد 1975.
- علي، فاضل عبد الواحد: العرافة والسحر – حضارة العراق – ج1 بغداد 1985.
- علي، فاضل: سومر اسطورة وملحمة – بغداد 1997.
- فاضل، فاتن موفق: مضامين نصوص الصلوات في العصر الاشوري الحديث 911-612 ق.م – مجلة كلية الاداب – جامعة الموصل – المجلد الثامن – العدد 31 تشرين الاول 2013.
- فرانكفورت، هنري: فجر الحضارة في الشرق الادنى – ترجمة ميخائيل خوري – بيروت 1965.
- فريزر، جيمس: أدونيس او تموز – ترجمة جبرا ابراهيم جبرا – بيروت 1982.
- فريشاور، بول: الجنس في العالم القديم – الحضارات الشرقية – دمشق 2007.
- فون زودن، مدخل الى حضارات الشرق القديم – ترجمة فاروق اسماعيل – دمشق 2003.
- كاسان، مدام ايلينا: مفهوم الزمان والمكان في وادي الرافدين القديم – ترجمة د. وليد الجادر – مجلة سومر – المجلد 31(1975).
- كريمر، صموئيل نوح: السومريون – ترجمة د. فيصل الوائلي – الكويت 1973.
- كريمر، صموئيل نوح: من الواح سومر – ترجمة طه باقر – مراجعة د. احمد فخري – القاهرة 1957.

- كريمر، صموئيل نوح: الاساطير السومرية – ترجمة يوسف داؤد عبد القادر – بغداد 1971.
- كريمر، صموئيل نوح: طقس الزواج المقدس ونشيد الانشاد – ترجمة بديعة امين – آفاق عربية – 2(1979).
- كريمر، صموئيل نوح: انانا ودموزي – طقوس الجنس المقدس عند السومريين – ترجمة نهاد خياطة – دمشق 2007.
- كلنغل، هورست: حمورابي ملك بابل وعصره – ترجمة غازي شريف – بغداد 1978.
- كوفمان، كاتي: الطبخ في الحضارات القديمة – ترجمة سعيد الغانمي – ابو ظبي 2013.
- كونتينو، جورج: الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور – ترجمة سليم طه التكريتي وعبد برهان التكريتي – بغداد 1979.
- كيرا، ادوارد: كتبوا على الطين – ترجمة محمود الامين – بغداد 1964.
- لابات، رينيه: الطب البابلي والاشوري – ترجمة د. وليد الجادر – سومر 24 (1968).
- لابات، رينيه: المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين – ترجمة الاب البير ابونا ود. وليد الجادر – بغداد 1988.
- لابات، رينيه: قاموس العلامات المسمارية – ترجمة الاب البير ابونا ود.وليد الجادر وخالد سالم اسماعيل، مراجعة د. عامر سليمان – بغداد 2004.
- لويد، سيتون: آثار بلاد الرافدين – ترجمة سامي سعيد الاحمد – بغداد 1980.
- ليفي، مارتن: الكيمياء والتكنولوجيا الكيمياوية في وادي الرافدين – ترجمة وتعليق محمد فياض المياحي وجواد سلمان البدري – بغداد 1980.
- ماتفيف،ك وسازونوف،أ: حضارة ما بين النهرين العريقة – ترجمة د. حنا آدم – دمشق 1991.
- الماجدي، خزعل: ميثولوجيا الخلود – دراسة في اسطورة الخلود قبل الموت وبعده في الحضارات القديمة – عمان 2002.
- الماجدي، خزعل: متون سومر – بيروت 1998.
- الماجدي، خزعل: المعتقدات الكنعانية – دمشق 2001.
- الماجدي، خزعل: انجيل بابل – عمان 1998.
- الماجدي، خزعل: انجيل سومر – عمان 1998.
- الماجدي، خزعل: الدين السومري – عمان 1998.
- الماجدي، خزعل: ميثولوجيا الخلود – دراسة في اسطورة الخلود قبل الموت وبعده في الحضارات القديمة – عمان 2002.

- المتولي، نوالة: مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة اور الثالثة – اطروحة دكتوراه غير منشورة – جامعة بغداد 1996.
- متي، كريم: في الفلسفة والدين – مجلة الحكمة – تموز 1988.
- مصطفى، هبا حازم: الاختبار المقدس في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية – اطروحة دكتوراه غير منشورة – جامعة الموصل 2011.
- معجم اللاهوت الكتابي: اشرف على الترجمة ونظمها علميا المطران انطونيوس نجيب.
- مورتكارت، انطوان: تاريخ الشرق الادنى القديم – تعريب توفيق سليمان (بدون تاريخ).
- مورتكارت، انطون: الفن في العراق القديم – ترجمة د. عيسى سلمان وسليم طه التكريتي – بغداد 1975.
- موسكاتي، سبتينو: الحضارات السامية القديمة – ترجمة السيد يعقوب بكر – القاهرة 1957.
- موسى، مريم عمران: الفكر الديني عند السومريين في ضوء المصادر المسمارية – اطروحة دكتوراه غير منشورة – جامعة بغداد 1996.
- ميغولوفيسكي،أ: اسرار الالهة والديانات – ترجمة د. احسان ميخائيل اسحق – دمشق 2007.
- النجاري،غسان مراد حجي: العناصر الزخرفية في الفن الاشوري الحديث – رسالة ماجستير غير منشورة – جامعة الموصل – 2005.
- نكارتين، روز: نظام القرابين في المجتمع السومري حسب نصوص ما قبل سرجون في لجش – ترجمة د. خليل سعيد عبد القادر – مراجعة د. محمود العباسي – بغداد 1990.
- الهاشمي، رضا جواد: الحلاقون في العراق القديم – دورهم ومكانتهم – سومر 51 (2001–2002).
- الهاشمي، رضا جواد: طقوس ومراسيم الخطوبة والزواج في العهد البابلي القديم – مجلة التراث الشعبي – العدد الثاني 1971.
- الهاشمي، رضا جواد: التجارة – موسوعة حضارة العراق – ج2 – بغداد 1985.
- هايدل، الكسندر: الخليقة البابلية – قصة النشوء والتكوين عند قدماء العراقيين وانعكاساتها على العهد القديم – ترجمة ثامر مهدي محمد – مراجعة محي الدين اسماعيل – بغداد 2001.
- هايدل، الكسندر: سفر التكوين البابلي – ترجمة سعيد الغانمي – بغداد 2007.

- هوجر،هنري: التقنية في العالم القديم – ترجمة رقوة قاقيش – عمان 1988.
- ولكشتاين، دايان وكريمر، صموئيل نوح: اينانا ملكة الارض والفردوس – اسطورة بلاد ما بين النهرين – ترجمة وتقديم د. شاكر الحاج مخلف – مؤسسة اوروك – الولايات المتحدة.
- يحيى، اسامة عدنان: السحر والطب في الحضارات القديمة – بغداد 2015.
- يوحنا، كوركيس مجيد: النحت البارز في عصر سرجون الاشوري – رسالة ماجستير غير منشورة – جامعة بغداد 1999.

- Abbenigh , W.F ; Ane assyrian Empire Kings , New York , 1969.
- Algaze , G ; Fourth Millenium B.C Trade in Greater Mesopotamia , in: The Origional and Ancient History of Wine , Edited by: Patrick E. Mcgovern and Solomon H.Ketz , London and New York, 2004.
- Alster , B , and Oshma , t ; Sargonic Dinner at Kanes – The Old Assyrian Sargon Legend , Iraq, Vol. LXIX (2007).
- Ascalone , E ; Mesopotamia Dictionary of Civilization , London 2005.
- Assante , J ; Sex , Magic and the Liminal Body in the Erotic Art and Texts of the Old Babylonian Period , In: (SGANE) , Helsinki, 2002.
- Bidmead, J ; the Akitu Festival , Gorgia, 2002.
- Black , G and Green , A ; Gods , Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia , England 1998.
- Buamann,Hanns ; The Land of Ur , London 1969.
- Childs , G ; What Happened in History , England 1967.
- Civil,M.A ; A Hymn to the Beer Goddess and Drinking Song , in: Studies Oppenhiem , Chicago , 1964.
- Cohen,M. E ; Cultic Calanders of the Ancient Near East , Mary Land 1993.
- Dally , s , Walker, C.P.F , Kawkuir , J.D ; The Old Babylonian Table from Tell Al-Rimah , Iraq, Vol. 42(1982).
- Driver , G.r and Miles , J.C ; The Babylonian Law , Vol. II, Oxford , 1952.
- Ellison , R; Some Thought on the Diet of Mesopotamia from 3600-600 B.C , Iraq , Vol. 47 (1) 1987.
- Ellison , R ; Diet in Mesopotamia , the Evidence of Barley Ration Text (3000 – 1400 B.C) , Iraq , Vol. 47(1) 1987.
- Forbers,R.J; Studies in Ancient Technology, Vol.3 , Netherland 1965.
- Foster , B.R ; Humer and Wit in Ancient Near East , In: (CANE) , New York , 1995.

- Frankfort , H and Wilson , H.A , Jacobsen , Th ; The Inteectual Adventure of Ancient Man , Chicago and London 1949.
- Frankfort,H; The Art and Architecture in Ancient Orient , London 1958.
- Frankfort,H; Kingship and God, Chicago 1948.
- Frraru.A.J and Parker , S.B; Seating Arragment at Divine Banguets, UF 4 (1972).
- Glassner , JJ; The Use of Knowledge in Ancient Mesopotamia , in: (CANE) , Vol. III and V , New York 1995.
- Goelze,A;An Incantation Against Disess , JCS,Vol. XI(1995).
- Gorden , E ; The Sumerian Proverbs Collection (JAOS),1954.
- Greenngus,S; The Old Babylonian Marriage Contract (JAOS) 1969.
- Hallow,W; The wprld`s Oldest Literature , Study in Sumerian belles-letters , Leiden – Bosten , 2010.
- Harris , R; The Cloister in Ancient Babylonia (JESH) , Vol.5, part.1(1962).
- Jacobsen,Th; The Treasur of Darkness , London 1967.
- Jacobsen,Th; Toword Image of Tammuz and Other Essay on Mesopotamian History and Culture, Ed. By: William L.Moran , Harverd Univ./Masschausets,1970.
- Holland,G.S ; Gods in the Desert: Religious of the Ancient Near East , USA , 2009.
- Jacoben, Th ; The Harp that Once , London 1987.
- Jastrow,J R; Moral and Philosophics Texts , in: The Sacred Books and Early Literature0f the East , Vol.1 , New York , 1917.
- Kinnier , Wilson,J.V ; The Nimrud Wine list , London 1972.
- Kramer,S.N ; Himn to Ninurta as God of Vegatable , (ANET),1969.
- Kramer,S.N; Sumerian Sacred Marriage Text , (ANET) 1969.
- Laessne,J ; People of vAncient Assyria , London 1963.
- Langdon,S ; Sumerian Liturgical Texts , University Museum , 1917.
- Langdon , S ; Sumerian Liturgies and Psalms , Vol. X , Philadelphia , 1919.
- Leick,G.A ; A Dictionary of Ancient Near Eastrn Mythology , London1997.
- Linssen,M.H.H ; The Cult of Uruk and Babylon , Lieden – Bosten,2004.
- Luckenbill,D.D ; Ancient Records of Assyria and Babylonia , New York , 1968.
- Michalowski,P; The Role of Alchol and Inebriation in Myth and Religion of Mesopotamia , in: Drinking in Ancient Societies – History and Cultural of Drinking in Ancient Near East , Ed. By: Milano,L , Padua:Sargon, 1994.
- Miranda,B; The Cult of Dead King in Assyria and Babylonia , Iraq ,Vol. 35(1973).

- Nemet-Nejat,KR ; Daily Life in Ancient Mesopotamia, Hendricksom, 2002.
- Olmstead,A.T ; History of Assyrian , Chicago, 1975.
- Oppenheim,A.L ; Babylonian and Assyrian Historical Texts (ANET) 1969.
- Oppenheim,A.L; On Beer and Brewing Techniques in Ancient Mesopotamia ,(AOS) 1950.
- Pinnock,F; Iconographic Development of the Banquet Scene in Mesopotamia and Syria , in: Drinking in Ancient Societies History and Culture of Drinking in Ancient Near East , Ed.Milano,L,Padua:Sargon, 1994.
- Pritchard,J.B ; The Ancient Near East in Picture , New York, 1969.
- P0well,M.A ; Wine and the Vine in Ancient Mesopotamia: The Cuniform Evidence , in: The Origion and Ancient Histiory of Wine , Edited by: Patric E.McGovern and Solomn H.Ketz , London and New York, 2004.
- Reisman,D ; A Fragment from the Region of Iddin – Dagan , (JCS) 25(1973).
- Russel,J.M ; Sannacheribs Palace with out Rival at Nineveh , Chicago , 1991.
- Saggs,H.W.F ; Everyday Life in Babylon and Assyria , London , 1967.
- Smith,S ; The Babylonian Ritual for the Conceration and Induction of Divine Statue (JRAS), 1925.
- Stienkeller, Piortr ; Two Sargonic Sale Documents Concerning Women , Or.Ns. Vol.51 Roma 1982.
- Stol,M ; Birth in Babylon and the Bible , Its Mediterrance Setting , Groningingen, 2000.
- Teppo,Saana; Women and their Agency in the New Assyrian Empire , Assyriologia Pro gradu , University of Helsinki , 2005.
- Thompson,R.C ; Assyrian Prescription for Treating Bruiss or Swelling (AJSL) XLLII(1930).
- Thompson , R.C ; The Evil Eye in Mesopotamia (JENS) 51 No. 1(1992).
- Van Buren,E.D ; Fish Offering in Ancient Mesopotamia , Iraq, Vol. X (1948).
- Van Buren ,E.D ; Sacred Marriage in Early Times in Mesopotamia ,(OR) , Vol. 13(1944).
- Van Buren , E.D ; Foundation Rites for a New Temple. Or,Vol.20(1952).
- Wiseman,D.J ; A New Stela of Assur – Naser – Pal II, Iraq , Vol 13(1944).
- Wolley,L ; The Sumerian , England, 1928.
- Wolley , L ; Excavation at Ur , New York , 1955.
- Wyatt,N; Space and Time in the Religious Life of the Near East , Sheffield,2001.

المختصرات

- AJSL: American Journal of Semitic Language and Literature.
- ANET: Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testement , by: James B. Pritcard.
- CAD: Chicago Assyrian Dictionary.
- CANE: Civilization of the Ancient Near East , Edited by: M.J. Sasson , New York , 1995.
- CDA: Jermy Black et.al ; A Concise Dictionary of Akkadian , Vol. 5 , Wiesbaden , 2000.
- CANE:Civilization of the Ancient Near East , Edited by: M.J.Sasson , New York , 1995.
- Iraq: Journal of the American Oriental Study ,(New Haven).
- JAOS: Journal of the American Oriental Study (New Haven).
- JCS: Journal of Cunifrm Studies (New Haven).
- JESH: Journal of the Economic and Social History of the Orient.
-JNES: Journal of New Eastern Study.
- JRAS: Journal of the Royal Asiatic Society.
- OR:Orientalia , Nova Series (Roma).
- SAA: State Archives of Assyrian (Helsinki).
- SGANE: Sex and Gender in Ancient Near East , Edited by: S.Parpola and R.M. Whiting , Helsinki , 2002.

المحتويات

المقدمة 5

قداسة ورموز 9

المياه اصل الوجود 10

الماء عنوان التحضر الانساني 12

الحيوية الكامنة في الظواهر الطبيعية 13

آلهة المياه 14

آلهة البحار 16

الاله النهر (النهر المؤله) 17

الاختبار النهري المقدس، المحاكمة بالنهر (المحنة) 19

القوانين التي تستخدم المياه لمعاقبة الجناة 20

القسم بالماء 21

الخطايا الدينية والاخلاقية المرتبطة بالمياه 23

ماء الحياة العذب – شعار سومر 24

طقوس التطهير 25

طقوس التطهير بالماء..... 25

كهنة التطهير 27

الكاهن الذي يرتدي زيا بهيئة حراشف السمكة 28

تطهير الالهة 28

التطهير الملكي 29

طقوس تطهير الارض 29

طقوس تطهير المعبد 30

تطهير المدينة 31

تطهير العبيد 31

طقس تطهير الحيوانات 31

طقوس الاغتسال بالماء 31
بيت طقس الاستحمام (بيت ريمكي) 32
المسبح المقدس 32
موضع الاغتسال 33
طقوس الغسل والاستحمام في يوم الزفاف 34
الوضوء والاغتسال 34
طقس غسل اليدين 34
طقس غسل الفم 36
غسل الارجل 37
طقس رش رذاذ الماء 37
يوم الاغتسال – يوم النظافة وتطهير الجسد 38
طقوس النظافة 39
غسل وتحميم تمثال الاله 40
سكب الماء المقدس 40
اناء سكب الماء المقدس 41
الماء المبرد المقدس 42
سكب الماء المقدس على شجرة 44
سكب الماء المقدس على الاسود بعد اصطيادها 45
سكب الماء المقدس امام آلهة الجبل 46
قرابين الماء الى الالهة 47
طقوس استنزال المطر (الاستسقاء) 47
طقوس الماء الجنائزية 48
طقوس غسل الميت 50
العلاج الطبي بواسطة الماء 51
الماء المعوذ (المقروء عليه) 53

التطبيب بالماء..... 55
تراكيب الادوية والماء 57
رمزية الخبز ودلالاته 59
القوى الكامنة في القمح 60
آلهة الحبوب 61
آدابا خباز اريدو 63
الخبز 64
خبز البيرة 65
دلالات الخبز ورموزه 65
الخبز رمز التحضر الانساني 66
خبز الحياة – رمزا للخلود 67
الخبز من اجل حياة ما بعد الموت 68
للخبز قوة سحرية 68
قربان الخبز 68
الخبز هو الحكم في الاختبار العسير لجلجامش 69
القدرة الالهية في منح الخلود واحياء الموتى من خلال طعام الحياة وماء الحياة 71
طعام الحياة – ماء الحياة 72
ماء الحياة 75
نبات الحياة 76
نبات النسل 77
التفسير 77
ما هو طعام الحياة 78
ما هو نبات الحياة 79
ماهو نبات النسل 79

ماء الحياة وطعام الحياة (الخبز) رمزا للخلود اللذان يعيدان الحياة للشخص المتوفى 80
الشعائر والتقدمات الجنائزية في اطعام الموتى 81
دلالات الخمر ورموزه 83
الجعة / البيرة 83
آلهة البيرة 85
صلاة الى اله البيرة 88
عندما تحتسي الالهة الخمر 88
انواع البيرة 89
طقوس شرب البيرة 91
الخمر / النبيذ 92
انواع النبيذ 93
علاقة المشروبات (الخمر والجعة) بالالهة 95
قرابين الجعة والخمور 96
الاهمية الرمزية لشرب الخمور والبيرة وعلاقتها بالفعل الانساني 97
العلاقة الانسانية والروحية بين الخبز والخمور 97
الخمر والدم والملوكية 98
الشراب علامة من علامات التمدن 98
الشراب علامة الفرح 100
اغنية سومرية وحيدة لشرب الخمر والبيرة 101
شرب البيرة في المناسبات الحزينة 103
الخمر والضيافة 104
الهدايا الملكية من الخمور 105
طقس التكريم من خلال سكب البيرة والخمور 105
سكب الخمر عند تشييد المعابد 106
سكب الخمر على الأرض عند مراسيم الزواج 107

المراة ودورها في رمزية الخبز والخمر 108
الاستخدامات الطبية والوصفات العلاجية للخمور 108
العلاقة بين الشراب والجنس 109
صناع المشروبات الروحية 111
بائعة الخمر/امراة الخمر، صاحبة الحانة 112
خمر السمسم / براندي السمسم 113
صناعة العرق 114
خلط الخمر بالماء 114
مشاهد احتفالات الشراب 114
تقاليد الطعام والشراب في بلاد الرافدين 121
وجبات الطعام 122
وجبات الطعام المقدمة الى الالهة 123
مراسيم طعام الالهة 125
النظام الغذائي للملوك 126
طعام الملوك الاشوريين 127
آداب المائدة في البلاط الملكي الاشوري 128
الولائم الاحتفالية والضيافة الالهية والملوكية 131
ولائم الالهة – ولائم السماء 132
انكي وننماخ: اول وليمة للالهة احتفاء بحادثة خلق الانسان 134
وليمة الاحتفال بانتخاب القائد الالهي 134
الوليمة المقدسة للاله انكي على شرف الالهة انانا 135
الوليمة الالهية الكبرى على شرف الالهة الاخرى 136
الاله آنو يقدم مائدة الى آدابا 137
احتفال الاله انكي بتشييد معب E – enqurra في نفر 138
ولائم الزواج المقدس 139

مأدبة بيت اكيتو (بيت الحفلات والولائم) 141
الناس تستظيف الالهة انانا 142
الالهة تامر الملك باقامة وليمة 143
وليمة بطل الطوفان 144
ولائم الملوك – ولائم الارض 145
لوكال بندا يعد طعاما للالهة 146
الملك شولكي يحتفل مع الشعب والالهة 146
وليمة الملك زمري ليم 147
مأدبة أشكور – عدو ملك كارانا 147
احتفال كوديا ببناء معبد E – ninnu 148
مشهد وليم راية اور 149
المادبة السرجونية في كانيش 149
وليمة مردوخ بلادان 150
الوليمة الملكية للملك آشور ناصر بال الثاني (مسلة الوليمة) 150
وليمة الملك سرجون الثاني لشعبه 151
وليمة الملك سنحاريب 151
وليمة الملك الاشوري اسرحدون 152
وليم الملك آشوربانيبال (وليمة الحديقة) 152
وليمة الزفاف 153
الولائم الجنائزية 153
وليمة الملك اور – نمو الى آلهة العالم الاسفل 154
الاستنتاجات 157
المصادر 159
المختصرات 169